

اليسار / العدد الرابع والثمانون / فبراير ١٩٩٧م / رمضان ١٤١٧هـ / الثمن ثلاثة جنيهات مصرية



حكومة الجنزورى تزيف الحقائق

اتفاق الخليل وخطر الهرولة العربية

عمليات إرهابية إسرائيلية فى سوريا

معركة فى الأردن ضد التطبيع

أحد الأعمال للفنان محمد حجي

المعارضة السودانية: الحرب تمهيد لانتفاضة شعبية

أفكار جديدة يطرحها الشيوعيون فى موسكو وباريس

في هذا العدد

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق
المشرف الفني
أحمد عز العرب
المستشارون
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. خليل حسن خليل
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عادل غنيم
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمد وفاء حجازى
محمود أمين العالم
شارك في التأسيس
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطي يصدر عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في اليوم الأول من كل شهر

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST TALAAT HARB SQ CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات لمدة سنة واحدة:
مصر: ٢٤جنيها للافراد و٦٠جنيها للهيئات.
الوطن العربي: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكي أو مايعادلها
ترسل القيمة شيك مصرفي أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب -القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX: 5786298



مجلس الشعب يرفض كل أحكام
محكمة النقض بتزوير الإنتخابات

شهر العمل

يعتبر بعض الناس شهر رمضان شهرا للصيام والعبادة وعدم العمل. ولكن في اليسار نعتبر العمل عبادة حقيقية. وقد مرّ علينا الصيام خلال هذا الشهر ونحن غارقون في العمل لاعداد هذا العدد، الذى يصدر خلال الشهر الكريم، وقبل أيام من عيد الفطر المبارك أعاده الله على أبناء الوطن والأمة وقد تغير الحال وتحسنت الأمور.

وقد أثمر عملنا **عدداً خاصاً** بمعنى الكلمة.

إنضم إلى صفوف مراسلى اليسار كاتبان جديدان يمثلان إضافة حقيقية لعملنا ومتابعتنا للساحة العربية.

من سوريا يراسلنا اعتبارا من هذا العدد الصديق " **حسين العودات** " ومن الأردن الصديق " **صلاح يوسف**" ولاأظننا فى حاجة لتقديمهما للقارئ فموضوعاتهم فى هذا العدد والأعداد القادمة خير تقديم لقراء اليسار.

ولأول مرة يكتب رسالة موسكو الصديق" **أبو بكر يوسف**" وكتابته إضافة جديدة لكتابات" **أحمد الخميسى**" التى نعتبرها ويعتبرها كثير من المهتمين بما يجرى فى روسيا ودول الكومنولث المستقلة (الاتحاد السوفيتى سابقا) المرجع الأساسى لفهم مايجرى فى هذا الجزء من العالم. وقد اختار الخميسى أن يترك لأبو بكر رسالة موسكو هذا العدد، ليشتبك هو مع د. **سمير حنا صادق** حول الفنان الكبير **محمد عبد الوهاب**

أيضا من الأسماء التى تظهر لأول مرة على صفحات اليسار الصديقة **نادية شراره** التى اختارت موضوعا فكريا هاما ومثيرا للجدل، يتناول جماعة" الحنفاء" التى دعت للتوحيد قبل الاسلام.

وقد فرضت عدد من القضايا والموضوعات نفسها على هذا العدد، فى مقدمتها موضوع **توشكى ومياه النيل**، وخصصنا له ٢٢ صفحة كاملة، عبارة عن تسجيل دقيق للندوة التى نظمتها اليسار وشارك فيها سبعة من أهم علمائنا فى نهر النيل والعلاقات الإقليمية والاستراتيجية والشئون الافريقية.

كذلك فقد إحتل موضوع **اتفاق الخليل** والصراع العربى الإسرائيلى مساحة واسعة فى هذا العدد. بدءا من افتتاحية العدد ورسالة القدس، مرورا برسالة دمشق ورسالتى عمان ومقال **عريان نصيف**.

وبالاضافة لبقية قضايا العرب - وفى مقدمتها السودان - والعالم عرضنا لتطورات جديدة فى الأحزاب الشيوعية الأوربية (فرنسا وروسيا) تشكل مع الموضوعات الأخرى الواردة فى قسم(فكر) مادة غنية **لقضية الاشتراكية والعولمة** الرأسمالية.

كل ذلك بالاضافة للموضوعات والكتاب والأبواب الدائمة التى أعطت اليسار طابعها المميز.

ويعود للكتابة فى هذا العدد **صلاح عيسى** بعد أن تماثل للشفاء من العملية الجراحية فى القلب، وكذلك نعود **أمينة النقاش** رفيقته فى الحياة ورحلة العلاج فى لندن.

ولم يكن ممكنا أن تتسع اليسار لكل هذه الموضوعات والقضايا إلا بزيادة عدد الصفحات، وهو ماحدث بالفعل فأضفنا ٢٤ صفحة لهذا العدد، **ورفعنا سعره - استثناءا - إلى ثلاثة جنيهات**. وأملنا أن يجد القارئ أن مادة العدد تستحق هذه الزيادة فى السعر.

والحديث عن السعر يطرح قضية تمويل اليسار ونكرر ندائنا إلى جماعة" أصدقاء اليسار " بان يبادروا بتقديم مساهماتهم المالية، حتى تواصل اليسار أداء دورها.

اليسار

موقفنا

اتفاق الخليل.. وخطر الهرولة العربية

حسين عبد الرازق

فى الساعة الثانية والربع من فجر الأربعاء **١٥ يناير ١٩٩٧**، وفى حضور كل من «**ياسر عرفات**» و«**بنيامين نتنياهو**» و«**دينيس روس**» المنسق الأمريكى لعملية السلام (التسوية السياسية) وقع كل من «**صائب عريقات**» و«**دان شمرون**» بالأحرف الأولى البروتوكول الخاص باعادة الانتشار (إعادة توزيع القوات) فى الخليل -الذى تأخر عن موعده ثمانية أشهر- وبعد مباحثات استمرت أربعة أشهر شهد المراحل الأخيرة منها «**دينيس روس**» الذى قضى ٢٣ يوما متصلة فى المنطقة من أجل الوصول إلى هذا الاتفاق. وبعد أقل من ٦٠ ساعة تم التوقيع النهائى على البروتوكول (**الجمعة ١٧ يناير ١٩٩٧**) عقب تصديق الحكومة الاسرائيلية والكنيست، وموافقة مجلس السلطة الفلسطينية وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وكالعادة لم يحظ الاتفاق بقبول اجماعى سواء من السلطة الاسرائيلية أو السلطة الفلسطينية، وتراوحت ردود الفعل العربية والفلسطينية (والاسرائيلية) بين التأييد والقبول والرفض والادانة.

على المستوى الرسمى صادقت الحكومة الاسرائيلية فى منتصف ليلة الخميس بعد مناقشات استمرت ١٢ ساعة، حيث وافق ١١ وزيرا بعد أن قدم **نتنياهو** تعهداً خطيا بعرض موضوع الانسحابات أو إعادة توزيع القوات فى الضفة الغربية على الحكومة قبل كل مرحلة من المراحل الثلاث التالية لعملية الخليل التى سميت عملية «**تسليم المفتاح**»، واعترض سبعة وزراء، واستقال وزير التعليم «**بنى بيجن**»، وصوت الكنيست فى اليوم التالى بالموافقة على الاتفاق بأغلبية **٨٧ صوتا ضد ١٩ صوتا**، وهى أغلبية كبيرة بالمقارنة بالتصويت على اتفاق أوسلو حيث وافق عليه ٦١ ضد ٥٩ معترضاً.

واستغرق اجتماع مجلس (وزراء) السلطة الوطنية الفلسطينية والذى حضره أعضاء اللجنة التنفيذية العليا (باستثناء المقاطعين لاجتماعياتها مقدمتهم فاروق قدومى) ست ساعات، وانتهى بالموافقة على الاتفاق بأغلبية كبيرة. فلم يعترض إلا وزيران، هما «**عبد الجواد صالح**» وزير الزراعة الذى فسر معارضته بأن الاتفاق **سمح بتقسيم الخليل ومنح الاسرائيليين المسئولية الأمنية والمدنية فى الجزء الذى يسكنه مستوطنون، ولأنه فيه شبهة اعتراف بأن الحرم الابراهيمى يهودى**» ووزير المواصلات «**عماد الفالوجى**» ووزير العمال «**سمير غوشة**»، وامتنع عن التصويت «**فريح أبو مدين**» وزير العدل «**وانتصار الوزير**» وزيرة الشئون الاجتماعية، وأحد أعضاء اللجنة التنفيذية.

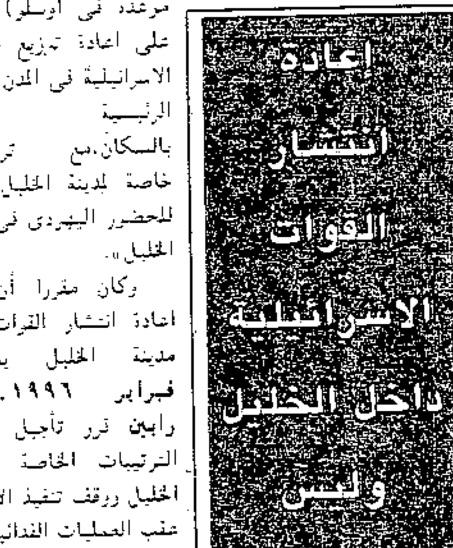
وتم التوقيع النهائى للاتفاق دون الحصول على موافقة المجلس التشريعى، حيث ألغيت جلسته بعد انسحاب عدد من أعضائه لاعتراضهم على عدم توزيع نصوص الاتفاق عليهم. وأكد متحدث باسم السلطة الفلسطينية أن موافقة المجلس التشريعى ليس شرطا للتوقيع النهائى على الاتفاق.

وكما سبق القول فقد اختلفت ردود الأفعال خارج المستوى الرسمى الاسرائيلى والفلسطينى، وتراوحت بين نقيضين.

ولكى نخضع هذا الاتفاق فى سياقه الصحيح ونحدد موقعه من قضية التسوية السياسية الشاملة والعادلة التى أعلن العرب أنهم يسعون إليها، فلابد أولا من معرفة نصوص الاتفاق

والظروف التي تم فيها.

فموضوع الخليل كان جزءا من اتفاق **أوسلو (٢)** أو طابا الذي وقع في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ (متأخرا تماما كاملا عن موعده في أوسلو) ونص على اعادة توزيع القوات الاسرائيلية في المدن الست الرئيسية الآهلة بالسكان مع ترتيبات خاصة لمدينة الخليل نظرا للحضور اليهودي في قلب الخليل».



وكان مقررا أن تتم اعادة انتشار القوات في مدينة الخليل يوم ٢٨ **فبراير ١٩٩٦**. ولكن **رابين** قرر تأجيل تنفيذ الترتيبات الخاصة بمدينة الخليل ووقف تنفيذ الاتفاق عقب العمليات الفدائية في القدس وتل أبيب وعسقلان.

وبفوز **نتنياهو** في الانتخابات وتشكيل الليكود للتحالف الحاكم دخلت عملية التسوية برمتها في طريق مسدود، خاصة بعد أن أعلن نتنياهو رفضه لمبدأ «الأرض مقابل السلام» وطرح شعار «**السلام مقابل السلام**» و«**سلام الردع**». وأصر **نتنياهو** على إعادة التفاوض من جديد على الترتيبات الخاصة بالخليل وعدم الاعتداد بما تم الاتفاق عليه في أوسلو (٢) أو أوسلو (١).

وبعد ما يقرب من ١١ شهرا من الموعد الذي كان محددا لعملية الخليل و٨ أشهر من صعود نتنياهو للسلطة، وقع الاتفاق الخاص باعادة الانتشار في الخليل. ويتكون الاتفاق من ثلاث وثائق:

١- البروتوكول الخاص باعادة الانتشار في الخليل.

٢- المذكرة التي أعدها السفير «**دينيس روس**» بناء على طلب رئيس الوزراء «بنيامين نتنياهو» والرئيس «ياسر عرفات» لايجاز ما اتفقا عليه في اجتماعهما.

٣- رسالة «وارن كريستوفر» وزير خارجية الولايات المتحدة إلى رئيس الوزراء الاسرائيلي.

وطبقا للاتفاق تم انسحاب القوات الاسرائيلية من ٨٠٪ من مدينة الخليل (المنطقة هـ ١- H1) مع تمركزها في ٢٠٪ من قلب المدينة (المنطقة هـ ٢- H2) التي يوجد بها ٤٠٠ مستوطن يهودي يحرسهم ٢٠٠٠ جندي اسرائيلي، بواقع ٥ جنود لكل مستوطن، بالاضافة إلى تواجد القوات الاسرائيلية في الحرم الابراهيمي، وتحديد ترتيبات أمنية وتدابير أمنية مشتركة، وبدء فتح شارع الشهداء على أن تكتمل العملية خلال أربعة أشهر. وبذلك يكون قد تم اعادة توزيع القوات في المنطقة (أ) أي المدن الست الكبرى في الضفة والقطاع وتمثل مساحتها ٢٫٥ ٪ من مساحة الضفة الغربية.

وشمل الاتفاق أيضا مجموعة من التعهدات المتبادلة لتنفيذ اتفاق أوسلو. خاصة البنود العديدة التي تعثر تنفيذها حتى الآن. مثل تعهد اسرائيل بتنفيذ عملية إعادة توزيع القوات في المنطقة ب أي القرى والمناطق الريفية اعتباراً من الاسبوع الأول من مارس على أن تنتهي في غضون ١٢ شهرا بما لا يتجاوز منتصف عام ١٩٩٨، وتم ذلك على ثلاث مراحل متتالية، وتعهدها بالتعامل مع قضايا اطلاق السجناء وفقا لمواد اتفاق أوسلو واجراءاته.

بالمقابل تعهدت السلطة الوطنية الفلسطينية باستكمال عملية مراجعة الميثاق الوطني الفلسطيني. والالتزام بالعمل على مكافحة الارهاب ومنع العنف من خلال تقوية التعاون الأمني مع اسرائيل، ومنع التحريض والدعاية المضادة ومكافحة المنظمات الارهابية وبنيتها التحتية في صورة منظمة وفعالة، وتوقيف ومحاكمة ومعاقبة الارهابيين، والتعامل مع طلبات نقل (تسليم) المشتبه بهم والمتهمين، ومصادرة الاسلحة النارية غير القانونية.

وبالنسبة للقضايا المعلقة من اتفاق أوسلو التي تأخر تنفيذها، مثل **العبور الأمن ومطار غزة وميناء غزة والمعابر والقضايا الاقتصادية والمالية والمدنية والامنية فيجرى الاتفاق عليها عبر التفاوض، بالتوازي وبصورة دورية.**

وتستأنف مفاوضات الوضع النهائي في غضون شهرين من تنفيذ بروتوكول الخليل وتتناول قضايا «القدس» والمستوطنات واللاجئين والحدود والعلاقات مع الجيران والأمن الخارجي».

وقد اعتبر المتحدثون باسم السلطة الوطنية الفلسطينية والحكومات العربية التي وقعت اتفاقيات للصلح مع اسرائيل، أو القابلة بالمنهج الحالي للتسويات السياسية، وكذلك المعلقون والكتاب المؤيدون لهذا المنهج) ان الاتفاق الأخير يعيد عملية التسوية السياسية (أو عملية السلام حسب مصطلحاتهم) إلى طريقها الصحيح. «فهذا الانجاز يختم بطريقة سعيدة المفاوضات التي أطلقت في واشنطون في سبتمبر الماضي ويعتبر خطوة إلى الأمام في اتجاه سلام دائم وأكيد في الشرق الأوسط» كما قال **بيل كلينتون**.



ويقول **وارن كريستوفر** وزير الخارجية الأمريكية.. « أن ما اتفقوا عليه اليوم أكثر من كونه بروتوكولات لاعادة الانتشار في الخليل. إنه في جوهره خريطة للطريق في المستقبل، وخلق درجة أكبر من

الثقة والاطمئنان بين الاطراف».

وقال «دينيس روس» .. «ان الاتفاق سيؤدي إلى اقامة علاقات ثقة ليس فقط بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، بل سيبني ثقة بين الاسرائيليين وجيرانهم العرب عموما».

ويبني المؤيدون موقفهم على مجموعة من الاسباب والدلالات. أولها أن توقيع نتنياهو زعيم الليكود لاتفاق الخليل يؤكد أنه انتقل إلى أرض الواقع، ويمثل نقطة تحول هامة «فللمرة الأولى فى تاريخ الحركة الصهيونية يوقع زعيم ينتمي إلى التيار اتفاقا يتضمن انسحابا عاجلا من أراضي فى اسرائيل الكبرى ،وتعهد لا عودة عنه بانسحابات أخرى فى المستقبل» كما قال أيهود باراك فى الكنيست.

* ان تدمير عملية السلام ليست مهمة سهلة.

* ان مجئ حكومة يمينية للسلطة فى اسرائيل لا يعنى أنها ستنسف عملية السلام.

السلطة تتعهد بالتعاون الأمنى مع اسرائيل فى مكافحة (الارهاب) وتسليم المشتبه بهم

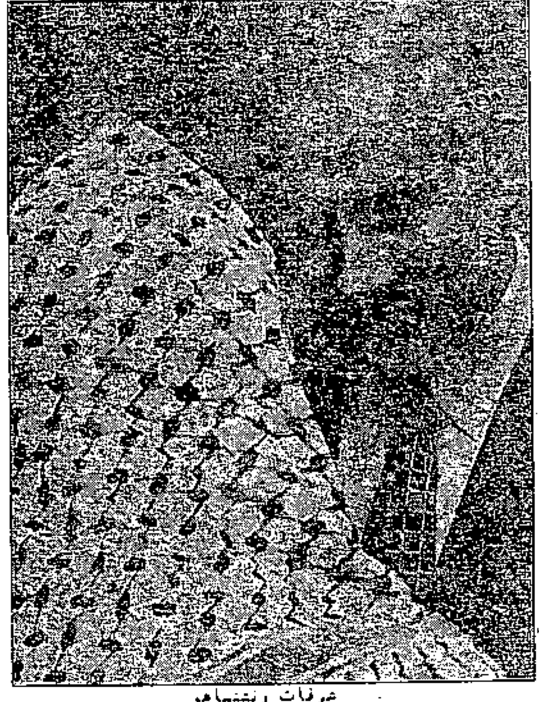
*ان نتنياهو قادر كرئيس منتخب على تغليب البراجماتي على الايديولوجي.

*ان الطريق الوحيد للتأثير فى عملية السلام يكون بالمشاركة فيها وليس من خارجها .. «فلولا أن الاردن مشارك فاعل فى عملية السلام ويراهن عليها ، لما أمكن للملك حسين أن يلعب دورا مساعدا فى التقريب بين الفرقين الفلسطيني والاسرائيلي».

****

على الضفة الاخرى يقف المعارضون مؤكدين أن الاتفاق «حقق لاسرائيل انجازات مهمة تضمن جميع الشروط الاسرائيلية» وان «مراسم دفن عملية السلام تجرى على قدم وساق وبأدوات السلام ذاتها وبعض اطرافها ،وفى مقدمتهم أصحاب الحقوق الفلسطينيين» وأثبتت السلطة الوطنية الفلسطينية أنها مهيئة للتنازل عند أي ضغط يقع عليها» و «الاتفاق لم يعط الفلسطينيين سوى ضمانات بان الاسرائيليين سينفذون ما يلتزمونه طبقا للجداول الزمنية التى يرتأونها وبدون مواعيد ولا ضوابط».

ويستند هذا الموقف على مجموعة هامة من الحقائق.



عرفات ونتنياهو

****ان ما جرى ليس تحريرا لمدينة الخليل** ما دام نحو ٤٠٠ مستوطن يهودي مزروعين فى قلبها يحمى كل منهم خمسة جنود اسرائيليين ،وما دام الحرم الابراهيمي تحت سيطرة الاسرائيليين على رغم أنه مكان مقدس اسلامي بناؤه عربي أموي، وما دام الجدار «الأمريكي» سيقام فى شارع الشهداء تكريسا لوجود احتلال اسرائيلي بقسم المدينة عمليا».

****التنازلات الفلسطينية فى شأن مدينة الخليل ، ستؤثر سلبا فى الحل النهائي،وفى تنفيذ ما بقى من اتفاقات مرحلية** .فاسرائيل ستعتبرها سابقة يحق تكرارها لدى اعادة الانتشار فى المنطقة «ب» التى تشمل المناطق الريفية والقرى الفلسطينية ،ويعيش فيها حوالى ٦٨٪ من سكان الضفة الغربية . فقد قبلت السلطة الوطنية الفلسطينية تغيير المواعيد وترتيبات أمنية اضافية تتعارض مع ما نص عليه الاتفاق المرحلي (أوسلو ٢) بالنسبة للمنطقة (أ).

** ولا تقف التنازلات الفلسطينية عند هذا الحد، فقد **وافقت السلطة الوطنية الفلسطينية على تعديلات جديدة فى الميثاق تصادر أى حق للشعب الفلسطيني فى النضال ضد الصهيونية والاحتلال الاسرائيلي ،ووافقت على تخفيض عدد أفراد قوات الشرطة الفلسطينية والقوات النظامية عامة من مستواه الحالى إلى ١٨ ألف شرطي، وعلى تفكيك البنية التحتية للمنظمات والاحزاب المعارضة لاتفاقات أوسلو فى المناطق الواقعة تحت سيطرتها ،وعلى لتسليم الفلسطينيين المطلوبين من قبل اسرائيل للسلطات الاسرائيلية**،والتوقف عن

استقبال الوفود الاجنبية في بيت الشرق في القدس».

** واخطر ما في الاتفاق هو **اطلاق يد اسرائيل في تحديد المساحات والمناطق التي ستنسحب منها في المنطقة (ب) بصورة منفردة وبلا أي تشاور أو اتفاق مع السلطة الوطنية الفلسطينية** .وذلك طبقا لرسالة التطمينات التي وجهها وزير الخارجية الامريكية إلى رئيس وزراء اسرائيل .وهو ما أكده مارتن اندك سفير الولايات المتحدة لدى اسرائيل، عندما قال .. « **أن الولايات المتحدة تعتبر عملية اعادة الانتشار العسكري من المناطق الريفية في الضفة الغربية ومساحة الأراضي التي ستنقل إلى الفلسطينيين مسئولية اسرائيلية وليست مسائل محل تفاوض مع الفلسطينيين**».

وقد قدم **نتنياهو** خدمة هائلة لمعارضي اتفاق الخليل. عندما صرح بأن «الجيش الاسرائيلي لا يعيد نشر قواته خارج الخليل وانما داخليا، **وذلك بهدف المحافظة على الوجود اليهودي هناك وتعزيزه**» وأضاف نتنياهو أن «هناك ثلاثة مبادئ تعتبر انجازا هاما.. مبدأ احتفاظ اسرائيل بقرار اعادة الانتشار في المناطق الأخرى دون التفاوض مع الفلسطينيين بشأنه، وذلك تبعا لما تحدده اسرائيل على أنه حاجاتها الأمنية. مبدأ المبادلة مع الجانب الفلسطيني .. **مبدأ زمني يسمح لاسرائيل بالمناورة ،ويمنحها الكثير من الوقت لتطبيق الاتفاقات**».

ثم أدلى **نتنياهو** بتصريحات جديدة تقطع بانه هو لم يتغير، وأنه يتمسك بجوهر برنامجه الانتخابي الرافض للتسوية السياسية العادلة والشاملة. فقال «**القدس لن تكون موضع تفاوض. وليكن هذا معلوما بشكل نهائي.. وسنحتفظ بالجولان لأسباب استراتيجية وتاريخية واقتصادية.. فربع الثروات المائية** لاسرائيل مصدرها الجولان .. ويمكن أن نعيش بدون نفط. ولكن لا يمكن أن نحرم أنفسنا من المياه».

الاتفاق سببا كافيا لعودة الهرولة العربية ووقف المقاومة

ويلخص .. «سلامه **أحمد سلامه**» المعلق السياسي بالأهرام النتائج الحقيقية لاتفاق الخليل قائلا: «**من الناحية العملية حقق نتنياهو جل الشروط التي ضمنها في وعوده الانتخابية ، لا لكي يكون شريكا في عملية السلام ولكن لضمان السيطرة الأمنية والعسكرية على السلطة الوطنية ومنع قيام الدولة الفلسطينية**. والنتيجة المباشرة لذلك هي احكام الحصار حول سوريا، وحصر عملية السلام في ترتيبات أمنية.

ان مصداقية اسرائيل تجاه عملية السلام قد انهارت.. وعلى الرغم من أن الحكومات العربية ما زالت تؤكد ثقتها بالدور الأمريكي فان تهافت الموقف الأمريكي واستعداده للمساومة على ما سبق ابرامه من اتفاقات . لا يحمل على كثير من التفاؤل بمستقبل عملية السلام في ظل ادارة كلينتون -نتنياهو» الحالية».



في ضوء هذا الواقع يبدو من الخطورة بمكان اعتبار اتفاق الخليل سببا للتراجع عن الموقف العربي- موقف الحد الادنى-الذي تبلور في مؤتمر القاهرة. والاندفاع إلى التطبيع مع اسرائيل و اعتبار نتنياهو «شريكا في بناء السلام» والاستجابة لمطالب نتنياهو التي تتبلور في مجموعة من المطالب يريد من العرب تنفيذها كمكافأة على توقيعه على اتفاق الخليل. مثل .. **الكف عن توجيه الانتقادات العلنية إلى الاسرائيليين ، إنهاء كافة أشكال المقاطعة العربية لاسرائيل، ايقاف أي عمل عسكري ضد قواتها في جنوب لبنان، حظر نشاط المنظمات الفلسطينية المناهضة لاتفاق أوسلو ، احياء عملية تطبيع العلاقات مع اسرائيل تجميد نشاط العمل العربي المشترك**.

وللأسف فيبدو من بعض التصريحات العربية وردود الأفعال الأولى أن هناك هرولة عربية جديدة لقبول نتنياهو -المعادي حتى النخاع لمبادئ أي تسوية سياسية شاملة وعادلة، والتمسك بكل المقولات الصهيونية المعادية للسلام- في عملية التسوية السياسية الجارية في الوقت الحالي طبقا لشروطه ومواقفه المعلنة ، بحجة تشجيع موقفه «الجديد» الذي تمثل في اتفاقيات الخليل.

وقد حصلت عمان على قصب السبق في هذا الطريق الخطر بعد أن سارع وزير خارجيتها للاعلان عن استئناف الاتصال مع الحكومة الاسرائيلية.

والتصدي لهذه الهرولة العربية يتطلب الاسراع بعقد قمة عربية جديدة في دمشق تؤكد على وقف التطبيع واستمرار المقاطعة العربية لاسرائيل،وحق المقاومة الوطنية الفلسطينية في العمل ضد قوات الاحتلال في فلسطين وسوريا ولبنان، واحياء اتفاقية الدفاع المشترك ضد أي عدوان جديد على سوريا أو لبنان، واضعة بذلك اتفاق الخليل في حدوده الحقيقية. وترد في نفس الوقت على تصريحات نتنياهو الأخيرة التي تنسف من الجذور احتمالات أي تسوية سياسية للصراع العربي الاسرائيلي.

سبعة خبراء من مصر يحذرون:

النيل في خطر

ليست لدينا سياسية مائية صحيحة ولا توجد جهة

محددة مسئولة عن المياه فى مصر

اقتصاديات السوق تجعل ضبط مياه النيل مستحيلاً

أدار الندوة

عبد الغفار شكر

اعدها للنشر

عمادُ فؤاد

تصوير:

خالد سلامه

فرضت قضية مياه النيل نفسها على الاهتمام العام في مصر. وقد يبدو هذا الاهتمام متأخرا في ظل بروز عديد من المشاكل الجوهرية المحلية والاقليمية تمس هذا الشريان الحيوى للمصريين وتعرض حياتهم ومستقبلهم للخطر.

وقد أدى عاملان إلى جعل قضية مياه النيل في بؤرة الاهتمام في الفترة الأخيرة.

الأول.. ما تردد عن مشروعات أثيوبية على النيل الأزرق تؤثر في كمية المياه التى تصل إلى مصر والسودان(دول المصب).

الثانى.. المشروعات الجديدة التي تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه، سواء ترعة السلام في سيناء . أو مشروع قناة الشيخ زايد والدلتا الجديدة في الصحراء الغربية.

ومحاولة الوصول إلى رؤية واضحة للمشكلة وما تثيره من أسئلة وإجابات مختلفة تتطلب مناقشة ثلاثة محاور.

الأول الوضع المائى فى مصر

فطبقا للبيانات المتاحة فان استهلاك مصر حاليا من المياه يبلغ ٦٣ مليار متر مكعب ،يصل إلى ٧٢ مليار متر مكعب عام ٢٠٠٠ أى في بداية القرن القادم، وفي تقديرات أخرى نحتاج إلى ٢٠ مليار متر مكعب إضافى للحصة المقررة طبقا لاتفاقية السد العالى.

وامكانياتنا الحالية من المياه تتلخص في التالي:

٥ر٥٥ مليار متر مكعب هي حصة مصر من مياه نهر النيل.

٤ر١ مليار متر مكعب من أمطار الساحل الشمالي.

٦ر٤ مليار متر مكعب من إعادة استخدام مياه الصرف لأغراض الرى. ويتوقع زيادتها إلى ٦ر٧ مليار متر مكعب عام ٢٠٠٠.

البيانات المتاحة تضع مصر في دائرة: الفقر المائى

والاتفاقيات الدولية لم تمنع الصراعات بين دول حوض النيل

أى أن مصر تعتمد أساسا على مياه نهر النيل بنسبة ٩٧٫٥٪.

وكان نصيب الفرد من المياه فى مصر عام ١٩٩٣ (١٠٠٠) متر مكعب سنوياً، وهو الحد الذى بعد النزول عنه حدا للفقر المائى .وقد انخفض حاليا إلى ٩٠٠ متر مكعب ويتوقع أن ينخفض مع بداية القرن إلى ٦٠٠ متر مكعب، ثم إلى ٥٠٠ متر مكعب عام ٢٠٢٥.

وتفقد مصر كميات كبيرة من المياه تقدر بحوالى ٣٥٪ من المياه المنصرفة عند أسوان ، نتيجة مجموعة من الظواهر ، منها ضياع ١٫٨ مليار متر مكعب من مياه النيل فى البحر المتوسط (تقول مصادر حكومية إن المياه التى تصب فى البحر لا تزيد عن ٣٠٠ مليون متر مكعب، وهو أمر ضرورى للحفاظ على الاتزان المائى بين البحر والدلتا لمنع تغلغل مياه البحر المالحة فيها) .وهناك أيضا ١١ مليار متر مكعب من مياه الصرف فى الزراعة تصرف فى البحر تنخفض بالتدريج إلى ٩ مليار متر مكعب.

وبالاضافة لزيادة نصيب مصر من مياه نهر النيل، فهناك مجموعة من الاقتراحات لعلاج الفقر المائى الذى تعانى منه مصر منها:

١- استخدام أساليب الرى الحديثة.

٢- زيادة استعمال المياه الجوفية.

٣- معالجة مياه الصرف الزراعى والصرف الصحى واعادة استخدامها.

٤- تحديد مساحات زراعة المحاصيل التى تستهلك مياهاً كثيرة (إعادة النظر فى التركيب المحصولى).

٥- تسعير مياه الرى للفلاحين .. وهوما طلبه البنك الدولى ورفضته مصر حتى الآن.

الثانى الاتفاقات الخاصة بحوض نهر النيل والصراع على مياهه.

وهناك سلسلة من الاتفاقات تضمن حقوق مصر فى مياه النيل، من أهمها:

-بروتوكول روما (١٥ أبريل ١٨٩١) بين بريطانيا وايطاليا.

- اتفاقية أديس أبابا (١٥ مايو ١٩٠٢) بين بريطانيا وأثيوبيا.

-معاهدة لندن (٩ مايو ١٩٠٦) بين بريطانيا وبلجيكا (نيابة عن الكونغو).

- اتفاقية ١٩٢٥ بين بريطانيا وايطاليا.

-اتفاقية ١٩٢٩ بين مصر وبريطانيا و(أوغندا وكينيا وتنجانيقا).

-اتفاقية ١٩٣٢ بين مصر وبريطانيا.

-الاتفاقية المصرية السودانية(١٩٥٩).

-اتفاقية ١٩٥٣ بين الحكومتين المصرية والأوغندية.

-اتفاقية منظمة دول حوض نهر النيل (اندوجو) عام ١٩٨٣ بين (مصر والسودان- أوغندا- كينيا- زائير- رواندا- تنزانيا- أفريقيا الوسطى) وأثيوبيا كمراقب.

-اتفاقيات تفاهم أعوام ٩١ ، ٩٢ ، ١٩٩٣بين السودان وأثيوبيا.

-اتفاقية ١٩٩٣ بين مصر وأثيوبيا.

ولم تمنع هذه الاتفاقات من وجود صراعات بين دول الحوض..

** فقد أعلنت اثيوبيا (١٩٥٦-١٩٥٧) أن من حقها تطوير مشاريع مائية على مجرى النيل الأزرق داخل أراضيها. وأنها لن تضمن الماء للدول أسفل المجرى (دول المصب) اذا كان ذلك يتعارض مع مصالحها ومتطلبات سكانها.

** وعقب اتفاق ١٩٥٩ بين مصر والسودان ، أعلنت «تنجانيقا وكينيا وأوغندا» -المستعمرات البريطانية السابقة- مطالبتها بتخصيص خمسة مليارات متر مكعب من مياه النيل سنويا لمواجهة احتياجاتها التنموية،وعدم التزامهم بالمعاهدات والاتفاقات المعقودة أيام الاستعمار البريطانى.

** أعلنت أثيوبيا عن برنامج لانشاء خزانين على النيل الأزرق ونهر عطبرة لأغراض الرى وتوليد الطاقة الكهربائية. وهو ما اعتبر بمثابة اعلان رسمى عن بدء المرحلة الأولى من المواجهة بين السياسة المائية الاثيوبية والسياسة المائية المصرية. وتم هذا الاعلان عقب موافقة البرلمان الفيدرالى الاثيوبى وقبول البنك الدولى ومؤسسات دولية أخرى دراسات الجدوى والتمويل من دون اشتراط

القبول المسبق من دول حوض النيل الاخرى بما فيها دول المصب، وهو ما اعتبرته اثيوبيا ورقة هامة فى يدها. بالاضافة إلى أن القيادة الاثيوبية تشعر بالأهمية البالغة لتنمية مواردها المائية بعد أن تعرضت بلادهم لجفاف هائل عام ١٩٧٢ ساهم- مع عوامل أخرى- فى سقوط نظام الامبراطور هيلاسلاسى .الجفاف عام ١٩٨٤-١٩٨٥ أدى للاسراع بنهاية نظام منجستو .وترى أيضا أن مشاريع الرى يمكن أن تكفل للبلاد قسطا كبيرا من الأمن الغذائى .كما تساعد المشاريع المائية الكهربائية فى حوض النيل الأزرق على تسريع وتيرة التصنيع فى أثيوبيا وتساهم فى دعم صادراتها إلى الاسواق المجاورة.

** هناك شكوك تحيط بموقف السودان فى ظل الحكم الحالى الذى اندفع لاقامة تحالف مع أثيوبيا ووقع معها عدة اتفاقات (آخرها عام ١٩٩٣)، ومطالبته باعادة التفاوض مع مصر على معاهدة ١٩٥٩. ولم يتجسد الموقف إلا فى أعقاب محاولة اغتيال الرئيس مبارك (١٩٩٥) وتوتر العلاقات السودانية الاثيوبية.

وتشير مصادر عديدة إلى دور القوى الدولية والاقليمية فى اذكاء الصراع على مياه النيل،مثل التنافس الفرنسى الأمريكى فى هضبة البحيرات والقرن الافريقى، ودعوة السياسة الايطالية للمنطقة ونشاطها المتنوع، والسياسات الاسرائيلية والايرانية والصينية واليابانية والجنوب افريقية.

وفى تقرير أخير للادارة العسكرية فى الجامعة العربية اشارة إلى «محاولات اسرائيل لاختراق أمن مصر والسودان بمحاصرة مياه النيل فى حوضه الأعلى طبقا لاستراتيجيتها الافريقية.. وقد خططت اسرائيل لمساعدة أثيوبيا على بناء مشروعات سدود على النيل الازرق، تؤدى إلى انقاص حصة كل من السودان ومصر، كما خططت فى الوقت نفسه لدعم حركات التمرد فى جنوب السودان من أجل بث الاضطراب فى حوض نهر النيل».

الثالث : المشروعات الجديدة.

طرحت الحكومة فى الفترة الأخيرة،ونفذت وبدأت فى التنفيذ لمشروعين جديدين يعتمدان على مياه النيل.

المشروع الأول والذى بدأ تنفيذه منذ فترة هو مشروع ترعة السلام التى تبدأ من فرع دمياط لتعبر بحيرة المنزلة وتمر فى ثلاث محافظات ثم تحت قناة السويس لتصل إلى سيناء الشمالية ،وتزرع حوالى ٦٢٠ ألف فدان جديد، وتنقل ٢ر٨ مليار متر مكعب من المياه سنويا (كافية لزراعة وانشاء ٣٧ مجتمعا زراعيا وصناعيا وعمرانيا و٧٠ قرية تضم ٧٥٠ ألف مصرى).

المشروع الثانى ،والأخطر ،وهو مشروع ترعة الشيخ زايد والدلتا الجديدة فى الصحراء الغربية والذى يضيف طبقا لتصريحات رئيس الوزراء إلى ساحة مصر الزراعية العمرانية (٥ر١٢مليون فدان حاليا) ٤٩ مليون فدان جديد تمثل ٥ر٢٥٪ من مساحة مصر منها ٤ر٣ مليون فدان للزراعة ، وأن مساحة الدلتا الجديدة ستصل إلى ٨ مليون فدان. وأن هذا المشروع يحتاج استثمارات سنوية تصل إلى ١٠٠ مليار جنيه مصرى ،٢٠ مليار منها محليا و٨٠ مليار سنويا من المستثمرين المصريين والعرب والاجانب. وأنه لا توجد مشكلة توفير المياه اللازمة .فهناك مياه الصرف الزراعى وتقدر بحوالى ١٥ مليار متر مكعب لايستخدم منها حالياً أكثر من ٤ مليار متر مكعب، ومياه الصرف الغذائى وتقدر أيضا بـ ١٥ مليار متر مكعب لا يستخدم منها أكثر من ٤مليار أيضا.

وسيبدأ المشروع بزراعة ٥٠٠ ألف فدان تحتاج إلى ٣مليار متر مكعب من مياه النيل . يتم مزجهم مع ٥ر٣ مليار متر مكعب من المياه الجوفية و٣ مليار متر مكعب من مياه الصرف الزراعى.

وتم تخصيص ٥ر٥ مليار جنيه فى خطة الدولة ١٩٩٧/٩٦.

وقد أثار هذا المشروع سلسلة من الانتقادات والمعارضة استندت إلى شح المياه وعدم توفرها ،وأثر ذلك على العلاقات مع دول حوض نهر النيل، وخطورة نقل أمراض الوادى القديم إلى الأرض الجديد عن طريق مياه الصرف الزراعى، والاخطار الجيولوجية المترتبة على تسرب مياه النهر إلى منخفض غرب توشكا والذى يحده شمالا جبل أم شاغر وجبل العصر ويستمر جنوبا عند محاجر خفرع وغربا عند آبار نخلاى وتخلبس والشب وكسيبه وعايد والذى تبلغ مساحته أكثر من ١٢ ألف كيلو متر مربع ويستطيع أن يبتلع عدة بحيرات مثل بحيرة ناصر.. وغير ذلك من الاخطار..

وطرحت بدائل أخرى للتوسع بالقرب من الوادى،وفى سيناء اعتمادا على المياه الموجودة تحت هضبة الجزيم وفى الاجزاء الشرقية من هضبة العجمة.. وهى مياه متجددة.

فى ضوء هذه الحقائق التى سجلتها ورقة العمل التى أعدها «**حسين عبد الرازق**» دعت «اليسار» لعقد ندوة حول مياه النيل تحت عنوان «مياه النيل والاخطار المحدقة بالنهر» شارك فيها كل من:

-د.لواء أحمد عبد الحليم

- د. البهى عيسوى

-حلمى شعراوى

- د. رشدى سعيد

-د. عبد الملك عوده

- د. على نويجى

-السفير وفاء حجازى.

وأدارها «**عبد الغفار شكر**» عضو مجلس مستشارى المجلة ،وأمين التثقيف بحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى.



هناك أزمة حقيقية سواء من ناحية موارد المياه أو الأرض أو الغذاء



عبد الغفار شكر

قضية مياه النيل حسب الورقة التى طرحت على حضراتكم هى قضية متعددة الجوانب ،منها ما يتعلق بالعلاقة بين الاستخدامات والموارد ومنها ما يتعلق بمشاركة مصر لدول أخرى فى توزيع مياه النيل طبقاً لاتفاقيات دولية ،وهناك ما يتعلق بالاطار الاقليمى الذى الذى ترشك اسرائيل على أن تكون طرفا فيه، يضاف إليها بعد جديد اليوم وهو المشروعات الكبرى فى مصر والتى ستقوم على استخدام كميات اضافية من المياه لم يكن متوقعاً أن يطرح فى ظل الكلام عن مشكلة الندرة فى الموارد المتاحة لمصر من المياه.

أقترح على حضراتكم أن يدير النقاش على جولتين:

الأولى حول طبيعة المشكلة..
وهل توجد مشكلة للمياه فى مصر؟.

وما هى أبعادها ؟ سواء ما يتعلق منها بالعلاقة بين الموارد المتاحة وبين الاستخدامات .أو ما يتعلق منها باتفاقيات توزيع مياه النيل التى تكون مصر طرفاً فيها.

أى نتناول المحورين الأول والثانى معا..

نستعرض المشكلة.. أبعادها. سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية.. وأيضا كيف يمكن مواجهة هذه المشكلة؛

المحور الثانى: يتعلق بالمشروعات الجديدة كترعة السلام لاستصلاح مساحة كبيرة من الأرض بسيناء. وأيضا مشروع ترعة الوادى الجديد أو الدلتا الجديدة ومدى الجدوى الحقيقية لهذه المشروعات ومدى امكانية أن يتوافر لها بالفعل كم اضافى من المياه وهل سيكون متاحاً أم لا؟.

الحقوق التاريخية المكتسبة

د. عبد الملك عودة

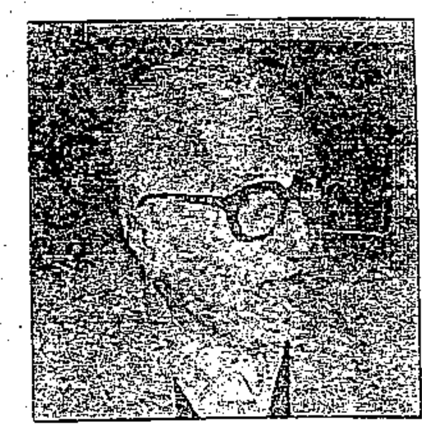
النقطة الأولى فى تقديرى تنصب على المشكلة جنوب الخط (٢٢) فلا توجد عندى معرفة دقيقة لا « بالهيدروليكا» ولا بالاصلاح الزراعى، ولكن أرى أن مصر تواجه **مشكلة تتفاقم بالنسبة للسياسة المائية المصرية تجاه الدول** التسع المشتركة فى حوض النيل.

المشكلة الأرقام أوضحتها تماماً . تقول وزارة الرى المصرية أننا نحصل على ٥ر٥٥ **مليار متر مكعب وفى عام ٩٥ استهلكنا ٦٤ ملياراً ،والمتوقع أن نستهلك عام ٢٠٠٠ ٧٣ أو ٧٤ مليار متر مكعب** ، وبما أن جميع مشروعات المياه قد تمت بانشاء السد العالى ، فلابد من مشروعات خارج الحدود المصرية.

النقطة الثانية فى الأزمة هى **أن المنطق المصرى اعتمد باستمرار على ما يسمى بالحقوق التاريخية المكتسبة.** وهذه الحقوق تقوم على مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات تمثل قسمين . الأول عقد أيام الاستعمار ،والثانى أيام الاستقلال متمثلا فى معاهدة واحدة مع السودان عام ١٩٥٩ ونتيجة هذا الوضع القانونى هو أن السياسة المصرية كانت تهتم باستمرار بمنع أية مشروعات خارج مصر حتى لا تؤثر على المياه ،واليوم الأزمة القائمة فى مصر تدفعها إلى دعوة الدول الأخرى لاقامة هذه المشروعات، ويدور الخلاف حول طبيعة المشروعات جماعية أم ثنائية. ويدور أيضا حول توزيع حصص المياه لأن مصر تستند هنا إلى ما يسمى بالحقوق **التاريخية المكتسبة** وهى قاعدة أصبح مشكوكا فيها الآن للأسباب التالية:

أولا عدم اعتراف الدول الخارجية بهذه المعاهدات.

ثانيا القانون الدولى حمال أوجه بمعنى أن هناك دائما رأيا يؤيدك وآخر يعارضك وهذا يتضح من المعاهدة أو الاتفاقية التى يجرى الآن مناقشتها فى الجمعية العامة للأمم



عبد الملك عوده

الاستناد إلى الحقوق التاريخية المكتسبة إستناداً إلى القانون الدولى وحده.. خطأ كبير

المتحدة والتي تقنن لمبادئ «هلسنكى» وشغل مجموعة القانون الدولي لمدة ٢٠ عاما .وهذه الاتفاقية تنظم المياه في الأنهار المتعددة الملكية.

وحاولت مصر في النصف الأول من اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تدخل مبدأ احترام الحقوق المكتسبة فلم تجد من يناصرها من الدول الأخرى سواء في أفريقيا أو دول المصب في أماكن أخرى من العالم، لأن **نهر النيل يمثل حالة فريدة في أفريقيا** فهو يمتد على طول مناطق مناخية وبيئية ودول متعددة ، ولم ينظم بعد.

هاتان النقطتان تجعلان مصر في موقف قانوني صعب جدا ، ومن ثم فان من يرددون أن القانون الدولي معنا فهذه هي وجهة نظرنا نحن كمصريين ، أما الدول الأخرى -ومنها **السودان** -لم تعترف بالاتفاقيات . وهناك أسباب اقتصادية لذلك وكذلك الحرب الباردة التي منعت هذه الدول من الانشاءات لكنها بدأت الآن في انشاءات جديدة . صحيح أنها سدود لكنها تمثل خطراً بعد ٢٠ أو ٢٥ عاماً لأنها ستراكم اثاراً.

واثيوبيا أيضا بدأت في الاعلان عن انشاء سدود كبيرة . وصندوق النقد والبنك الدوليين وضعا آلية جديدة لتمويل هذه السدود من ضمنها مثلاً تحديد مدة زمنية لتلقي رد دولة المصب.

ومصر -في حالة اثيوبيا - لم ترد حتى الآن رغم مرور ثلاث سنوات . ووجد البنك والصندوق أنه يمكن تمويل هذا المشروع دون انتظار لرأي مصر.

أيضا نجد أن مصر في أزمة لأن السياسة المصرية -وهذه وجهة نظري- بنت موقفها على ما أسميه أنا تفسير معين لحقائق الجغرافيا والتاريخ. فلدى صانعي السياسة والخبراء المصريين عقيدة أن الدول الأخرى مدارية واستوائية -مطرية- وأنه لا يصلح لها غير الزراعة المروية ومن ثم فهي ليست في حاجة إلى مياه النيل. **والسياسة المصرية لم يخطر على بالها أن هذه الدول قد أصيبت بالتصحر فضلا عن مشكلات اللاجئين.** وأمامها النموذج المصري عندما انشأنا السد العالي وحدثت التنمية .كذلك فالنخب السياسية الحاكمة في هذه الدول الآن- وأغلبها جاء بعد انتهاء الحرب الباردة في السودان وأوغندا واثيوبيا واريتريا وإلى حد ما في تنزانيا ،مع التغييرات الجديدة في رواندا- (هذه النخب السياسية تؤمن بنظرية التنمية الزراعية أولاً فالتصنيع الثقيل أصبح غير وارد الآن **والتنمية الزراعية لديهم تعني أمناً مائيا وزراعيا** ،ولابد وأن يكون الكلام هنا عن المياه وهذا واضح تماماً في التحركات الاثيوبية والاوغندية .)

والسياسة المصرية في نظري تواجه الآن أزمة بدأت مع انتهاء الحرب الباردة في التعامل مع هذه الدول فمن الناحية التاريخية نجد أن مصر لم يخطر على بالها الأمن القومي للدول الأخرى (٩ دول). ومن غير المعقول أن يتطابق الأمن القومي المصري في متطلباته مع الأمن القومي الاثيوبي مثلا. فهناك تناقض طبيعي. وطالما وجد التناقض فلا مفر من التفاوض وصولاً لحلول وسط.هذا هو جوهر الأزمة السياسية التي تواجهها مصر.

وهناك رأي خطير يتردد في مصر ويطالب بعدم تسييس مياه النيل ،وأن تفصل مياه النيل عن مجمل العلاقات مع هذه الدول. وفي تقديري أن هذا غير صحيح فالعلاقات الدولية الاقليمية بين هذه الدول علاقات متقلة بتاريخ كله صراعات وتناقضات -ولا أريد الخوض في محاولات مصر للسيطرة حتى المديرية الاستوائية في أوغندا وشمال الصومال -ولكن حتى خلال فترة الحرب الباردة كانت هذه الدول منقسمة على بعضها البعض وكانت بينها صراعات ، فعملية عدم تسييس مياه النيل والتي كان يتزعمها المرحوم **عبد الهادى راضى** ،وغيره الكثيرون في الخارجية المصرية هي في رأيي نظرية خطأ **ويجب أن تأخذ العلاقات الدولية مع هذه الدول في حزمة مترابطة** لانه من المؤكد ان موقف اثيوبيا من مصر بخصوص مياه النيل متأثر

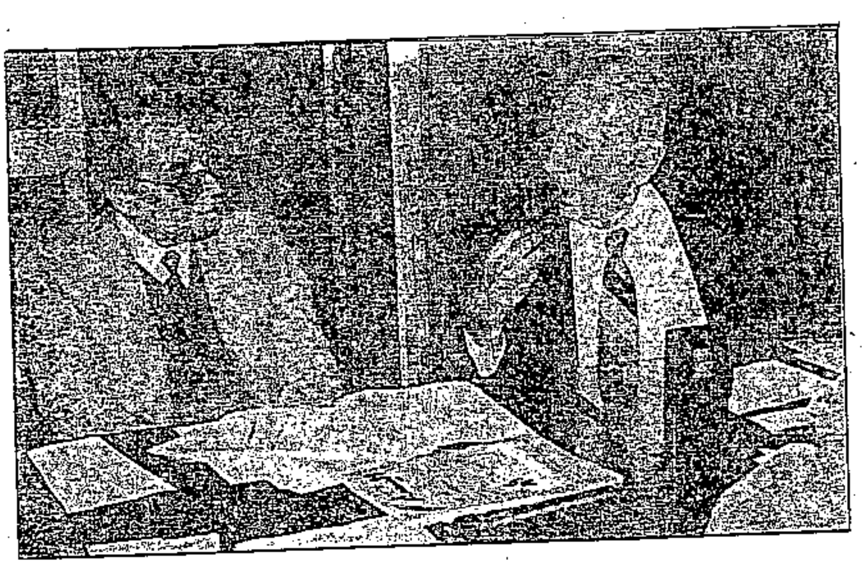
بموقفها تجاه مشكلة الصومال لأن الصومال تمثل نقطة مهمة جداً بالنسبة للأمن القومى الاثيوبى ،وتأثر موقف مصر. أيضا تجاه السودان- بعد محاولة اغتيال مبارك - فقد ذهبنا مع اثيوبيا إلى مجلس الأمن لمعاقبة السودان، ثم تغير موقفنا لأسباب خاصة بنا، وبالتأكيد ترك هذا الموقف الأخير أثراً سلبيا على التفكير الاثيوبى تجاه مشكلة المياه، وأنا من المدرسة التى تنادي بمواجهة المشكلة كجزء من حزمة مترابطة من العلاقات بالمنطقة ، أما بالاصرار على شئ لا نستطيع تنفيذه -ونحن لسنا بالدولة العظمى -فهذا موت أكيد.

النقطة الأخيرة هى أنه بانتهاء الحرب الباردة برزت الولايات المتحدة الأمريكية كسيدة للمنطقة . هناك تنافس فرنسي أمريكي حاد ولكنه ليس فى قلب المنطقة وإنما على هامش أو على محيط الدائرة **(رواندا -بروندى- زائير- وسط افريقيا)** . حقيقة نجد هناك **دوراً ايطالياً أو انجليزياً ولكنه لا يخرج عن الدائرة الأمريكية** . وأعتقد أن كل ما يقال عن دور اسرائيل وأنها تتآمر على المنطقة فيه تضخيم كبير . اسرائيل موجودة منذ أيام الحرب الباردة ،وكانت تعمل تحت مظلة حلف الاطلنطى،ومنذ انتهاء الحرب الباردة أصبحت تعمل فى دائرة السياسة الأمريكية فقط، وتمتنع عن الاصطدام مع فرنسا وغيرها بشكل واضح كما تصطدم السياسة الأمريكية ومن ثم فان **النشاط الاسرائيلى فى المنطقة يتم فى دائرة السياسة الأمريكية ومصالحها ،وهذا شئ طبيعي فاسرائيل دولة ولها نخبة حاكمة مسئولة عن الدفاع عن مصالحها**.

واذا كنا نحن أصدقاء لأمريكا- بصرف النظر عن القبول أو الرفض هنا- فاثيوبيا أيضا صديقة لأمريكا وكذلك أوغندا.

هنا يبرز سؤال هام **لماذا تنجح اثيوبيا وأوغندا فى الاستفادة من صداقتها مع الولايات المتحدة بشأن مصالحها فى حوض نهر النيل ،والحصول على دعم عسكرى ودعم تفاوضى ،ونحن لا نستطيع؟** هذه علامة استفهام يجب أن نبحث عن إجابة لها.

كذلك فالمنطقة تتجه للتنظيم الاقليمى





ويهدد الحكومات المتعاقبة فى اثيوبيا

منظمة «ايجاد» غيرت اسمها فكانت ضد التصحر أصبحت الآن منظمة للتنمية وتضم جميع دول النيل جنوب مصر بما فيها السودان فيما عدا تنزانيا والتى عرض عليها الدخول فى المنظمة ولكنها حتى الآن تفاضل بين هذا وبين أن تظل فى «سدك» -منظمة الجنوب. وفى رأيى أن هذه أيضا أزمة لأنهم يرفضون لمصر أن تأخذ دوراً فى المشكلة.

مشكلة المياه
هل هى مشكلة حقيقية

حلمى شعراوى

. أردت مواصلة الحديث بعد د.عبد **الملك عوده** لأن لى أسئلة أود من المتخصصين الاجابة عنها.

الملاحظة الأولى والتى تحتاج بالتأكيد إلى رد ، تتعلق بالجغرافية المتقلبة . فمثلا بالنسبة لمشكلة مياه النيل فنحن ظللنا نشكو لفترة طويلة من الجفاف ،وخشينا من اثارة وكيفية مواجهته . ثم نفاجأ بفترة فيضانات كبيرة وتهدد حتى بالفيض من بحيرة ناصر.. فترات الجفاف الأولى فى فترة السبعينيات ثم الفيضان فى الثمانينات ثم جفاف ثم فيضان هذه الأيام. لقد عشنا فترة احساس بالخطر الشديد عندما أرسل **عبد الهادى سماحة** وزير الرى الأسبق تقريراً لمجلس الشعب متوقعاً فيه كارثة عام ١٩٧٩ وحتى أوائل الثمانينات .

وهنا إن فكرة المخاوف الشديدة المستمرة التى تجعلنا نعيش دائما فى رعب من نقص المياه لابد من إعادة النظر فيها حتى بالنسبة لاعتبار مباشر كالاعتبار الجغرافى.

النقطة الثانية، وهى الانطباع الموجود لدى من قراءة بعض ما كتبه علماؤنا وخاصة استاذنا الدكتور رشدى **سعيد** وكما ذكرنا كما ورد فى كتابه «نهر النيل» أنه قال : «إنه لكى تقام مشروعات على نهر النيل تهدد مصر بشكل حقيقى فلن تقل تكلفتها عن ٥٠ مليار دولار» مع ملاحظة أن هذا الكتاب صدر أوائل الثمانينات والآن قد تصل التكلفة إلى ١٠٠ مليار دولار. ولا يوجد فى دول حوض نهر النيل أوضاع تنموية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية تجعل



حلمي شعراوى يتساءل:

المسرلين العالميين ينحرنها ١٠٠ مليار دولار لتهدد مصالح مصر فى مياه النيل. وأعتقد أنه لابد وأن نأخذ هذه الحقيقة فى الاعتبار.

والنقطة الثالثة خاصة أيضا بما قرأته عن أن التقنية فى استعمال مياه الرى بالنسبة لداخل مصر تتقدم بطريقة لا تجعلنى أظن أننا سنظل خاضعين لفكرة نقص أو زيادة ٤ مليارات متر مكعب هى التى ستحكمنا فى مسألة الرى فى مصر.

وأعتقد أن موجات الرعب المتتابعة هذه وراءها أجهزة اعلام ،ومن قرأ كتيب «ازمة مياه النيل» الصادر عن مركز البحوث العربية يجد فيه جزءا عن مشروع «سار ديلز» الاستاذة الأمريكية وهو عن «مياه الشرق الأوسط» وبه جملة لافتة للنظر وهى دعوة رجال الأعمال الأمريكيين ليتفاهموا معها.. ومشروع الدراسة نفسه تكلف ٥ مليون دولار. لماذا ؟ لأن رجال الأعمال مدعوون للدراسات الداعية لها عن طريق تعميم تكنولوجيا الرى الحديثة فى منطقة الشرق الأوسط.

هل تملك دول المنبع الفقيرة ما يكفي لعمل مشروعات تهدد نصيب مصر من مياه النيل؟

هناك إحساس ما بأن تكنولوجيا الرى ورؤوس أموال معينة هما اللذان يقفان وراء المخاوف المستمرة من مشكلة المياه سواء فى مصر أو الشرق الأوسط. وأعتقد أنه يجب الحديث عن تكنولوجيا الرى بالشكل الذى يظهر عدم وجود مخاوف على مياه النيل بهذا الحجم.

النقطة الرابعة وهى أن خبراء وزارة الرى والخارجية المصرية وأيضا العسكرية المصرية لا يشاركوننا هذا القلق دائما. ربما لأن لديهم من المعلومات ما يطمئنهم تجاه هذه المخاطر بالنسبة للمياه . وربما لأنهم يعرفون أكثر طبيعة المشروعات فى أعالى النيل. أو قد يكون هناك اتفاقات محددة . المؤكد أن لديهم احساس بالاطمئنان. نتيجة لحقائق أو معلومات لا نعرفها. والمطلوب مصارحتنا بها. أم أن حالة الاطمئنان التى يشيعونها حالة كاذبة ، وهو ما يطرح تساؤلاً حول مدى معرفة الجهات العليا المصرية بحقائق الموقف بشكل حقيقى.

وهل يصعب قيام مشروع تنموى واحد.. لكل دول النهر؟

النقطة الأخيرة وهى التى أشار إليها د.عبد الملك عوده عن التنظيمات الاقليمية المحيطة بدءا بتنظيم «الأندوجو» وانتهاءً بـ «ايجاد».

فهل يمكن أن نضع دائما مشروعات التنمية المشتركة بديلا لكل هذه المخاوف ؟ ومصر هنا -سواء بالنسبة لشكلة الاتفاقيات أو الاقتراب من هذه الدول والصداقات المشتركة مع أمريكا وغيرها- يمكن أن تلعب دوراً مهماً.

كانت هناك فترة من التعاون العربى الأفريقى ولم توضع فيها هذه المسألة موضع بحث ،رغم أن ما تم دفعه فى هذا المجال -التعاون العربى الافريقى- قد بلغ ما يقرب من **ثلاثين مليار دولار** تم توظيفها فى أمور تافهة جداً ولم يوضع منها مثلا ٣ أو ٤ مليارات دولار فى مشروع تنموى تكون مصر فيه هى الرائدة ويكون مقنعاً لمنطقة مثل منطقة حوض النيل. فهل هناك أية فرص لطرح مثل هذا البديل التنموى فى المنطقة؟ ودخولنا معهم بديلاً للتصارع والتهديد والتنافس بهذا الشكل.

هذه هى مجمل اسئلتى والتى اعتقد أن هناك من المتخصصين من يمكنهم أن يضعوها فى اعتبارهم اثناء المناقشة.

قضية أمن قومى

د.لواء أحمد عبد الحليم

سأتناول الموضوع من الناحية الاستراتيجية وسأشير لعدد من الخطوط إذا تطلب الأمر الاستفاضة.

الملاحظات العامة الأولية هى أنه يوجد تحذير بالفعل من الخبراء من تفاقم مشكلة ندرة المياه فى منطقة الشرق الأوسط **والصراع على موارد المياه -وليس البترول هو الذى ينتظر أن يكون مجالا للتنافس خلال الفترة القادمة**. وما لم يتم التنسيق على أعلى المستويات بخصوص هذا الموضوع ستكون احتمالات الصراع قائمة.

هذه الصراعات قد تأخذ أبعاداً اقليمية أو أبعاداً دولية لطبيعة الدول الموجودة حول النيل ،ولطبيعة المشكلة فى حد ذاتها ،وهنا **أقول إننا فى مصر لا نستطيع -رغم محاولاتنا أن نفصل مياه النيل عن باقى مشكلة المياه فى الشرق**

الأوسط. هناك ارتباط وثيق بين مشكلة مياه النيل ومشاكل المياه القائمة في الشرق الأوسط. وسأضرب مثلا صغيراً في هذا الاطار. عندما تم الاعلان عن احتمالات مد مياه النيل من مصر إلى إسرائيل، قدمت الأخيرة مشروعاً محدداً في هذا الاطار وفيه طلبت أن تأخذ كمية من مياه النيل بحيث لا تؤثر على الموارد الرئيسية لا لمصر ولا لباقي دول حوض النيل. قالت انه يوجد فائض مياه مهدر في منطقة الدلتا يلقى به في البحر المتوسط، وبالتالي يمكن احداث نوع من التعاون بين الخبراء الاسرائيليين لترشيد عمليات الري في النيل بالشكل الذي يوفر حصة من المياه يمكن توصيلها لإسرائيل. أي أن المشروع ارتكز على تعاون مصري اسرائيلي لترشيد مياه الري في مصر بما يمكن من توصيل الفاقد لاسرائيل لري صحراء النقب.

بالنسبة لمياه النيل من الناحية السياسية والعسكرية والاستراتيجية فهناك وضع خاص لمصر والسودان بصفتهما دولتي مصب، وخصوصا بالنسبة لمصر لأن السودان بها موارد مياه أخرى كالأمطار، ومعروف أنها لا تستهلك كل مواردها من المياه، والمشكلة الحقيقية تكمن في دولة المصب الأخيرة وهي مصر.

هناك نقطة أخرى يجب أن نشير إليها مباشرة وهي أن **سياسة الدفاع المصرية تهتم بالتأمين الاستراتيجي في ثلاثة اتجاهات رئيسية: اتجاه شرقي ناحية اسرائيل، والآخر غربي يصل حتى المحيط الاطلنطي، ثم اتجاه جنوبي مرتبط بدول حوض النيل وما يتبعه من تأمين زيادة الموارد وحصة مصر من المياه.**

اذن من الناحية الاستراتيجية والسياسية والدفاعية فهناك كل الاحتمالات قائمة وهناك أيضا تحليل كل هذه الاحتمالات، وهناك استعداد لتأمين مصالح مصر وأمنها القومي فيما يختص بهذه النواحي. وما يظهر على السطح الآن هو مشكلة السلام في الشرق الأوسط، وبالتالي يظهر اهتمام السياسة الخارجية بالجانب الشرقي فقط، وهذا غير صحيح على جانب السياسة الدفاعية فالقوات المسلحة مسئولة عن التأمين في كافة الاتجاهات.

اللواء أحمد عبد الحليم
في الفترة القادمة.. الصراع على المياه.. أخطر من الصراع على البترول

وأؤكد هنا على حقيقة هامة وهي ارتباط القوات المسلحة المصرية بتأمين عمليات التنمية بشكل عام وتنمية الموارد بشكل خاص.

هناك خطان متوازيان يسيران معاً- ويمكن أن نعتبرهما من المعوقات المسببة لنوع من القلق والتفكير العميق للمفكر الاستراتيجي المصري. وهي ضرورة أن تستطيع القوات المسلحة المصرية حماية كل مشروعات التنمية، ولا يمكن أن تعرض مشروعات تنموية -تكلف المليارات- للانكشاف الذي يمكن أن يعرضها لعمليات غدر أو هجوم. إذن عملية التنمية يسير معها امكانيات حماية المشروعات التنموية التي تتم، وبالتالي -دون ضرب المثل بتوشكي أو ترعة السلام أو أية مشروعات أخرى- يتم حمايتها بالقوة المسلحة اذا تطلب الأمر ذلك، والقيادة العامة للقوات المسلحة متنبهة لكل هذه الأخطار ومصالح مصر القومية مسألة جدية ولا يوجد بها أي نوع من الهزل.

وبالنسبة لنهر النيل فهو المصدر الطبيعي الرئيسي للمياه في مصر، ومن الضمانات التي وهبها الله لمصر هو عدم امكانية ايقاف سريان المياه في نهر النيل، والشئ الوحيد الذي يمكن عمله يكون بتدخل بشري والتدخل البشري قد يؤدي إلى شيئين معاكسين لبعضهما فاما ان يتدخل البشر في سياسات تضع في ذهنها مصالح دول حوض النيل بالكامل، وبالتالي تقوم بعمليات تنسيق ومداولات سياسية ودبلوماسية نشطة، والاتصال بدول المنبع. وافتراض ان حصة مصر مكفولة بالقانون الدولي فهذا غير صحيح. هو صحيح فقط طالما أنه لا توجد مشاكل بدول النيل الأخرى، ولكن اذا تأثرت بالفعل دولة من دول النيل لا نستطيع أن نقول إن القانون الدولي سيقف بجانب مصر اذا تمسكت بحصتها وتعرضت دولة أخرى للموت. وكلما تدخل البشر بالتخطيط لاستغلال مياه النهر كلما عظمت الاستفادة من هذه المياه والعكس صحيح.

وهذا يجرنا لقضية المشروعات التي تمت الاشارة إليها.

اثيوبيا والمشروعات التي قامت بها- أظنها وصلت إلى **٢٦ مشروعاً** في السبعينات مع وجود السوفيت بها. وكان الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي على أن يتم تمويل هذه المشروعات -على ما أظن- من الدول الغربية أو تحاول اثيوبيا ايجاد مصادر التمويل اللازمة لتمويل هذه المشروعات ولم يستطع الاتحاد السوفيتي أن يمول، ولم تستطع اثيوبيا ايجاد مصادر للتمويل الكافي. وبقيت هذه المشروعات متوقفة إلى أن تغير الوضع السياسي في اثيوبيا، ووصول منجستو، ثم التغيير الذي تم بعد ذلك ووصول الولايات المتحدة لاثيوبيا، وبالتالي ظهرت مرة أخرى هذه المشروعات التي نتكلم عنها، والغريب -كما قيل في ورقة الحوار المقدمة من اليسار- أن البنك الدولي قرر تمويل جزء من هذه المشروعات، وبعض هذه المشروعات لا يشكل عقبة كبيرة بالنسبة

حصة مصر من المياه، ولكن الخطورة تكمن في تنفيذ كل هذه المشروعات مرة واحدة ،وهذا لا يقع في نطاق امكانيات اثيوبيا ولا امكانيات التمويل اللازم.

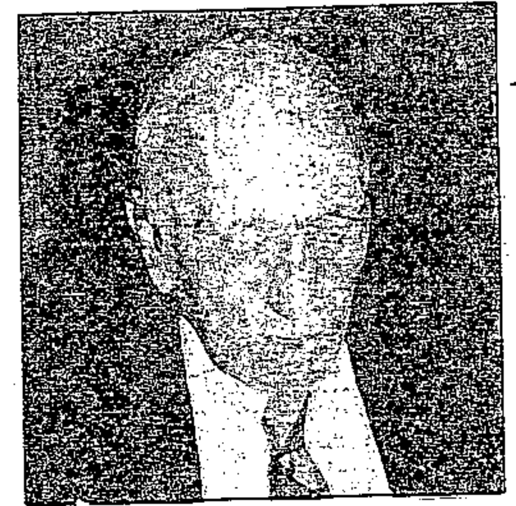
الوصول لهذه المرحلة سيتطلب المرور بمراحل سياسية مختلفة. وهنا العمل السياسي والدبلوماسي سيلعب دوراً مهماً حتى لا ندخل في أشكال الصراعات والمواجهات المسلحة لحماية حصة مصر.

ولابد هنا وأن نشير للبعد الأمني لأن منطقة حوض النيل تمثل أهمية بالغة لامن مصر -لاحتوائها على العديد من المناطق الأمنية التي تمثل تهديداً للأمن القومي **فوجود منابع ومجاري النيل -شريان الحياة الرئيسي في مصر- وأيضا تواجد السودان- من الناحية الاستراتيجية على هذا المحور**، والسودان- بصرف النظر عما يجري حالياً -عمق استراتيجي مهم لمصر. وبالتالي فان تعاملنا في المشكلات القائمة مع السودان حالياً -رغم أنها تبدو حادة بها نوعاً ما من التمثل فلولا ادراكنا لابعاد قضية الأمن القومي مع السودان لجاء رد الفعل عنيفا إلى حد المواجهة العسكرية بين الجانبين.

وأذكر أنه في أحد اللقاءات الدولية أن سألني أحد الاسرائيليين عقب محاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك. ماذا تنوون فعله تجاه السودان؟.

وأجبته بأننا لا ننوي على شئ فنحن نتعامل مع المشكلة بالسياسة والدبلوماسية ،وسألني ومتى ستوجهون لها ضربة عسكرية وأجبته أننا لا ننوي توجيه ضربة عسكرية للسودان- وعقب قائلا أننا في اسرائيل -لاتل ما يجري- نوجه ضربة عسكرية. وكان ردي نحن غيركم ولنا علاقات سياسية ويجب أن نكون حذرين في تعاملنا ،ورغم عظم الحدث الذي تم- محاولة الاغتيال-إلا أننا لا ننوي الدخول في اشتباكات مسلحة مع السودان رغم قدرتنا على اجراء هذه المواجهة ،ولكن لا نستطيع فعل ذلك لعدة أسباب منها وضع السودان بالنسبة لنا وأن هناك أموراً أكثر أهمية يجب ادخار القوات المسلحة لها. وبالطبع كنت أشير للاتجاه الشرقي لأن عملية السلام كما نراها متوترة الآن.

من هنا اعتقد أن واضعي الاستراتيجية في مصر يحددون مجموعة من الخطوط الرئيسية للاستراتيجية المقترحة أو التي يمكن التحرك في اطارها لبناء علاقات قوية مع دول حوض النيل وجوهر هذه الاستراتيجية في الواقع ليس هو العنف والقوة بالدرجة الأولى، ولكن التعاون في شتى المجالات بما يخدم المصالح القومية المصرية حالياً ومستقبلا ،وأن ينبع مفهوم أمن منابع النيل من وجهة النظر المصرية أساساً من حرص مصر على مصالح دول حوض النيل أيضا ،وليس فقط المصالح المصرية مع مراعاة القانون الدولي الذي ينظم أسلوب استغلال مياه الأنهار الدولية ومن خلال هذا المفهوم تعمل مصر على الحفاظ على مصالحها وعلى مواردها.



د. رشدي سعيد

لن نستطيع الحصول على أكثر من ٥ر٥٥ مليار متر من المياه وعلينا أن نعيش بهذه الكمية

صحيح أن هناك فائض مهدر من المياه اليوم

لكنه احتياطي ضروري للأجيال القادمة التي

ستحسن التصرف فيه.. غدا

عبد الغفار شكر

من الواضح أن المناقشة -حتى الآن- تناولت الاطار الذي يحكم مشكلة المياه في مصر بأبعاده الاقليمية والقانونية والاستراتيجية والأمنية.

وما زال أمامنا جوهر المشكلة وهو العلاقة بين الموارد والاستخدامات بالنسبة للمجتمع المصري ومستقبله وأعتقد أن د. رشدي سعيد ،ود. علي فريجي ، ود. البهي سيقدمون لنا هذا الجانب:

استحالة زيادة حصة مصر من مياه النيل

د. رشدي سعيد

أبدأ بتعليق سريع على ما طرح حول أعالي النيل.

سأل الاستاذ حلمي شعراوي عن امكانية وجود اطار عام للتنمية لكل دول حوض النيل . بالطبع هذا شئ مفضل ومفيد لكل دول حوض النيل وفي صالحها لأنه سيضمن الكفاية من المياه والعيش في سلام لهذه الدول. وهناك بالفعل خطط ومشروعات عديدة من ضمن هذه المشروعات ما طالبت به اثيوبيا -التي ترى أن مصر تحصل على نصيب الاسد وأنها مظلومة- من الحصول على ١٦ مليار متر مكعب من المياه لاستكمال الـ ٢٦ مشروعاً التي ينوون البدء فيها، وبعض هذه المشروعات للكهرباء ولن تؤثر علينا بشكل فعال، وبعضها الاخر للري وهذه هي التي يمكن ان تؤثر علينا . لو شاركنا هم هذه المشروعات- اضافة إلى

تنظيم خزان الروصيرص -لأمكننا تنظيم مشروع متكامل.

من المهم أن تجد وزارة الري المصرية مشروعاً متكاملاً لوادي النيل كله، وتعرضه على دول حوض النيل وتوضح لهم مدى استفادتهم واستفادتنا من المشروع.

أثيوبيا -كما سبق القول- تطالب لكل مشروعاتها بـ ١٦ مليار متر مكعب ومصر أقرت في اتفاقية ١٩٥٩ بمبدأ إعادة النظر في توزيع المياه اذا طلبت دولة من دول الحوض ذلك مستقبلاً. نحن نفقد جزءاً كبيراً من المياه بالبخر سواء في السد العالي أو في جبل الأولياء والذي أصبح عديم الفائدة بعد بناء السد العالي ويجب هدمه لأنه يفقدنا ٤ مليارات متر مكعب من المياه بالبخر.

وكما نعلم فان النيل الأبيض قليل الانحدار وإقامة أي سدود عليه تفقده كثيرا من المياه بالبخر.

وأيضا لو أمكننا **تخزين المياه في اثيوبيا لقللنا من مسطح المياه في السد العالي وحينئذ يقل الفاقد بالبخر لأن المرتفعات الاثيوبية التي من المفترض أن تخزن بها تتمتع بجو أفضل يقلل من كمية البخر، ومصر تفقد سنوياً حوالي ١٠ مليارات متر مكعب نتيجة البخر.** ولو قمنا بعمل هذين المشروعين (هدم جبل الأولياء- التخزين في أثيوبيا) لأمكننا كسب حوالي ٨ مليارات متراً من المياه.

وهذه المشروعات كلها على الورقة والبنك الدولي يبحثها وتتطلب اتفاقيات كبرى مع الدول الأخرى.

ولا شك أن دول أعالي النيل تمر بحالة سيئة ولسنوات طويلة قادمة لن يحدث بها تنمية . ولكن الذي لابد وأن **تعلمه مصر أن اثيوبيا يوماً ما ستطلب نصيبا زائداً من المياه اضافة إلى السودان.**

والشئ المؤكد الذي لابد وأن تأخذه مصر في حسبانها هو أنها **مهما حدث من أحداث فان حصتها لن تزيد بأي حال من الأحوال عن ٥ر٥٥ مليار متر مكعب**، وهذه الحصة هي السقف الذي لن تستطيع اختراقه، وسيكون من الصعب رفع حصتنا لأن دول حوض النيل ترى أننا نأخذ أكبر من حقنا، وهناك وعي مائي لدى دول أعالي النيل ويتساءلون لماذا أعطى المياه لمصر حتى السبعينيات من هذا القرن كنا نفكر في القيام بمشروعات في أعالي النيل لتزويد حصتنا من المياه، وعملنا قناة «جونجلي» واتفقنا مع السودان على تحمل نصف المصروفات وأخذ نصف كمية المياه المتوفرة منها (٢ مليار متر مكعب) وتعطل المشروع بعد اندلاع الحرب في جنوب السودان.

باختصار لن نستطيع الحصول على أكثر من ٥ ر٥٥ مليار متر مكعب، وعلى مصر أن تعيش بهذه الكمية، واذا استطاعت الدبلوماسية المصرية الحفاظ على هذه الكمية (٥ر٥٥ مليار متر) كما هي سيعد هذا انجازا كبيرا لها. الضغوط شديدة جدا وستحدث مشكلات مستقبلا حول حصص المياه.

والقول بوجود جزء فائض ومهدر من المياه في مصر فهذا حقيقي، وأنا سعيد بما ذكره اللواء أحمد عبد الحليم عن حواره مع الاسرائيليين- وأعلم أنهم -أي الاسرائيليين يقولون في المؤتمرات الدولية أن مصر تلقي في البحر الأبيض كمية من المياه تماثل كمية المياه في اسرائيل فما المانع من تزويدهم بها؟.

والرد على هذا هو **أن هذا الفائض المهدر احتياطي لنا ولأولادنا من الأجيال القادمة ، واليوم اذا كنت أهدر الفائض سيستطيع الجيل القادم الاستفادة به أكثر.**

السياسة المائية في مصر طوال القرن الماضي كانت مبنية على أساس أننا نريد زيادة حصتنا المائية، وبدءاً من اليوم لابد وأن نغير هذه السياسة للعيش داخل اطار الـ ٥٥،٥ مليار متر مكعب ويوجد في **وزارة الري مشروع للاستفادة المثلى من مياه النيل- أي ترشيد استخدامها والمشروع مدته ٢٠ عاماً ينتهي عام ٢٠١٧ بهدف الاستفادة من كل المياه المهدرة.** جزء من هذه المياه المهدرة نتيجة مجرى نهر النيل نفسه لعدم وجود شندورات بحالة جيدة بحيث تستطيع المراكب السير في خطوط معينة مما يوفر من كميات المياه التي لابد من توافرها للملاحة النهرية وأيضا نتيجة عدم تطهير الترع ، لأننا **نفقد ما لا يقل عن ٢ مليار متر مكعب من المياه لنقل المياه من الخزان لنهاية الترع.**

ولابد من اعادة تنظيم كل طرق الري في مصر بما يسمى بـ (أرانيك الترع) أو مقاطع الترع بحيث تنساب فيها المياه بأقل نسبة فاقد. كل هذا يمكن أن يوفر لنا كميات اضافية من المياه بالاضافة لترشيد المحاصيل الزراعية وتغيير التركيب المحصولي.

ويستحق موضوع التركيب المحصولي وقفة حقيقية فالمأساة أن الحكومة المصرية في المدة الأخيرة لجأت إلى اقتصاديات السوق وتحرير الزراعة ولم تعد تقوم بعمل تخطيط مركزي للتركيب المحصولي، وتركت للفلاحين زراعة ما يريدونه، وهذا في حد ذاته يؤدي للتبذير في المياه.

واليوم بعد البدء في عمل قناة توشكي قررت الحكومة تقليص المساحات المزروعة أرزا على سبيل المثال، وهو ما يتعارض مع اقتصاديات السوق وتحرير الزراعة ، **فهناك صعوبة حقيقية في الجمع بين مبدأ الحرية الاقتصادية الكاملة في مجال الزراعة والتركيب المحصولي والتخطيط المركزي وبدون هذا التخطيط والتدخل في التركيب المحصولي يستحيل ضبط التركيب المحصولي ، وبالتالي ضبط استخدام** مياه النيل.

عبد الغفار شكر

القضية المركزية عند **د. رشدي سعيد** هي عدم وجود امكانية حقيقية لزيادة كبيرة في حصة مصر عن الموارد المتاحة حاليا من مياه النيل، وبالتالي فالتعامل مع الكمية الحالية لا مفر منه.

إعادة النظر في السياسة المائية

د. البهي عيسوي

سأركز على موضوع ما نملكه من المياه في مصر.

هناك مياه النيل والمياه الجوفية. ونحن كمصريين لدينا تصور غريب عن أن مياه النيل لا تنضب! وكثير جداً من المسئولين أيضا يعتقدون ذلك.

ويمكن أن يكون هذا التصور منعكساً على تفكيرنا وفي كل مشروعاتنا. فأنا مثلاً **اتخيل ان ننشئ بنية أساسية بالساحل الشمالي تكلفني ما يقرب**

من الـ٢٤ مليار جنيه من أجل حفنة قليلة من الناس وأخصص لهم جزءً من مياه النيل تنقل إليهم. وأيضا لا أتصور ان احد قد سأل نفسه عن مصير المياه التى قد بها مناطق البحر الاحمر كالغردقة وهل ستستمر وإلى متى؟.

وإذا كان عندنا ٥ر٥٥ مليار متر مكعب من مياه النيل . فهناك أيضا الامطار في الساحل الشمالي وسيناء.

تحدثنا ولسنوات طويلة عن المياه الجوفية ، وكان هناك اعتقاد خاطئ لدينا وهو أن مخزون المياه الجوفية سيجعلنا قادرين على القيام بمشروعات كبيرة جداً .وقد بدأ هذا الحديث منذ أيام الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** وتحديدا سنة ١٩٥٩ عندما قال انه سيزرع ٦ مليون فدان بالواحات (الوادى الجديد). وظللنا نعمل بالواحات منذ بداية المشروع وحتى عام ١٩٦٤ أو ١٩٦٥. وتدريجياً اكتشفنا أننا نسير في طريق خاطئ تماماً كنا نحسب أن المياه الجوفية متجددة ، وأنها تأتى من أعالى النيل لتصل إلى مصر ثم اكتشفنا **أن الخزان الجوفى محدود جدا وغير قابل للزيادة** .والدليل على ذلك أن كثيراً من القرى بالواحات الداخلة والخارجة والبحرية ماتت وأصبحت تاريخا مندثراً تحت الرمال.

وللأسف نحن نتعامل مع المياه بسياسة غريبة.

نقرر توصيل مياه النيل إلى سيناء ، دون أن نسأل هل سيناء فى حاجة إلى مياه النيل؟!.

الامطار تسقط فى سيناء بكميات تتراوح بين ٥٠ ملى متر جنوبا إلى ١٠٠ ملى متر شمالاً . ولا توجد منطقة فى مصر تسقط عليها مثل هذه الكمية من الامطار .ومنذ زمن بعيد علمنا د. رشدى سعيد أن سيناء ليست صحراء بطبيعتها وإنما هى صحراء صنعها الانسان.

ومنذ سنوات وأثناء تولى د. عصام راضى لوزارة الرى، حدث ان الرئيس حسنى مبارك نظر على خريطة مصر مصورة بالاقمار الصناعية فوجد صحراء النقب الخاضعة لاسرائيل خضراء وسيناء صحراء!!!

ووجد أن الحدود بين مصر واسرائيل أصبحت طبيعية جداً وانزعج الرئيس مبارك من هذه الصورة وطلب تفسيرا لها. وكلفنا بالذهاب إلى سيناء من سنة ١٩٨٩ وحتى سنة ١٩٩٤ وقمنا بجهد عظيم هناك وحفرنا أكثر من بئر للمياه وعلى جميع نقاط الحدود وضعنا عدة أبيار واستخرجنا كمية كبيرة من المياه .**وقدرت المياه الموجودة فى جزء من هذه المناطق بـ ٣٦ تريليون متر مكعب من المياه-أى ٣٦ وأمامها ١٨ صفراً-وأنا مندهش لأن هذه الأبيار أغلقت ولم يعد أحد يزرع هناك.**

وهذه المياه متجددة فكما قلت من قبل فقد حسبنا بدقة كميات مياه الأمطار الساقطة سنوياً ، ونستطيع أن نأخذ منها ما نريده

فهل من المنطقى أن نهمل هذه المياه ونوصل مياه النيل إلى سيناء؟!.

المثل الآخر الذى أريد الاشارة إليه هو **جنوب الصحراء الشرقية، (جنوب مرسى علم حتى الحدود المصرية السودانية). هذا الجزء تقع عليه أمطار موسمية سنوية** ، لدرجة أن كل قبائل العبابدة والبشارية عندما ينضب الماء شمالاً يتجهون جنوباً لوجود الأمطار . هذه المنطقة أيضا من المناطق المجهولة التى لم يتكلم عنها أحد، ولم نفكر فى اقامة سدود صغيرة مثلا لحجز مياه الأمطار.

أما عن الاهدار فى المياه فهو كثير ونأخذ **منطقة سيوة** كمثال آخر وسنجدها تعانى من كثرة المياه ولا أحد مطلقا فى مصر فكر فى استغلال مياه سيوة وهى على بعد متر واحد من سطح الأرض، ولهذا فسدت الأرض هناك فسد النخيل، وتحولت طرقات سيوة وبعض اثارها إلى سراد ملحية.

وعندنا مثلا عين شمس(**عين القطار**) حفرها عماد البترول فى السبعينات ولا زالت حتى اليوم تعطى كمية من المياه ضخمة جداً .وهى تقع جنوب **العلمين** .وأيضا لا أحد يستفيد من المياه الضائعة على مدى أكثر من ٣٥ عاماً.

النتيجة التى أريد الوصول إليها هى أن هناك اهدار شديد فى مواردنا المائية، وإنه ليس هناك سياسة مائية محددة.

وأتذكر عندما ترك الاسرائيليون سيناء سنة ١٩٨١ وذهبنا إليها كلجنة من وزارة الرى .وكنت عضواً بها بصفتى مسئولا



د. البهى العيسوى يروى قصة الصورة التى انزعج لها الرئيس مبارك و التقطتها الاقمار الصناعية لصحراء سيناء

مواردنا من مياه الأمطار وفيرة متجددة.. لكننا نبددها

بالمساحة الجيولوجية في ذلك الوقت وكان وقتها أيضا يتردد الكلام عن الترشيد وعن ضرورة تعليم الفلاحين الري بالتنقيط بدلاً من الري بالغمر. **واكتشفنا أننا نحتاج إلى ما يقرب من ٣٥٠٠ مليون جنيه- بأسعار سنة ٨٠- لتعليم الفلاحين طرق الري الحديثة** .ونحن فعلا نحتاج لاعمال هذه الفكرة اليوم .ولا نستطيع أن نقول أننا سننفذها خلال سنة أو اثنتين وإنما يمكن تنفيذها خلال ٥٠ عاماً مثلا.

وأقول لو استفدنا بكميات المياه الموجودة ببناء بعض السدود البسيطة جداً في المناطق الصحراوية سنوفر كثيرا جداً من المياه ،وأنا متأكد أن جزءاً كبيراً من المياه الذاهبة إلى سيناء لا لزوم له إطلاقاً ، وكذلك المياه الذاهبة إلى الساحل الشمالي يمكننا الاستعاضة عنها بالمياه الجوفية الموجودة بالواحات الغربية ولابد من إعادة النظر في السياسة المائية المصرية بطريقة علمية، ولابد وألا تطغى السياسة على العلم في هذا المضمار.

تناقص نصيب الفرد من المياه والارض والغذاء

د. علي نويجي

سأتكلم بمشاعر فلاح يعيش بالقرية وموضوع المياه يمثل بالنسبة له هاجسا مخيفاً.

لقد تربيت في قلب الخوف من المياه وحضرت فترة ما قبل السد العالي عندما كان النيل يكسر الجسور. وحضرت الجفاف الذي كان يؤدي بنا لانتقاد المياه لمدة تقترب من الثلاثة أشهر وكنا نحفر ابياراً للشرب. وحضرت الأيام التي كانت تمنع فيها الحكومة زراعة الارز، فأنا عندي دائما هاجس الخوف من المياه سواء كانت المياه قليلة أو كثيرة.

وهذا الخوف يجرني للحديث عن أمور تحتاج لأن نلقي عليها كثيرا من الاضواء.

أولا : لا أعتقد بصحة القول بأن المياه في مصر كافية لأننا ومنذ خمس سنوات نسمع شكاوى كثيرة عن عدم وصول المياه لنهاية الترع تماماً هذه حقيقة.

والحقيقة الثانية رقعة نصيبنا من المياه العذبة المتجددة **٥ر٥٥ مليار متر مكعب من مياه النيل و٤ر١ مليار متر من الأمطار على الساحل الشمالي أي بمجموع ٩ر ٥٦ مليار متر مكعب** .عدد سكان مصر اليوم ٦٢ مليون نسمة وتزيد سنوياً بمقدار مليون و٣٠٠ ألف نسمة. وقد تردد. صبحي عبد الحكيم أننا في عز موجة التضخم السكاني وهذا يعني أن هذا النصيب من المياه العذبة المتجددة والذي نوزع على أساس **٧ر٧ مليون فدان** ، ويكون نصيب الفرد منه ٩٠٠ مترا مكعب ، و٥٢٠ متر مربعاً من الأرض لا يكفي لا الأكل ولا الشرب هذا ما أدركه على ضوء معايشتي للواقع ، وطبقا للحسابات الرقمية. وبالطبع عندما أنظر إلى مياه النيل أكذب نفسي، ولكن عندما أعيش الواقع في القرية أجد أنه من الضروري التدبر نوعاً ما في مسألة المياه.

الخطر الاساسي الذي أتصوره ليس في منع اثيوبيا المياه عنا أو عدم منعها ، وإنما الخطر الاساسي هو الزيادة السكانية المستمرة **الأمر الذي يؤدي لتناقص نصيب الفرد من المياه والأرض والغذاء**. والدعوة الخاصة بشراء الغذاء من الخارج مردود عليها بأن الانتاج العالمي من الغذاء يقل أيضا. وهناك تطلعات بعض المناطق التي بها مجاعات للحصول على أنصبة من الغذاء العالمي أكثر مما نحتاجه نحن ولا نتصور أن وجود أسواق عالمية للغذاء يشكل حماية لنا. **نحن في أزمة حقيقية سواء من ناحية موارد المياه أو الأرض أو الغذاء وهذه الأزمة ستزداد سنة بعد أخرى.**

هذه الموارد البسيطة من المياه تبدد جزءا كبيراً منها .والفاقد ذكرته وزارة الري عام ١٩٧٩ في خطة تطوير الري وقالت إن **الفاقد من مياه النيل المنصرفة من السد العالي يبلغ ٢٥٪** منهم ١٤٪ من الترع الرئيسية وحتى المساقي و١١ ٪ من المساقي وحتى الحقول . وسمعنا عن خطط للري وتطوير مجرى النيل وانشاء محطات تحكم آلي. وفوجئنا في نوفمبر الماضي ١٩٩٦ بما قاله المرحوم **عبد الهادي راضي** -في جامعة القاهرة- من أن المفقود من مياه النيل يصل إلى ٣٥٪ وهذا شئ خطير.

ومن ناحيتي أصدق هذا القول لأن المشروعات التي قامت بها الوزارة لتقليل الفاقد من المياه هي مشروعات لم تتم وخيالية .والطلبات التي تطلبها الوزارة من الفلاحين طلبات خيالية ، فمثلا قالت الوزارة إنها ستقوم بانشاء

> د. علي نويجي
>
> الخلاف بين وزارتي الزراعة والري قضية سياسية أخطر من أن تترك للفنيين وحدهم

غارة مجهولة دمرت كل معدات مشروع قناة جونجلى

النشاط الاسرائيلى فى حوض النيل فى اطار السياسة الامريكية



السفير وفاء حجازى

«بوابات الغسى» لحجز المياه ،وتهالكت هذه البوابات وأكدت الوزارة أنها ستستبدلها. وبالفعل قامت بالمشروع سنة ١٩٨٠ على أن ينتهى سنة ١٩٨٤ . ولكنهم انتهوا منه سنة ١٩٩٦.

ونقطة أخرى خاصة بوسائل الابلاغ فما زالت بدائية وقالت الوزارة أنها ستقوم بتنفيذ مشروع «التليمتر» والتحكم الآلى ولم ينفذ شئ حتى الآن.

وفى غيبة التخطيط السليم للزراعة بدأت المحاصيل كلها تحتشد من الشتوى والنيلى إلى الصيفى ،وأصبحت متطلبات الصيف عالية جداً وأصبحنا **نحتاج فى شهرى يوليو وأغسطس من ٨-٩ مليارات متر مكعب من المياه ،وشبكة الرى نفسها لا تحتمل أكثر من ٧ مليارات متر** ،وحين نحمل الشبكة بأكبر من طاقتها نجد الترع الكبيرة (الرئيسية) قد فاضت بالمياه فى حين تجف الترع الصغيرة (الفرعية).

ولابد وأن تنادى وزارة الرى بتوحيد الزراعات حول الترع الفرعية ليمكن الوصول إليها بالمياه ،وهناك **تضارب بين وزارتى الزراعة والرى حول فكرة التركيب المحصولى** ،وأتصور أن ما يهدر من مياه النيل فوق ما يتصوره الانسان ولن أقول أنه جريمة بل خطأ بالغ يجب رصده و معالجته ولا نترك هذه المعالجة لوزارة الرى وحدها لأن موضوع الرى هذا أخطر من أن يترك للمختصين بل يعتبر مسألة الرى سياسية بحتة.

وأتصور أن يعالج الموضوع على أوسع نطاق وليس على المستوى الفنى فقط فى الأروقة.

ولى كلمة خاصة **بموضوع استخدام مياه الصرف فى الزراعة فنحن لدينا ٧٢ مصرفاً يصبون فى النيل وتستخدم مخصبات صناعية تصل لـ ٧ مليون طن فى الزراعة يذهب جزء منها لمياه الصرف، ومن هنا فان الصرف الزراعى ملوث بالصرف الصحى.**

ولى سؤال كم من المياه سنحصل عليها من مياه الصرف؟.

ولو قمنا باجراءات بسيطة جدا كتبطين الترع وإعادة «أرنكة» الترع سنوفر كثيرا من المياه.

غارة مجهولة على «جونجلى»

وفاء حجازى

يهمنى أن أشير لبعض الجوانب الخاصة بالجهود الدبلوماسية التى بذلت فى محاولة لايجاد علاقات وطيدة مع دول حوض النيل ،ومحاولة الوصول معها لتفاهم بشأن المياه.

اثارت اتفاقية ١٩٥٩ بين مصر والسودان ضجة كبيرة بين دول حوض النيل ،وكلها تقريبا اعتبرت أن هذه الاتفاقية تحررها من أية اتفاقيات وقيود سابقة .وكانت حصص المياه التى تم تخصيصها خلال اتفاقية لندن قد أقرت لمصر ٥,٥٥ مليار متر مكعب.

كانت مصر منتبهة لذلك ،وقمنا فعلا باجراء اتصالات مع دول الحوض كان من نتيجتها انشاء منظمة «**الاندوجو**» وكان هدف المنظمة الأساسى ايجاد نوع من التنسيق بين دول الحوض لمحاولة تطوير وتنمية المصادر المائية من النيل، وعندما يتكلمون عن المصادر المائية كانوا يقصدون الأمطار التى تسقط على كينيا والروافد الموجودة فى أثيوبيا والتى يمكن لباقى الدول الاستفادة منها . للأسف لم تحقق هذه المنظمة أى نتيجة حاسمة أو فعالة فى الغرض الذى أقيمت من أجله لأن دولة مثل اثيوبيا مثلا فضلت المشاركة فى المجموعة كمراقب لأنها شعرت أن المسألة مجرد مناورة دبلوماسية بغرض الضغط عليها للدخول فى ارتباطات تعود بفائدتها على مصر ولا تستفيد منها اثيوبيا التى كانت على رأس الدول التى تنادى باعادة النظر فى الاتفاقيات الخاصة بتوزيع حصص المياه.

وفى هذا الوقت كان هناك أيضا مشروع قناة «جونجلى» وكان قد نفذ منه ما يقرب من ٧٠٪ ،والباقى ٣٠٪ منه فقط ،وفى هذه الاثناء احتدم الصراع السودانى بين الجنوب بقيادة «جارانج» وبين الحكومة فى الشمال.وحدث شئ غريب جدا لم نعرف مصدره حتى الآن، وهو أن **قامت بعض الطائرات بالاغارة على المناطق التى كان يجرى بها العمل فى منطقة «جونجلى» وقصفت كل الآلات والمعدات المستخدمة فى الحفر ، ولم يعرف أحد من أين أتت هذه الطائرات، وأشارت أصابع الاتهام لاسرائيل بخصوص هذا الموضوع ثم اشارت لجهات أخرى.**

وكان من المعنيين باجراء اتفاقيات مع دول الحوض فى هذه الاثناء **الدكتور بطرس غالى** الذى اقترح الاستفادة من المشروع الذى كانت تقوم الأمم المتحدة بترتيبه و الخاص بالتعاون بين دول الحوض ،وكان من رأيه أنه يمكننا اغراء دول حوض النيل بالتعاون معها بعيداً عن نطاق وزارة الخارجية بل عن طريق الفنيين الذين يعملون تحت مظلة الأمم المتحدة ، وبالفعل جرى اتصال بالأمم المتحدة فى هذا الشأن وكانت

هناك مندوبة فى تونس جرى الاتفاق معها على محاولة تنظيم مؤتمر أو اجتماع تحضره دول حوض النيل التسع للبحث فى شأن التعاون فى توزيع مياه النهر واستثمارها.

وكانت الفكرة هى أن تدخل دول حوض النيل فى نوع من العلاقات يمكن أن تتطور للوصول إلى تفاهم ،وكنا نؤكد على تنمية موارد النهر ،وتطويرها ،وبالفعل جرى اتصال كان من المفروض أن يسفر عن اجتماع فى تنزانيا عام ١٩٨٨ وقبلت معظم الدول الحضور وكانت اثيوبيا مترددة إلى حد ما ،وتم تحديد موعد للاجتماع وفجأة امتنعت معظم الدول عن حضوره!!

هناك حدث آخر وقع وكان مثيرا للشبهات ففى عام ١٩٨٦ تمت **الدعوة لندوة دولية بجامعة «جورج واشنطن»** وكان موضوع الندوة «**مصادر المياه فى الشرق الأوسط**» .كانت هذه الندوة تطلب من الدول ايفاد مندوبين لها، وفوجئنا ان اسرائيل كانت من بين الدول المدعوة لهذه الندوة ،وكان معنا وكيل وزارة الرى وتنبه إلى وجود اسرائيل وقال أنه حتى لو تكلمنا عن مصادر المياه فى الشرق الأوسط فاسرائيل لاوجود لها فى هذه الندوة لأنه لا يوجد بها أية مصادر للمياه ،وكان المثير للشبهات والشكوك عقد مثل هذه الندوة فى ذاك الوقت ومشاركة اسرائيل.

وأعتقد أن هذه الندوة قد لعبت دوراً أساسياً فى أغلب المشاكل التى نواجهها اليوم فى المنطقة الافريقية. **فقد تم تثبيت ان اسرائيل جزء من هذه المنطقة وأن لها حقوقا مائية يجب النظر فيها**للأسف الشديد هذه الندوة ظلت تعقد سنويا ومصر رفضت حضور هذه الندوة حتى لا تعطى لاسرائيل الحق فى مناقشة هذه المسألة ،وكنا نحضر كمراقبين فقط.

إلى أن عقدت هذه الندوة فى احدى السنوات بالقاهرة وشاركت فيها مصر!!

توضيح من مدحت الزاهد

بخصوص ما تردد عن عدم قلق وزارة الرى من وجود مشكلة للمياه فى مصر.

ففى عام ١٩٩٤ عقدت ندوة بكلية الاقتصاد بجامعة القاهرة حول «**مستقبل المياه ورؤية مدرسة الرى المصرية**» وكان مقدموا الابحاث جميعهم من خبراء وزارة الرى، وكان اللافت للنظر فى كافة الابحاث المقدمة هى أنها كانت تتحدث عن **اقتراب مصر من خط الفقر المائى.**

وأيضا **المهندس عبد الهادى راضى** وجه رسالة لمؤتمر تنمية بحيرة ناصر والذى عقد فى أسوان قال فيها :«**أنه لا توجد قطرة مياه واحدة لتنفيذ مثل هذه المشروعات**».

من المسئول عن المياه فى مصر
د. عبد الملك عوده

أريد توضيح عدة نقاط قبل الانتقال إلى شمال الخط(٢٢) **(الأوضاع داخل مصر)**

أولا الكلام عن «**الاندوجو**» غير صحيح فلم يقع ضمن اختصاصها ابدا مسألة مياه النيل وكان التصور انه اذا حدثت التنمية اوالتعاون الاقتصادى والحديث عن كل موضوعات التجارة والنقل أن نخلق جواً من الثقة يجعلنا نستطيع التحدث عن المياه ،ولم تكن منظمة **الاندوجو** لها صلة مباشرة بموضوع مياه النيل،ولهذا ماتت هذه المنظمة.

ثانيا مشروع الأمم المتحدة اصطدم بأن جميع الدول جنوب خط ٢٢. ترى أن موضوع المياه موضوع سياسي يجب مناقشته على مستوى رؤساء الدول ووزراء **الخارجية** . أما أن نرسل مهندسى الرى مع احترامنا لكفاءتهم فهذا غير مقنع لهذه الدول.

ثالثا بالنسبة لبحيرة فيكتوريا فهى تواجه الآن نقصاً فى منسوب المياه ومن يتذكر **اتفاقية ١٩٩١ بين مصر وأوغندا** كان هناك تصور مصرى ،وآخر أوغندى وكينيا ،وتصور للبنك الدولى. عن وجود نقص فى مناسيب المياه فضلا عن وجود ورد النيل الذى يمتص جزءا كبيراً من المياه فى بحيرة فيكتوريا.

رابعا بالنسبة للحديث عن مشروعات «**جونجلى**» فأنا أرى أنه متفائل فكل ما تم انجازه هو «**جونجلى ١**» ولو كانت باقى المشروعات قد استكملت مثل «**جونجلى - ٢**» و«**مشار**» و«**بحر الغزال**»لأمكننا توفير ١٨ مليار متر مكعب نقسم بيننا وبين السودان نصيبنا منها ٩ مليارات ونحن نحتاج حالياً إلى ١٠ مليارات متر فوق حصتنا ٥٥٫٥ مليار ،مع الوضع فى الاعتبار اننا عام ٢٠٠٠ سنحتاج إلى ما يقترب من الـ ٧٤ مليار متر مكعب من المياه.

خامسا النقطة الاساسية جنوب الخط ٢٢ خاصة بتوزيع الحصص والكل مقر بانه لابد لمصر من حصة ،ولكن لابد من اعادة توزيع الحصص بشكل مختلف، **وليست اثيوبيا فقط التى تنادى بهذا ولكن كينيا أيضا تشكو من تعلية سد «أوين» وتأثيره على الرى غرب البلاد ،والسودان يعرب -ليس على المستوى الرسمى ولكن على المستوى الشعبى- عن رغبته فى اعادة النظر فى اتفاقية ١٩٥٩.**

اذن المشكلة هنا تكمن فى اعادة توزيع الحصص ،وهذا يعنى التفاوض . لأنه حتى لو سلمنا بعدم وجود خطر عاجل وماس بحصتنا فى المياه الحالية فاننا نريد زيادة حصتنا ولهذا لابد من اقامة مشروعات خلف الخط٢٢.

والنقطة الأخيرة والتى تحتاج للحديث عنها بصراحة هى **من المسئول عن المياه فى مصر!!** ومن هى المؤسسة المسئولة ؟ وأنا فى تقديرى أن وزارة الرى لست هى المسئولة الوحيدة . **وإنما وزارات الرى والخارجية واستصلاح الأراضى والزراعة والقوات المسلحة والمخابرات العامة ومؤسسة الرئاسة كل هؤلاء مسئولون** .

-**وهنا نأتى لسؤال كيف تدار سياسة الرى فى مصر؟.وما هى الجهة صاحبة القرار فى النهاية؟.**

هذه نقطة اساسية ومهمة ولم يناقشها أحد، وأخيرا سمعنا عن لجنة تابعة لمجلس الوزراء برئاسة وزير الرى تمثل فيها عدة جهات ما ولم يذكروا ماهية هذه الجهات ! وما هى النتائج التى توصلت إليها!.

عبد الغفار شكر

قبل أن ننتقل لمحور آخر من المناقشة أسمحوا لى أن أضع أمامكم عدداً من القضايا اعتقد أنها مثار اتفاق فى المناقشات حول المحور الأول.

هناك اتفاق على وجود مشكلة مياه تواجه مصر وجوهر هذه المشكلة يكمن فى**احتياجاتها المتزايدة فى حين أن الموارد محدودة وثابتة.**

ان هذه المشكلة لها **أبعاد اقليمية** متصلة بعلاقة مصر بدول حوض النيل ،وانه فى هذا الاطار نجد أن موقف مصر القانونى صعب فيما يتعلق بحقوقها المكتسبة ،وانه توجد احتمالات للمطالبة باعادة توزيع

الحصص وبالتالي فان الحق المكتسب غير مضمون.

هناك بعد آخر وهو أن هذه **المشكلة مرتبطة أيضا بمشكلة المياه في الشرق الأوسط** الأمر الذي يدخل اسرائيل كطرف للمطالبة بحصة مقابل إسهامها بتوفير الفاقد المزعوم!!

- في هذا الاطار ،**لا يتوقع أحد زيادة الكمية الخاصة بمصر من مياه النيل**،وإنما هذه الكمية- حتى لو تمت مشروعات بدول المنبع - ستكون استفادة مصر منها محدودة ،والمسألة خاضعة لأوضاع كثيرة ليست كلها في يد مصر ،وبالتالي قدم البعض اقتراحاً بأن تهتم مصر بدول حوض النيل وليس فقط في إطار سياسة مائية وإنما كحزمة مترابطة من العلاقات المتكاملة ،ومن ثم التفاهم حول توزيع حصص المياه.

-فيما يتعلق بموارد مصر من المياه الأخرى فهناك أفكار كثيرة تم طرحها. وهناك حقائق كثيرة ظهرت خلال هذه الندوة من وجود **مياه جوفية ومياه أمطار بسيناء، وجنوب الصحراء الشرقية وشمال الصحراء الغربية**. وهي كلها لم يتم الاستفادة منها على الوجه الأكمل وإنه لابد من بذل جهود كبيرة في هذا الاتجاه، وأنه توجد امكانية لتوفير الفاقد بالاضافة للاستفادة من مخزون المياه الجوفية، وحتى الاستفادة من مياه الأمطار باقامة سدود صغيرة في بعض المناطق. كل هذه الأشكال توفر لمصر كميات اضافية من المياه الخاصة بها سواء من الأمطار أو المياه الجوفية أو تقليل الفاقد أو ترشيد الري وتطوير نظمه.

وفي هذا الاطار طرحت فكرة أنه **لابد من وجود اطار مؤسسي ينسق السياسة المائية لمصر بين كل الجهات المعنية**.

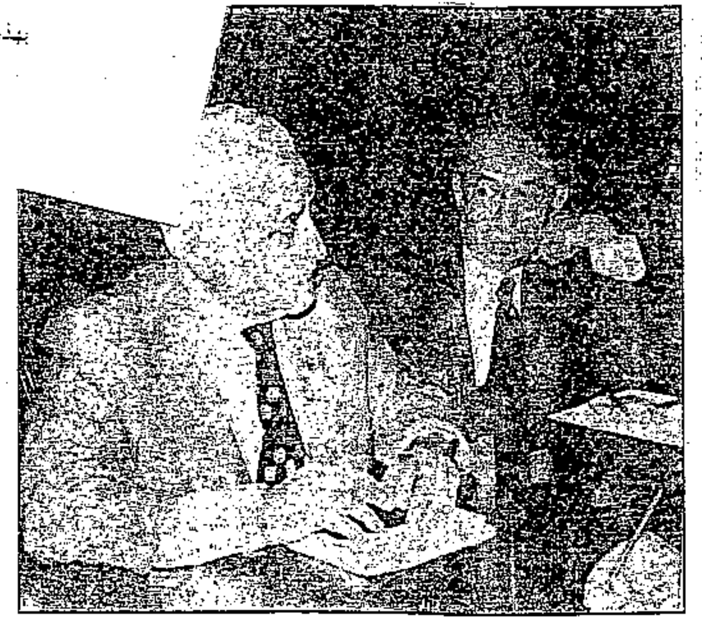
والآن ننتقل إلى المحور الثاني والذي يتناول المشروعات الكبرى المطروحة حالياً(ترعة الوادي الجديد- ترعة السلام)؟.

مشكلة مصرف.. أولا

د. البهي عيسوي

موضوع توشكي والدلتا الجديدة موضوع شابه في الغرابة .كيف بدأ وكيف انتهى؟.

لا أحد يدري !!



حسين عبد الرازق يتابع باهتمام حديث الحقائق والبيانات من د. البهي العيسوي

بدأ الحديث عن الموضوع كله عندما ارتفع منسوب مياه بحيرة ناصر إلى ١٧٨ متراً تكلموا عن **ترعة الوادي الجديد**. قبلها بأشهر قليلة كان الكلام يدور حول أخذ كمية من المياه **جنوب قناطر إسنا** وتوصيلها للواحات هذه هي البداية الحقيقية .مؤخرا سمعنا من رئيس الوزراء **كمال الجنزوري** عن وجود بدائل عديدة لم يسبق لأحد أن سمع بها فمثلا قيل أنه ستؤخذ مياه من **أمام قناطر أسيوط** وتوصيلها للواحات أو من إسنا للواحات وأخيراً انتهت الفكرة إلى الترعة الحالية، **ولم يكن الكلام من قبل عن هذه الترعة وإنما كان الكلام عن مفيض توشكي واستغلال** جزء منه **وتوصيله للواحات**.

طبيعة هذه المنطقة أننا نجد النيل ثم خور توشكي ثم هضبة ضخمة جدا ارتفاعها ٤٠٠ متر المستوى ١٥٢ متر فوق سطح البحرخور توشكي ١٧٨ متر قيل في البداية أنه سينتقل المفيض جزءاً منه وسيصل إلى نقطة يواجه مرتفعاً، هضبة صغيرة يتم كسر هذه الهضبة ويلف حول الجبل ويتجه للواحات. كانت هذه هي البداية .الفكر العام أن يأخذ من نهاية مفيض توشكي. مفيض توشكي قناة تأخذ من البحيرة،وهذه موجودة أصلا وتقترب على الواحات.

فجأة عدل عن هذا التصور بسبب مجهول .وقيل إنه سيتم أخذ المياه من شمال المفيض على بعد ٣٠ كيلو ، ثم اتجه للجبل مباشرة وأرفع المياه من حوالي ارتفاع ١٧٠ متراً فوق سطح البحر إلى قمة الهضبة وارتفاعها ٤٠٠ متر فوق سطح البحر، ثم ينزل مرة أخرى.

د. رشدي سعيد:

هذا جنون، تصور لا يمكن أن يصدقه أحد . مستحيل أن يفكروا بهذا المنطق.

د. البهي العيسوي

هذا هو ما أعني

ولكني أوضح موضوع السد والمفيض. في الأصل كان السد يحجز المياه حتى منسوب ١٨٢ متراً. تبين أن هناك خطورة في حالة ارتفاع المياه فوق ١٨٢ متراً على مصر وعلى جسم السد نفسه.

من هنا اقيم مفيض عند منسوب ١٧٨ وسد ترابي عند مدخل قناة توشكي، بحيث أن المياه لو وصلت إلى هذا المنسوب يزيل الحاجز الترابي فتذهب المياه إلى توشكي.

مياه السد خلال ٣٠ عاما لم ترتفع أبدا إلى ١٧٨ مترا . كانت دائما أقل من ١٧٤ متراً. عند وصول مستوى المياه في الخزان هذا العام إلى ١٨٧ ، بدأت الهوجة والحديث عن المفيض ،وأمام الرئيس تم إزالة الحاجز الترابي بالبلدوزر واندفعت المياه وصور المشهد تلفيزيونيا .وانتهى الأمر.

وأنا ذهبت لمفيض توشكي بعد أسبوع من توصيل المياه له في

هناك

بعد أسبوع واحد من زيارة مبارك لم تكن هناك نقطة مياه في توشكى

من هم الخبراء الذين درسوا مع رئيس الوزراء مشروع الترعة الجديدة؟

وجود الرئيس مبارك ولم أجد به نقطة مياه واحدة، وكأن العملية كانت تلفزيونية فقط.

والغريب أن رئيس الوزراء يقول أنه تمت دراسة المشروع لمدة ثلاثين عاماً !! ولا أعلم مع من درسه هل درسه من ورائنا التكنوقراط المصريون وأنا أعرفهم جميعا. تقريبا لا يعرفون شيئا عن المشروع .هل أتى بخبراء من الخارج!!

ولي هنا تساؤل وهو: **هل لابد وأن يرتبط التعمير بتعذيب الناس؟.**

نحن لدينا مداخل الوديان ،وبدأنا في «**غرب كوم امبو**» بزراعة لمسافة ٣٥ كيلو متراً وقمنا بتهجير النوبيين هناك .وعمرنا داخل «**وادى عباد**» .عند ادفو- أخر نقطة مزروعة كانت ٤ كيلو متر وصلنا لمسافة ٣٥ كيلو مت وغرب بني سويف أو غرب المنيا! وغرب سوهاج كلها مناطق تمت زراعتها. فلماذا لا نستكمل زراعة هذه المناطق حتى اذا أردنا تهجير الناس إليها كانت مناطق قريبة نوعاً ما.

وهناك مناطق كثيرة لم يتم زرعها مثل **مدخل وادى قنا وكل الوديان الموجودة فى الصحراء الغربية والصحراء الشرقية ،ووادى الكريمات، والمناطق الموجودة من شرق بني سويف وحتى حلوان** .ومدخل وادى عربه يمكن زراعتها اذا كان لدينا مياه زائدة كما يقولون .فلماذا لا توفر المياه-اذا كانت موجودة- لهذه المناطق الموجود الناس بها أصلا.

الأغرب من هذا أن المسئولين بوزارة التعمير يقولون إنهم يأخذون المياه من بحيرة ناصر لأنها غير محسوبة على مصر فهي مياه زائدة !! فهل أنت تريد أن تنشئ مجتمعات على مياه مسروقة؟ واذا اكتشف أحد هذه الفعلة هل يكون في هدم المجتمعات التي بنيت بالفعل؟!!

من الواضح جداً أنها عملية دعائية ودون أية دراسات وكما قال **د. رشدي سعيد فالمشكلة الحقيقية في المشروع تكمن في الصرف، والمشكلة الأساسية حتى الآن في زراعة الواحات هي الصرف!! ومن الواضح أن مشكلة الصرف أهم كثيرا من مشكلة تدبير المياه!!.**

والمشروع في رأينا كملسبين لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصبح حقيقة . فمن غير المعقول أن أرفع المياه حوالى ٢٠٠ متر كي أوصلها إلى أين؟.. أمر غير واضح.

مشكلة مياه وطاقة

د. رشدي سعيد

مفيض توشكى هذا تم انشاؤه في السبعينات ،ومن يتذكر بناء السد العالي يتذكر **عبد العزيز أحمد** وكان رجلاً مهماً في مصر وله وزنه العلمي، وكان معترضاً على بناء السد العالي، وكان أحد اعتراضاته الاساسية هي أن السد العالي لن يملأ أبدا بالمياه لوجود حالة تسرب وبخر عالية جدا ،وكان قد نشر مقالاً له باحدى المجلات العلمية المحترمة جداً في انجلترا ،وقت حرب السويس- **ولهذا غضب منه الكثيرون**- ناقش فيها معدلات البخر في خزان أسوان -لأنه كان مديرا للخزان -ومنها وصل لنتيجة عدم امتلاء السد بالمياه.

وفي مثل هذا الجو تماما كانت مصر في السبعينات -وأريد أن اذكركم بوزير الري الراحل **عبد العظيم أبو العطا** حتى ذلك الحين لم تكن بحيرة ناصر-بحيرة السد -قد امتلأت بالمياه ثم جاءت السنوات ٧٤ -١٩٧٦ بأمطار عالية نسبياً ملأت السد العالي ،ووصل إلى منسوب ١٧٧ متراً .

وخاف المسئولون في وزارة الري بعد أن أحسوا أن السد العالي يمكن أن يمتلئ في سنتين،وتحسبوا لمجئ فيضانات عالية كما حدث عام ١٩٧٨ حين أتى الفيضان بـ ١٥٠ مليار متر مكعب .والسد العالي مصمم ليتحمل منسوب مياه حتى ١٨٢ م. ولكن عند عمل الخرائط الطبوغرافية التفصيلية اكتشفوا أنه عند وصول المنسوب لـ١٨٢ م ستدخل في منخفض عند توشكى وسيصل لأعماق كبيرة جداً. وكانت نتيجة هذا الكشف الطبوغرافي في أنهم قرروا تخفيض منسوب المياه من ١٨٢ م إلى ١٧٨ م وفكر **عبد العظيم أبو العطا** ووجد حلولاً أخرى لها مثل إعادة قواعد تشغيل الخزان (دراسة علمية لاعادة تشغيل الخزان) لأن أساس تشغيله هو أنه مع بدء السنة المائية (٣١ يوليو) لابد من انقاصه إلى ١٧٥ متراً والمنسوب من ١٧٥ متراً إلى ١٨٢ متراً متروكة لاستقبال الفيضان الجديد. وحدوث فيضان يرفع المنسوب أعلى من ١٨٢متراً أمر لا يحدث إلا كل ٤٠ ألف سنة، وتم وضع مفيض غرب أسوان لاستيعاب المياه الزائدة عن ١٨٢ م (نصت اتفاقية ١٩٥٩ أن الزيادة عن ١٨٢ م تكون من نصيب مصر) .**والمشكلة تكمن في أننا لا نستطيع أخذ كل المياه التي نريدها من السد العالي خوفاً من النحر لأن تصميم النهرالطبيعي مصمم على استقبال المياه المحملة بالطمى.**

في عام **١٩٧٧** افترض المهندس **عبد العظيم أبو العطا** أنه لو جاء الفيضان عالياً فوق الـ ١٧٨ متراً سيضطر لتوزيعه على مصر عن طريق المفيض ،وبالتالي سيعرض **مصر لكارثة قومية تدمر كل الكباري على النيل والجسور الممتدة بطول النهر** .وكان أمامه إما أن يعيد تنظيم تشغيل قواعد الخزان ،ووجد أن هذا الحل يحتاج لأبحاث علمية وجهد كبير وغير مضمون النتائج ،**وإما أن أن يخزن المياه في توشكا** ،وبالفعل أقام سداً ترابياً رخيص الثمن ،وأرجاء عملية اجراء دراسات تشغيل قواعد خزان أسوان للسنة

التالية .آخذين في الاعتبار أن الخزان لم يعد يمتلئ حتى مخزون ١٨٢ م.

المهم أن هذا الموضوع نسيه الجميع لأن الفيضان جاء منخفضا عام ١٩٧٨ ،ولم تحدث فيضانات كبيرة .فقط عام ١٩٨٨ جاء الفيضان عالياً ربما أعلى من فيضان هذا العام ،ولكن في عام ١٩٨٨ كان خزان السد العالي منخفضاً لأن صافي ما وصل لمصر من مياه عبر العشرين عاماً السابقة بعد أن أخذت السودان نصيبها وما نفقداه بالبخر والتسرب كان هناك ٨ سنوات وصل لمصر أقل من احتياجاتها وكانت أقل سنة هي ١٩٨٤ **وصل لمصر فيها فقط ٣٣ مليار متر فقط في الوقت الذي نحتاج فيه ٥٥ مليار متر** ،ومصيبة هذه السنة أيضا أنها جاءت بعد سنتين منخفضتين وهما ٨٢، ١٩٨٣ .**ولهذا وصل الخزان لاقل منسوب له وهو ١٤٩ مترا.**

وجاء عام ١٩٨٨ بفيضان عال جاء بما يقرب من ثلاثين مليار متر مكعب زيادة عن حصتنا. وغرض السد العالي هو حجز المياه خلال السنوات كثيرة المياه لاستخدامها في السنوات قليلة المياه.

وعندما ننظر للعشرين عاما الماضية نجد أن المتوسط يدور حول ٥٨ مليار متر مكعب . أي أن ما يصل إلى مصر يكاد يكفي احتياجاتها بمعنى أننا نستخدم الآن ٥٥ مليار متر مكعب سواء بالهدر أو بدونه ،وحتى الآن لم نقم بعمل نظم ري تقلل من استخدامنا لهذه الكمية. إلا أن هناك شيئا واحداً فقط مضموناً في هذا الاطار وهو ما كنا نستعمله فيما يسمى بالقاعدة الدنيا لتشغيل الخزان -وهي في اتفاق ١٩٥٩ مع السودان -وتنص على أنه اذا جاءت سلسلة من الفيضانات القليلة كما جاء في ٨٣ ، ٨٤، ١٩٨٥ فهناك القاعدة الدنيا لتشغيل الخزان وهي أن نتباحث مع السودان لتقليل نصيب كل منا من المياه . وقد واجهنا هذا الوضع مرة واحدة عام ١٩٧٣ ولم نستطع نحن تطبيق هذا النص تماما لأن التخفيض الوحيد الذي نستطيعه مصر هو أن توقف زراعة الأرز. وهذا هو الكارت الوحيد وباقي أساليب التوفير تحتاج لأساليب طويلة الأجل. وبتخفيض زراعة الارز سيتوفر لدينا ١,٦ مليار متر مكعب من المياه وبطرق أخرى يمكن توفير ٢ مليار متر مكعب وهذا على أقصى تقدير.

٣٠٪ من كهرباء السد العالي ستوجه لتشغيل طلمبات رفع المياه في مشروع توشكي الجديد!!

بالنسبة لقناة توشكي- والكلام متعدد عن زراعة ٥٠٠ ألف فدان أو مليون أو ٢ مليون -فان الهدف الحالي للخطة هو زراعة ٥٠٠ ألف فدان **ومن أجل زراعة ٥٠٠ ألف فدان في هذه المنطقة ستحتاج ما لا يقل عن ٦ مليارات متر من المياه** ،وهذا صعب توفيره إلا اذا ضحينا بزراعات قائمة فعلاً.

القضية هنا أنه اذا كانت عندنا مياه زائدة فلنرى في أية وجهة نوجهها وهذا هو الذي يجب أن يكون محل مناقشة ،ولكنهم قرروا فجأة توجيه المياه لهذه الجهة.

وعلينا أن نرى كم الأموال المطلوب إنفاقها لتمويل مصادر الطاقة اللازمة لتشغيل طلمبات الرفع فلابد من توصيل خط كهرباء من أسوان لتوشكي وهذا يمثل ٣٠٪ من قدرة السد العالي بكاملها.

وقد علق أحد الاجانب على ما يجرى وبخفة ظل شديدة **إن المصريين بنوا السد العالي من أجل توليد الكهرباء وتخزين المياه، واليوم يأخذون منه الكهرباء ليخلوه من المياه.** وعلى كل الأحوال فهذه عملية باهظة الثمن بشكل كبير **ولن تقل التكلفة السنوية عن مليار جنيه لرفع المياه وسيتكلف الفدان ٢٠٠٠ جنيه لرفع المياه فقط** وهذا رقم متفائل مع ملاحظة أن كل الأراضي بهذه المناطق مرتفعة عن سطح القناة الأمر الذي سيتطلب رفعها للمرة الثانية ، أي أن العملية بكاملها غيراقتصادية بأية حال من الأحوال.

وكما قيل إنه لابد من تقسيم الأراضي بمساحات كبيرة جدا تصل في بعضها لمائة ألف فدان على أن توزع على المستثمرين ليوفروا لها التكنولوجيا العالية. وفي هذه الحالة فلن تحتاج الزراعة لنقل آلاف السكان لهذه المناطق ولن يخف الزحام على الأراضي الحالية كما قيل.

د. **يوسف والي** قال في تصريحات صحفية إنه يريد زراعة هذه المناطق بالمحاصيل التصديرية ، وأنا مندهش فكيف تصدر من هذه المناطق ،وهذا غير ممكن لسببين.

الأول أن التصدير يعني الدخول في منافسة عالمية فكيف تنافس وأنت **اقتصاديا أرهقت الأرض والمحاصيل بمصاريف رفع المياه في حين أن الفلاح الفرنسي مثلا تهبط عليه المياه من السماء.**

والسبب الثاني هو عدم وجود مصادر للطاقةوأي **منطقة خالية من مصادر الطاقة فلن تستطيع أن تقوم فيها بالتصنيع ولا أي شئ.**

وهناك من يرى أنترك الأرض فضاء لحين توفير مصادر الطاقة وأنا مع هذا الرأي فخبراء البترول يبحثون فيها عن البترول وان لم يكتشفوا آباراً للبترول فلننتظر حتى تصبح الطاقة الشمسية وطاقة الهواء اقتصادية التشغيل والاستخدام.

وآخر ما أريد أن أقوله هو أن رأيي دائماً أن مسألة زراعة الصحراء إنما هي تبذير في تبذير وأعتقد أن أحسن ما نقوم به في مصر بناء المصانع على الأرض الزراعية وتذهب لزراعة الصحراء، وانما الحل من خلال المعادلة الحقيقية إنشاءالمصانع بالصحراء وزراعة الأرض الصالحة للزراعة فعلاً.

البدائل .. وتجربة القوات المسلحة

د. أحمد عبد الحليم

أريد أن أروي قصة صغيرة قبل الانتقال للاستراتيجية المنظورة لاستخدام المياه في مصر.

القصة حدثت عام ١٩٩٤ وكانت وقتها

المفاوضات متعددة الأطراف (المفاوضات الرسمية بالخمس لجان) ويقابلها على الجانب الآخر خمس لجان أخرى غير رسمية.

وكانت هذه اللجان تجتمع في عمان عاصمة الاردن وكانت اللجان غير الرسمية مجتمعة في اثينا باليونان وأنا كنت في لجنة «ضبط التسلح والأمن الاقليمي» ،وتصادف أن أحد خبراء المياه الاسرائيليين جاء لي وقال لي: أنا أعلم أنك مشترك بلجنة التسلح والأمن الاقليمي ولكن أريدك أن تحضر بلجنة المياه لسماع المحاضرة التي سألقيها ،وبالفعل ذهبت لسماعه ،وكان غرضه من حضوري أنه كان يتكلم في جزء كبيرعن المياه في مصرحكى أنه حضر لمصر بالفعل وتحرك في جملة مناطق ليرى المياه الجوفية ،وكان التركيز الرئيسي في ذاك الوقت على منطقة الساحل الشمالي ،وقال في محاضرته ثم حكى لي بالتفصيل- **أنه حدد مجموعة من النقاط الموجود بها مياه جوفية ،وأن هذه المياه الجوفية تكفي هذه المنطقة لاعادة الخضرة إليها مرة أخرى** وأنه **توجد بالفعل مجموعة من الابار الجوفية بهذه المنطقة منذ أيام الرومان، وأنه يمكن لمصر استغلال هذه المياه لزرع كميات** كبيرة **من الأراضي** وأخبرني أنهم يملكون مشروعاًمتكاملا لهذا الموضوع ووعدني بارسال هذا المشروع،ولم يوف بوعده ولكن هذه نقطة من تلك التي أشار إليها د. **البهي عيسوي** حينما تحدث عن المياه الموجودة في سيناء ومناطق أخرى. واستكمالا لها أستند أن هذه المنطقة بها أيضا مياه جوفية(ناتجة عن الأمطار) ومما يؤكد هذا الكلام هو التجربة التي **أجرتها القوات المسلحة بهذه المنطقة فهناك حتى الحدود الليبية توجد قوات المنطقة الغربية ،وهذه القوات استطاعت زراعة كميات كبيرة من القمح حققت الاكتفاء لها وأعطت الفائض لوزارة التموين**.إذن المياه موجودة في هذه المنطقة سواء بشهادة الخبير الاسرائيلي- ويبدو أن اسرائيل تعرف عنا أكثر بكثير مما نعرفه عن أنفسنا- والغريب أن يعلم الناس جميعاً ما لا نعلمه نحن عن أراضينا .وأنا لست في محل تقييم سواء لترشكى أو لترعة السلام وأنا أعلم أن وادي العريش تأتي إليه فيضانات ضخمة جداً ،وأعتقد أنه كانت هناك مشروعات ضخمة عن وجود نوع من الخزانات بوادى العريش وإذا أمكن ضخ المياه بها أمكننا زراعة مساحات كبيرة من الأراضي ،وبشكل عام فان مياه الأمطار بسيناء يبدو أنها كافية بالفعل خاصة مع ترشيد المياه الواصلة إليها.

والمفكر الاستراتيجي المصرى عندما يفكر في هذه المعضلة فانه يفكر في أربع نقاط محددة.

الأولى -أنه يحدد الأهداف القومية المصرية في حوض النيل حتى تكون مصدراً للاستراتيجية القومية الشاملة وتكون محددات لتوجهات مصر في المستقبل.

الثانية:- أنه يضع في اعتباره زيادة التواجد الاسرائيلي في دول المنبع ،واتجاهات عمل القوى الخارجية والتطور التكنولوجي العالمي المتوقع. وقد أشرت للعرض الاسرائيلي الذي يريد أن يأخذ الفائض من مياه النيل. أضيف هنا أنه قد تكون التحركات التي نراها من دول المنبع نتيجة لضغوط اسرائيلية ليسهل لها عملية تمرير المشروع الأصلي (أخذجزء من مياه النيل) ،وتريد أن توصل لنا رسالة تعني أن الضررالذي سيقع علينا اذا تحركت في دول المنبع أبلغ من الضرر الذي سيقع لو أعطيناها كمية المياه التي تريدها . فاذا اعطيناهم المياه التي يريدونها خففوا من تحركاتهم.

وهذا استنتاج خاص بي، ولكني أتصوره صحيحاً من مراقبة ما يجرى.

الثالثة -هو التفكير في البدائل المطروحة د. رشدي ود. البهي تحدثا عن بدائل كثيرة جدا وتهيئة الظروف المناسبة لاستخدامها ،وتحديدا استراتيجية شاملة لأقل مدى متوسط تحقق التنمية الاقتصادية باستغلال الامكانات الذاتية المدعومة والمنظمات الاقليمية والدولية ،وتطوير هذا التعاون تدريجيا ليحل محل القوى الاقتصادية الأجنبية الموجودة على الساحة في هذه المنطقة.

الرابعة تأمين المصادر المائية لنهر النيل لضمان استمرار تدفقه والحصول على نصيب مصر العادل من مياهه ،والعمل الدبلوماسي الدؤوب لزيادة هذا النصيب أو على الأقل الحفاظ عليه لمواجهة خطط التنمية الزراعية واستصلاح الأراضي مع تأمين الأهداف الحيوية والمنشآت والمشروعات المائية النيلية وتأمين الحدود القائمة والعمق الاستراتيجي ضد أية تحركات مضادة.

٩ مليون فدان في الساحل الشمالي وشرق الدلتا

د. علي نويجي

اذا قلنا إن التوسع الزراعي في الأراضي مطلب حيوي للأمة المصرية ،وإذا قلنا إن خلخلة السكان بالوادي والدلتا شيئ واجب فنحن لدينا منطقتان شاسعتا الاتساع.

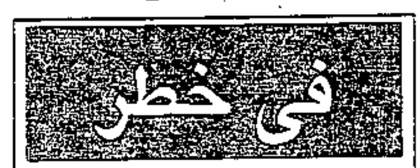
المنطقة الأولى هي منطقة الساحل الشمالي الغربي وهو ليس كما يتصور البعض منطقة جفاف وإنما متوسط المطر فيه يصل إلى ١٠٠ ملي متر في السنة في عمق ٥٠ كم، والمسافة من الساحل والذي كان يطلق عليه زمان «**مرمريكا**» وسماه العرب «**مراقيا**» تصل لـ ٥٠٠ كم متر، أي ٦ **مليون فدان تسقط عليهم أمطار تكفي لزراعة محصول القمح لو أننا دعمناها بخط مياه نقي- وليس مصرف العموم- من ترعة النصر ومن الرياح الناصرى والرياح البحيرى لأمكننا توصيل المياه حتى السلوم** وكان هذا بالفعل أحد المشروعات خلال فترة الرئيس الراحل عبد الناصر.

وبدلاً من وجود ٦ مليون فدان بشرق العوينات يوجد ٦ مليون أخرى ثبت زراعتها من قبل ولو امددنا لها قليلا من المياه العذبة لأمكننا الحصول على منطقة زراعية مهمة.

المنطقة الثانية وهي منطقة **شرق الدلتا** ،وهي منطقة كانت عامرة منذ زمن بعيد- وكلنا سمع عن مدينة «**تانيس**» التي كانت هناك وكانت مركزاً مهماً من مراكز التجارة قبل دخول العرب مصر وهذه المنطقة -حتى سيناء- رسوبية **من جنوب دمياط وساحل الحسينية وهضبة الصالحية وحتى طريق القاهرة السويس** وكان بها أكثر من مجرى مائي، ومن الممكن أن نزرع بهذه المنطقة ما لا يقل عن **٣٫٥ مليون فدان** ، لو مددنا لها مياه النيل **(درجة ملوحتها ٢٢٠ جزء / مليون)** ويمكننا زراعتها بكافة المحاصيل.

وحين نقول إن الفلاح المصرى لا يعي وسائل الري الحديثة فاننا نظلمه كثيرا ،وكل من زار مناطق النوبارية حول مدينة السادات

النيل



سيجد فلاحين بسطاء يروون الأرض بالرش، ومنهم من يروون حدائقهم بالتنقيط وغير صحيح ما يوجه من اتهام للفلاح المصرى بالاسراف وأعتقد أنا أنه مقطر فى موضوع المياه. فعنده ما يسمى برية الزراعة والرية الحامية (أى بسرعة) والباردة (أى تغرق الخط كله) وهذا تكتيك خاص بالفلاح المصرى فقط ويعرفه الطفل اذا بلغ العاشرة من العمر.

وأعتقد الفلاح المصرى يستطيع استيعاب أساليب الرى الجديدة المطلوب ادخالها فى الساحل الشمالى الغربى ومنطقة شرق الدلتا.

دعاية تلفزيونية
حلمى شعراوى

تحدثت من قبل عن عدم احساسى بوجود مشكلة للرى فى مصر . أو ما تحتاجه من مياه وهذا خلافا مع ما قيل من د. نويجى وآخرين، لأن كل هذا الكلام يشير إلى امكانية معالجة مشكلات الرى.

ولو استخلصنا نتائج المناقشة لوجدنا استراتيجيات خاصة بمستقبل مصر مع اسرائيل ودول الجوار. فى التعامل مع موضوع المياه تشكل استراتيجيات خطرة. ولابد وأن ننبه هنا إلى أن ترعة السلام تمثل مشكلة استراتيجية ما فى مستقبل مصر أم أنه توجد أشياء لا نعلمها حول علاقة اسرائيل بهذه الترعة. لابد وأن ننتبه لذلك.

وأخطر ما فى موضوع المياه هو اللجان متعددة الأطراف وأنبه لخطورة ما يجرى بها رغم كل الجلبة السياسية ،ومنها ما يعالج مشكلة المياه ،وحتى الآن ولحسن الحظ فان مصر تحضر كمراقب ولا تريد الحضور فى مسألة مياه الشرق الأوسط. ولكن ماذا عن المستقبل؟! فاسرائيل كما تضغط فى كل مسلسل التنازلات من الممكن أن تضغط للحضور والمشاركة ،ومصر استصدرت قراراً من الجامعة العربية بأنه لا معالجة لمشكلات مياه النيل ضمن مشكلات مياه الشرق الأوسط. واسرائيل مصممة على التدخل فى معالجة هذا الموضوع وبعض المسئولين بشرق أفريقيا حرصوا على أن اسرائيل تحاول تشكيل لوبى لدى النظم الحاكمة فى شرق افريقيا ليتساهلوا فى التفاهم مع مصرمقابل أن تدفع للأمام المناقشات مع مصرحول المياه حيث تشعرحالياً أنها ليست على جدول الأعمال،وهذا اعتبار خطير جداً لابد للندوة وأن تنبه لهذه المخاطر المستقبلية أيضا.

وفاء حجازى

استشعر أن هناك عدداً من المشاكل.

الأولى سياسية؛ مشكلة مياه فمصادر المياه غير متوافرة أو على الأقل لا تستجيب للاحتياجات المستقبلية للأجيال القادمة . فالبحث عن هذه المصادر عملية مهمة جدا، ولن يختلف انسان على أن عملية استصلاح الصحراء هى عملية جيدة جداً ولكن هل ما يتم الآن هو الأسلوب الأمثل **أم لا؟ ومشروع توشكى المفاجئ الذى يشبه الصدمات الكهربائية أيام الرئيس السادات ،ومن الواضح بلا لا يقبل الشك أنه مسألة دعائية تلفزيونية.**

ولكن حاجتنا للمياه ما زالت قائمة سواء كان هذا المشروع ناجحاً أم فاشلاً ،وأعتقد أن الحل يتمثل إلى جانب المسائل الفنية التى لا أفهم كثيرا فيها- فيما ذكره د. البهى ود. عبد الملك عوده حول الاهتمام بحزمة العلاقات مع دول الحوض حتى نصل إلى درجة من التفاهم بحيث نقتسم أو نوزع المنافع التى تأتى من هذا،أعتقد أن هذه مسألة ضرورية وحل المشكلة المائية وبالتالى المشكلة الغذائية لن يأتى إلا بالتعاون مع دول حوض النيل بأسلوب غير تقليدى وبعيداً عن كل ما جرى حتى الآن. ويمكن الاستفادة من هذه العلاقات لو أحسنا ادارتها بشكل جيد إنما الواقع الحالى يقول أن مصر تحاصر ليبيا فتعزل نفسها عن ليبيا وتحاصر السودان فتعزل نفسها عن السودان فضلاً عن مشكلتها الدائمة مع اسرائيل جهة الشرق. فنحن أصبحنا فعليا محاصرون ولابد من تغيير هذا الوضع.

والشئ الآخر وهو ما اثاره اللواء أحمد عبد الحليم عن العبث الاسرائيلى بمياه النيل، وكيف ان اسرائيل تبحث عن مداخل للضغط على مصر لقبول كل المشروعات المطروحة عليها سواء منها أو من أمريكا وهذا موضوع لابد وأن نحتاط منه ،وبهذه المناسبة فان **دول حوض النيل تترصد أى تصرف من قبل مصر يمكن أن يخرج مياه النيل عما يسمى بحوض النهر ،وهذه النقطة تثير حساسية الدول الافريقية ،وتهدد بأن أى تصرف سيحلها من أية ارتباطات أو اتفاقيات سابقة** ومن هنا جاءت مشروعات اثيوبيا الـ ٢٦ ،وأود أن أشير إلى معلومة وهى أن الذى كان مرشحا لتنفيذ هذه المشروعات هى شركات ايطالية، وعندما أحسوا بوجود مشاكل حضروا إلى مصر للتباحث بشأن حلها وبالنسبة للسودان واعادة النظر فى اتفاقية سنة ١٩٥٩ فان هذه القضية تحلها العلاقات الثنائية المصرية السودانية ونحن دائما نختار الدخول فى المسائل الخلافية مع السودان ونترك مجالات التعاون وهى كثيرة ومتعددة ،وعندنا مشروع-رغم اهماله- يؤتى عائدا جيدا وهو مشروع «**التمازين**» ولو فتحنا ملفات التعاون مع السودان سنجد امكانيات كثيرة جدا تجعلنا نتجاوز أية خلافات معها حول تطبيق الاتفاقية بل يجعلنا نتجاوز الخلاف الموجود حول منطقة «حلايب» نفسها.

امريكا.. وليست اسرائيل
د. عبد الملك عوده

أود أن أعلق على نقطة اختلف فيها مع الأخوة الذين يتحدثون عن اسرائيل ويعطون لسياستها أولوية أولى فيما يتعلق بأعالى النيل.

رأيى -ابتداء- أنها سياسة أمريكية ،ومن الخطأ أن نركز كل تفكيرنا على أن اسرائيل هى التى تقرر وتعمل . كل المعلومات والمشروعات والبيانات موجودة أصلا فى الولايات المتحدة، وأوروبا واسرائيل لم تبتدعها وإنما هى تجمعها وتحاول استثمارها.والتفكير الأول للفصل بين السياسة الاسرائيلية والسياسة الأمريكية قد يوقعنا فى تقديرات غير دقيقة ..والحديث باستمرار على أنه تهديد اسرائيلى خطأ. **فالتهديد أمريكى وأعلى المنطقة**

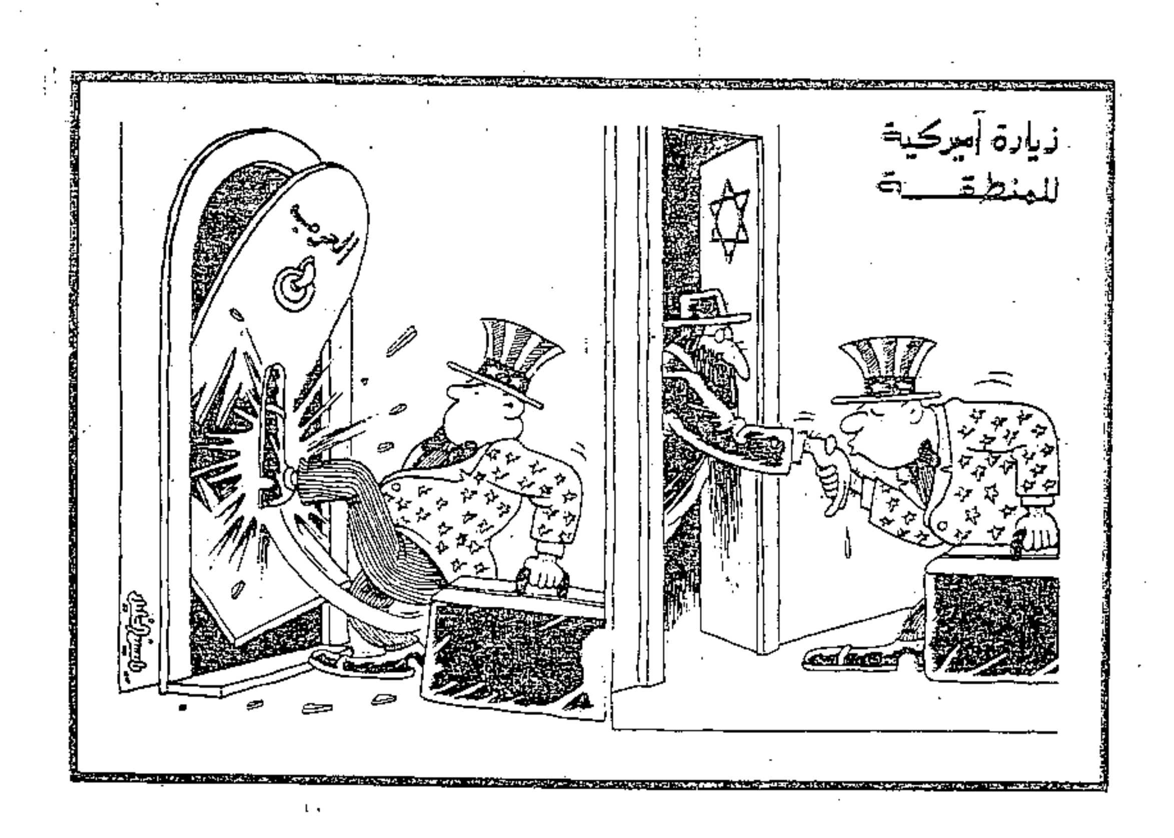


تخضع بشكل كامل للسياسة الأمريكية وهى التى تمهد للنشاط الاسرائيلى فى هذه الدول ولولا هذا لما استطاعت اسرائيل أن تقوم بكل هذه الانجازات بدون ربطها بالسياسة الأمريكية .هذه نقطة أولى.

أما النقطة الثانية والأخيرة التى أود اضافتها فهى عن مشروع مصر والسودان ومصر واثيوبيا واريتريا .ومن الواضح أننا دخلنا فى مأزق لأن الأمن القومى الاثيوبى له متطلبات وكذلك الأمن الاريترى والأمن السودانى أيضا فى ظل نظامه الحالى لمتطلباته أيضا ،والمفهوم المصرى للأمن القومى المصرى له متطلباته. ومن الواضح أنه يوجد تناقض بين هذه الدول وعملية التحالفات الآن أصبحت ضرورية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

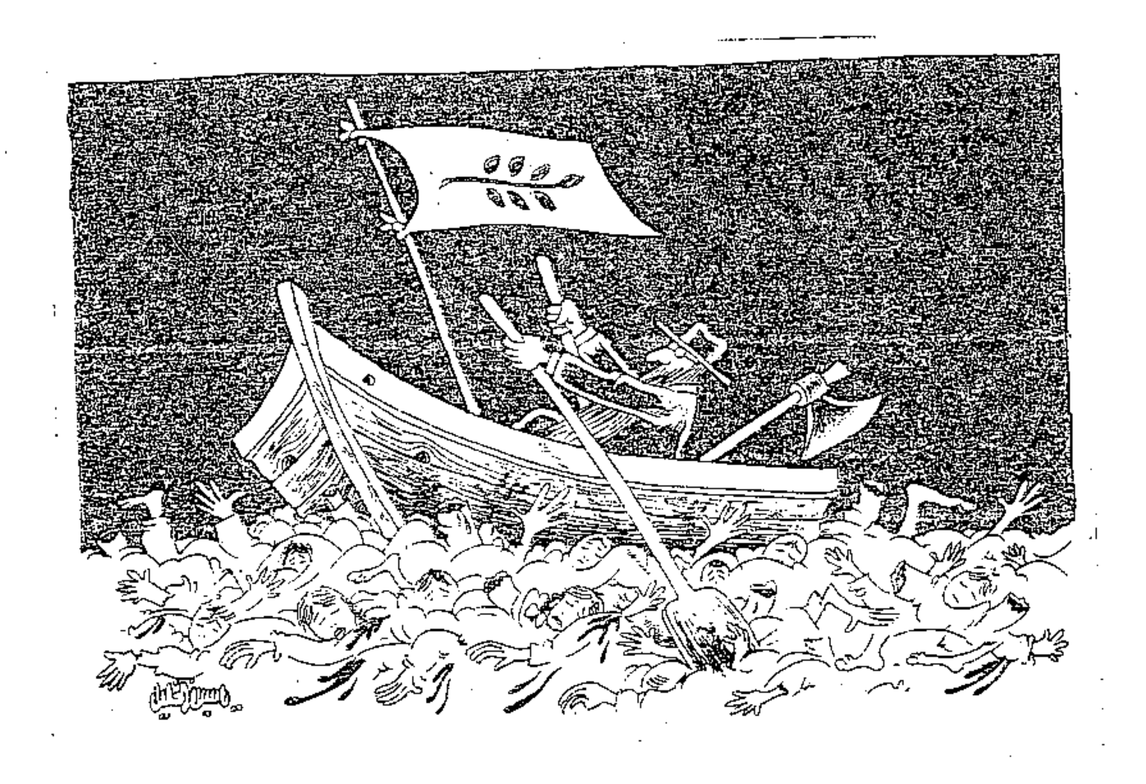
وفى تقديرى أنه ليس باستطاعة دولة واحدة بالمنطقة أن تقوم بتغييرميزان الكون ولابد من التحالفات .وعلى السياسة المصرية ان تتجه لفكرة التحالفات، فاما أن تتحالف مع أكبر عدد من الدول أو تتحالف مع دولتين أو ثلاث ضد الدول الباقية لأننا نتكلم باستمرار عن مشروعات المياه فى أوغندا واثيوبيا. ومشروعات السودان مرتبطة بالمياه القادمة من أوغندا. ومن الأمور المطروحة على تفكيرى هو التحالف مع اثيوبيا واوغندا أو التحالف مع اثيوبيا فقط طالما مشكلة السودان لم تحل.

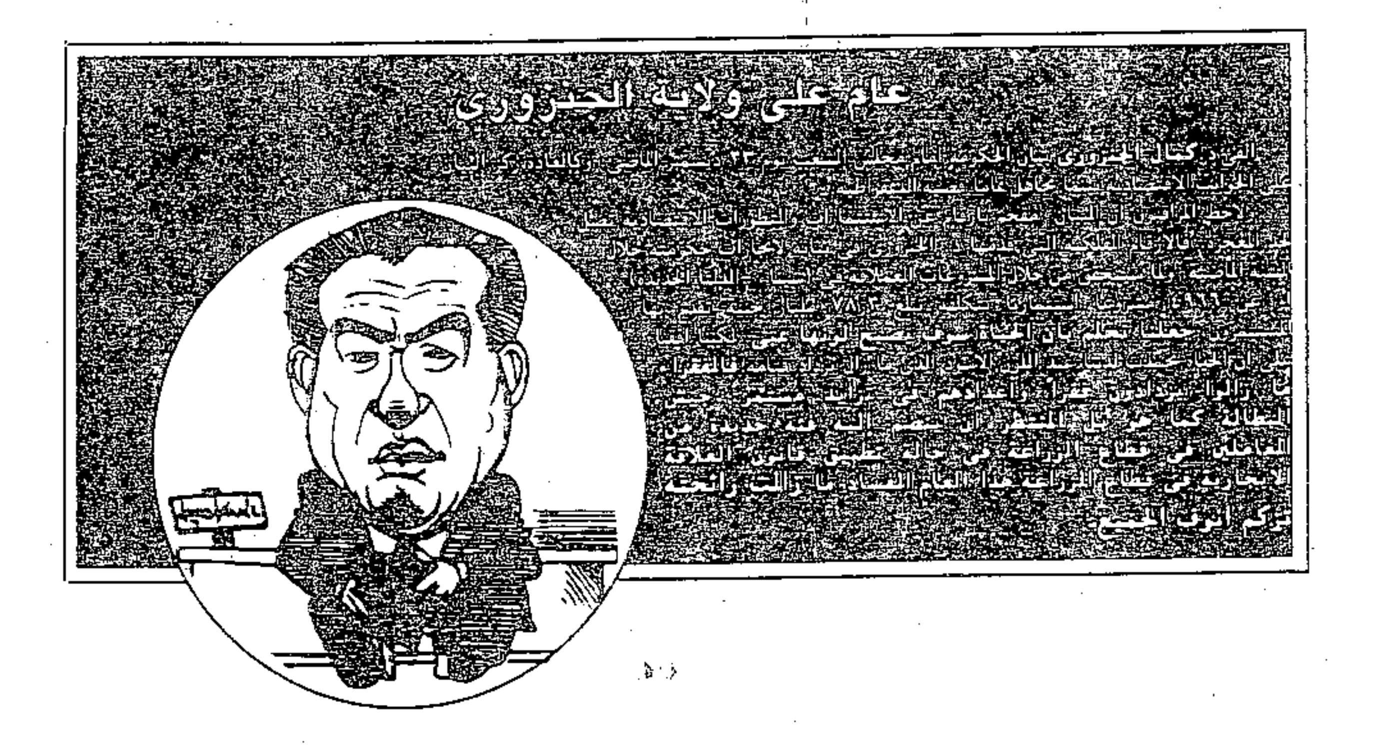
واذا حلت مشكلة السودان يمكننا اعادة النظر فى خريطة التحالفات فى المنطقة أما عن استطاعة مصر منفردة أن تحل وتغير من موازين القوى فى المنطقة فلا أعتقد ذلك وفكرة الحرب العالمية فى المنطقة غير واردة بعد قمة مجلس الأمن وبعد التدخلات الأوروبية والأمريكية بالذات والضغوط وبيع السلاح ، فهذه مسألة لابد وأن نبنى عليها استراتيجيتنا أو على الأقل نأخذها فى حسباننا.


زيارة أميركية
للمنطقـــة
العرب


الأراضي التي تحتلها
اســـرائيل :
- فلسطين
- الجولان
- جنوب لبنان
- الولايات المتحدة الأميركية
الشعب
الأميركي


الإرهاب

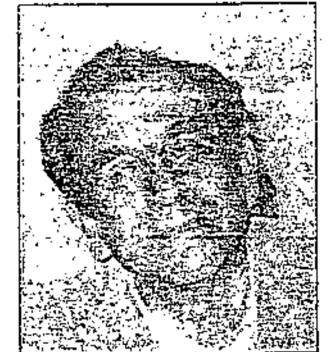




بيان الحكومة

بين تزييف الحقائق.. وتجاهل الديمقراطية

خطى الخصخصة تسارعت بشكل ملحوظ فى العام الماضى فى جو يسوده الريبة حول عمليات البيع وتقييم الأصول. والخوف من المستقبل والتشرد لدى العاملين فى الشركات المباعة.



د. حسام عيسى:



الأمانى فى استثمارات أجنبية

فما هى الحقيقة فى أرقام وأحلام حكومة د. كمال الجنزورى؟!.

يقول د. حسام عيسى أستاذ الاقتصاد فى إطار تقييمه لبيان الحكومة: «الأرقام مبنية على أمانى فى استثمارات أجنبية فهى لا تعكس معدل الدخل الموجود. يقولون إنهم يريدون أن يصلوا بالزيادة فى الدخل إلى ٦٪ فى العام خلال ٣ سنوات معنى ذلك أن تحدث استثمارات كبيرة جداً استثمارات تصل إلى مليارات ومليارات من الجنيهات التى تستثمر داخليا. أين هذه الاستثمارات؟ كل هذه الاستثمارات التى يتحدثون عنها مجرد أمانى. فلا يوجد أى شئ ينبئ عن وجود هذه الاستثمارات. الاستثمارات لا تأتى للقيام بعملية التنمية وإنما تذهب لدول بها تنمية عالية من الأصل. فالذى يريد الاستثمار لماذا لا

يذهب إلى دول النمور الآسيوية مثلاً. وهى دول ذات معدلات تنمية عالية .وبها بنية داخلية جيدة. تشجع على الاستثمار. ان الارقام الدولية حول حركة الاستثمارات فى العالم تقول إن ٨٥٪ **من الاستثمارات وحركة رؤوس الأموال فى العالم تكون بين الدول المتقدمة أمريكا وأوروبا واليابان- ١٥٪ موزعة على بقية دول العالم. الخمسة عشر فى المائة الأخيرة يذهب ٨٠٪ منها إلى دول النمور الآسيوية. بينما تتنافس ١١٠ دولة فى العالم على ٢٠٪ الباقية والتى تعادل ٢٪ فقط من حركة رؤوس الأموال فى العالم.فكم سيكون نصيب مصر من الـ ٢٪ الموجودة. هل ستأخذها كلها مثلا؟!.**

والقضية ليست قضية استثمارات اننا نحتاج لخطة ومشروع قومى تحدده الدولة وتقوده. وفى إطار هذه الخطة . نحدد مجال الاستثمار للاستثمار الأجنبى وكيفية مساهمته فى التنمية. هل سيساعد على ادخال تكنولوجيا جديدة ؟ أم فى ادخال صناعات متطورة تساعد على قيام عمالة حديثة؟. هل سينشئ صناعات تتكامل• مع جوانب اقتصادنا؟ أم يساهم فى ادخال صناعات جديدة وحديثة؟.

وعبر د. حازم عيسى عن تشاؤمه بالنسبة للمستقبل فالطريق الذى يسير فيه اقتصادنا ليس الطريق الصحيح وخططنا ليست قائمة على تخطيط علمى مدروس. فمثلا المشروع الأخير المطروح إعلامياً وهومشروع توشكى مشروع غير مدروس فهو لم يخضع للدراسة الجيدة ولم يترك الوقت فيه للخبراء ليدلوا بدلوهم. وهو ليس الامشروع **إعلامى لم يتم التحقق من جدواه الاقتصادية** .وكل غرضه هو الترويج للحكومة وإلهاء الشعب عن معاناته. وفى النهاية استطيع أن أقول أن المستقبل لا يبشر بخير. فالاقتصاد الذى يقوم على مشروعات غرضها الضجة الإعلامية. اقتصاد لا يبشر باى خير ولذلك فانا متشائم».

ويضيف **ضياء الدين داود** رئيس الحزب الناصرى إن حكومة د. الجنزورى هى احدى حلقات السياسة الاقتصادية القائمة منذ بداية الثمانينات وإن اختلفت فى رتم وأسلوب وطبيعة الاداء حيث تسارعت فى ظلها عمليات الخصخصة بشكل كبيرة .كما أن السياسات الاقتصادية ما زالت كما هى تتجه لتقليص دور الدولة فى المجال الاقتصادى وتركه تماماً للقطاع الخاص. ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن هناك التفات أفضل للجوانب الاجتماعية فى ظل حكومة الجنزورى ولكنه التفات ظاهرى فلم يقع ما يترجم هذا الالتفات على الصعيد العام.**فالبطالة كما هى والفقر كما هو وأحوال العاملين ما زالت سيئة.**

أما د. **محمد شوقى الفنجرى** خبير الاقتصاد «الاسلامى». فيقول تعليقا على البيان «افلح إن صدق».! اذا نفذ كل الكلام الذى قيل فسيكون شيئا جيداً ولكننى أشك فى ذلك . فاننى أسمع ضجيجاً ولا أرى طحنا. فهناك آمال ومشروعات ولكننا لا نرى اثرها على الناس عايزين نشوف تأثيرها على جماهير الشعب المختلفة».

وبسؤاله عن اداء الحكومة الاقتصادى فى العام الماضى وتركيزها على جوانب الاستثمار واهمالها لبعض القضايا الأخرى المهمة «بطالة .فساد.فقر». قال برنامج الحكومة ككلام جيد جداً فكل القطاعات الاقتصادية تصب فى بعضها فالنجاح فى الاستثمار لا شك سيؤثر على القضايا الأخرى. فالبرنامج ككلام جيد ولكننى لا أرى ما يدعمه فى الواقع العملى فلا استطيع الا أن أقول. أفلح إن صدق».

د. جودة عبد الخالق:

لا خلاف ولا اختلاف بين صدقي.. والجنزوري



جودة عبد الخالق

ويقول **د.جوده عبد الخالق**استاذ الاقتصاد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية:«عندما نسعى لتقييم سياسات الحكومة معنى ذلك أن نذكر ايجابيات وسلبيات الحكومة. ولكن فى البداية لابد من توصيف الاتجاه العام الذى تنتهجه حكومة الجنزورى بعد أن مكثت فى إدارة البلاد لمدة عام حتى الآن. نجد انه **لا يوجد خلاف بينها وبين حكومة د. صدقى فهى تتبنى العمل وفق اقتصاديات السوق وتتجه للخصخصة وتوسيع قاعدة الملكية. والحد من دور الدولة فى المجال الاقتصادى. أما فى مجال الاستثمار فهى تتجه« لتحرير الاستثمار» . ويجب أن** نضع «التحرير» **هذه بين قوسين . حيث أن الدولة** تتجه لتحرير بعض العناصر مثل « رأس المال» بحيث يفعل ما يريد بدون تقييد. وكذلك اطلاق الحرية لتحويل رأس المال بين الخارج والداخل بدون قيود.. فى حين لا يحدث ذلك بالنسبة لعوامل أخرى. فالعمل ما زال مقيدا من خلال القرارات المنظمة للنقابات . أو التدخل فى انتخابات النقابات. وكذلك من خلال قانون العمل الأخير الذى يجعل العمل لسلعة. كما أن الدولة تصادر حق العمال فى الاعتراض من خلال الاعتصام أو الاضراب. الفرق الوحيد بين الحكومتين فى سرعة حركة حكومة الجنزورى فى حالتين ١- الخصخصة وبيع القطاع العام يوجد بها تسارع شديد للحد الذى جعل المخاطر والمخاوف التى يعبر عنها الرأى العام أكبر بكثير نتيجة التسرع وبيع عدد كبير من الوحدات والالتزام ببيع عدد أكبر بحيث يصل المعدل لـ ٥٠ شركة فى العام بمعدل شركة كل أسبوع وتتم الخصخصة فى اطار ضبابية فيما يتعلق

تحقيق: خالد البلشى

(بالتقييم-طرق البيع- البيع للاجانب- وكذلك استخدام حصيلة البيع).

٢- تحفيز الاستثمار من خلال (اصدار الخريطة الاستثمارية -الغاء الكثير من الاجراءات و تبسيطها بالنسبة للمشروعات-تسهيلات متعلقة بالبنية الاساسية والطاقة وتخفيض اثمان الشحن والخدمات والجمارك والحكومة لا زالت تركز على قضية التحفيز من خلال الاعفاءات الجمركية والضريبية ، بالرغم من أن **دراسات البنك الدولى فى كثير من الدول ومن بينها المغرب والبرتغال اثبتت أن الاعفاءات الضريبية ليست وسيلة لجذب الاستثمارات الجديدة ولكنها وسيلة لانشاء مشروعات جديدة وذلك عن طريق التلاعب بتغيير اسم المشروع أو تبديل النشاط للتمتع بنفس الاعفاءات من جديد كلما انتهت** فترة الاعفاء.

ولا يمكن تقييم الانجاز الخاص بالسنة الماضية استنادا إلى بيان الحكومة فقط. فهناك نقاط أخرى مكملة وكاشفة مثل تقرير «البنك المركزى» وسنجد أمامنا مجموعة من الحقائق.

١- هناك مبالغة فى نمو الاقتصاد القومى فالاقتصاد القومى ما زال يعانى الكساد وحتى لو سلمنا جدلا بما يقوله البيان من أن معدل النمو فى الناتج القومى الاجمالى ٩ر٤٪ -رغم أن الشواهد لا تؤيد ذلك- ففى ضوء أن معدل الزيادة فى السكان٢٧ر٢٪ ،فان معدل النمو بالنسبة للفرد لن يتجاوز ٥ر٢٪ وهو معدل بطئ.

٢- بالنسبة **لمعدل الادخار** نجد أن الحكومة تغالط وتقول إنه وصل إلى ١٦٪ والحقيقة انه لم يتعد ٦٪ من الناتج المحلى فالحكومة تخلط بين الادخار المحلى والادخار القومى.ومن الملاحظ ان هذا الرقم يعد معدلاً منخفضاً جداً للادخار فى العالم بالمقارنة بالدول الأخرى. فمثلا فى **الهند** رغم ان متوسط دخل الفرد فيهاأقل من نصف متوسط دخل الفرد فى مصر إلا أن معدل الادخار وصل إلى ٢٢٪ فى حين وصل فى **الصين إلى ٤٠٪** من الناتج المحلى.

ومن المسلمات المعروفة فى الاقتصاد انه لا استثمار بدون ادخار. والشرط الضرورى لزيادة معدلات الاستثمارات هو زيادة الادخار بتعبئة المدخرات المحلية. وليس بالاعتماد على القروض. ولذلك فمن الصعب تصديق معدلات الاستثمار التى تتحدث عنها الحكومة فى بيانها. **وسياسات الحكومة مسئولة عن انخفاض الادخار من خلال تحرير سعر الفائدة فى مجال التجارة. مما جعل من الأفضل وضع الأموال فى صورة ودائع فى البنوك. عموما فان سياسات الحكومة تكرس النزعه للمضاربة فى البورصات على السلع وعلى الأراضى بدلاً من النشاط الانتاجى.** ولذلك فالبيئة الزائفة فى الخصخصة وفى حفز الاستثمار مشكوك فى جدواها بل ربما تنطوى على مخاطر كبيرة.

وفى إطار تقييمنا لسياسات السنة الماضية من خلال بيان الحكومة نجد أن البيان ركز على اجراءات تشجيع الاستثمار على حساب القضايا الاساسيةوالتى لابد من التوقف عندها عند تقييمنا لبرنامج الحكومة والتى تتمثل فى:

١- تجاهل بيان الحكومة عملية تحريك الاقتصاد «**رفع معدل النمو**» وكذلك تدنى معدل الادخار.

٢- زاد الدين الداخلى طبقا لتقرير البنك المركزى عن الأوضاع النقدية والائتمانية والذى يقدم لمجلس الشعب حوالى **٥ر١٥ مليار جنيه** بنسبة زيادة **٥ر١١٪** فى حين أن النمو الاقتصادى حسب بيانات الحكومة ٩ر٤٪ أى أن **معدل زيادة الدين** أكثر من ضعف معدل النمو وهو معدل مرتفع جداًوهو عبء على **الأجيال القادمة فالحكومة ترهن مستقبل الأجيال القادمة.**

كما وصلت أعباء خدمة الدين المحلى(الاقساط + الفوائد)فى ٩٥ / ٩٦ إلى **٤ر١٥ مليار جنيه** حيث زادت عن مستواها فى ٩٤/ ٩٥ بمقدار ١٨٪ **تقريبا** معنى ذلك أن المال المخصص لخدمة الدين أكبر من المخصص للأجور.

٣-البطالة : الحكومة تقول إن البطالة ٩٪ من قوة العمل وهذا تقدير غير دقيق بالمرة. مشكلة البطالة هى بطالة المتعلمين . فهناك تركز شديد فى البطالة فى **فئة السن من ١٥ إلى ٢٥ سنة حيث يصل معدل البطالة إلى ٣٠٪** وهذا يعتبر معدلاً عالياً جداً وله افرازات نفسية واجتماعية خطيرة مثل الارهاب.

فالسبيل لحل مشكلة البطالة هو رفع معدل الاستثمار والذى لا يأتى الا بزيادة معدل الادخار. فمعدل الادخار الحالى لا يتيح فرصة للنمو الاقتصادى السريع بما يستوعب قوى العمل الجديدة. عند معدل نمو السكان ٢ر٢ ٪ نجد أن معدل نمو العمالة ٣٪ ولتقليل البطالة لابد من أن تزيد فرص العمل بأكثر من ٣٪ ولو عن هذا الحد سيحدث تراكم فى أعداد البطالة ويمكن ان تزيد فرص العمل بأكثرمن ٣٪ عن طريق إقامة مشروعات كثيفة العمل وليست كثيفة رأس المال. فما يمكن تدبيره من حجم العمل ينخفض حيث ان **فرصة العمل تحتاج إلى ٥٠ ألف جنيه** . ولكن موضوع زيادة فرص العمل موضوع مجهل تماماً فى سياسات الحكومة. فهى تعتمد على الاستثمارات الخاصة فى ذلك . وهو اعتماد بلا اساس فالاستثمار الخاص له مقومات وهو رفع معدل الادخار.

٤- انتشار الفقر والتفاوت الاجتماعى.

نجد أن الفقر يتزايد خلال التسعينات بعد أن كان قد حدث تحسن فى الثمانينات .حدث تراجع تمثل فى:

أ-انخفاض نصيب الاجور من الناتج المحلى الاجمالى . فالحكومة ملتزمة فى برنامج الاصلاح الاقتصادى بتجميد الأجور الاسمية فتنخفض الأجور الحقيقية لترتفع عوائد اسهم الملكية بانخفاض نصيب الاجور. لذلك فانخفاض نصيب الاجور راجع لسياسات الحكومة.

ب- زيادة عدد الاسر المصرية الفقيرة.ثلث الاسر المصرية تعيش تحت خط الفقر. (الدخل لا يضمن لها القدر الادنى الضرورى من الاستهلاك . غذاء-مسكن كساء- صحة).

كما ان قدرة الاسر على الكسب تنخفض باستمرار.

٥- قضايا الفساد . فالفساد يزكم الانوف فى رحاب القطاع العام وينتهزه اعداء القطاع العام للهجوم عليه. بالرغم من ان الدولة تتحمل المسئولية كاملة لانها هى التى تشرف على القطاع العام واصدرت قانون قطاع الاعمال دون الاستماع للرأى العام. وكذلك اتباع اسلوب المحسوبية والمجاملة فى

د. محمد السيد سعيد

رئيس الوزراء فاجأ الرأى العام بمشروع

توشكى دون اعتبار للمعارضة الفنية للمشروع



د. محمد السيد سعيد

تعيين اعضاء مجالس الادارات . أيضا من خلال التجاهل التام لتقارير الجهاز المركزى للمحاسبات وهى مملوءة بالفساد ولا يتم اتخاذ اى اجراء بشأنها والأمثلة على الفساد كثيرة (الحيان -هدى عبد المنعم- منى الشافعى).

مشكلة الفساد ترفع من تكلفة المشروعات وتكلفة الانتاج فيقلل من التنافسية فى الانتاج فقضايا الفساد لها اثر اقتصادى مباشر ورغم ذلك لم يتم التعامل معها بجدية.

بالاضافة إلى هذه القضايا هناك قضايا معلقة لم يتم حسمها بعد مثل قضية **العلاقة الايجارية فى قطاع الزراعة** وهل سيتم تطبيق القانون هذا العام أم لا.

وعموما فان الارقام التى اذيعت فى بيان الحكومة غير دقيقة . وعندما تقول الحكومة ان معدل النمو الاقتصادى وصل ٩ر٤٪ فهذا يعتبر تضليلاً حيث ان الرقم ٩ر٤ ٪ هو المستهدف تحقيقه من الخطة والخطة لم تنته بعد . وبالتالى فالتضليل قائم على تقديم أرقام مستهدفة على أنها ارقام انجاز فعلى.

ولكن قبل أن ننتهى لابد أن نشير إلى أن هناك بعض الايجابيات فى اتجاهات الحكومة مثل تركيز الحكومة بدرجة أكبر من سابقتها على الاتحاد العربى (**احياء السوق العربية المشتركة**) والتركيز على التكامل العربى ولكننا ما زلنا نطالب بالمزيد والا تنتكس هذه الاتجاهات مع تحسين العلاقات مع اسرائيل .حيث يجب أن يكون هذا الاتجاه اتجاها اساسياً ومحورياً».

لعل اراء خبراء الاقتصاد تكون قد القت الضوء على حجم التضليل الذى قدمته الحكومة عند استعراضها لما انجزته فى هذا المجال . ولمزيد من القاء الضوء نقدم فى لمحة سريعة بعض الارقام التى تساعد فى مزيد من توضيح الصورة نطبقاً لبيانات البنك الدولى حول الاقتصاد فى سنة ٩٥- ٩٦ فان معدل التضخم قد ارتفع فى مصر من ١١ ٪ إلى ٤ر١١٪ ولم ينخفض من ٣٠٪ فى ٨٩ / ٩٠ إلى ٧٪ هذا العام كما يدعى رئيس الحكومة .كذلك فان معدل البطالة طبقا لنفس التقارير قد وصل إلى ٥ر ١٧ ٪ وليس ٨ر٩ ٪ فهناك ٣ مليون عاطل فى مصر. ارتفعت اسعار السلع الغذائية بنسبة تتراوح بين ٢٠ ٪ إلى ٣٠٪ خلال ٩٦ طبقا لتقارير الغرف التجارية .. بل أن العجز التجارى وصل إلى ٩ مليار دولار طبقا لتقارير البنك المركزى. من كل هذه الأرقام يتضح حجم المعجزة الحقيقية التى قدمتها حكومة الجنزورى فى بيانها والتى تتمثل فى تضليل الرأى العام بتقديم أرقام مضللة وغير حقيقية عما يحدث فى المجال الاقتصادى.

كما سبق القول فقد تجاهل البيان قضية الديمقراطية وتدهور حالة حقوق الانسان والحريات العامة فى مصر وصمت عنها متعمداً ظانا ان هذا التجاهل يعنى عدم وجود مشكلة. فقد واصل الحكم سياسة التعذيب المنهجى للمعتقلين السياسيين.والتدخل فى انتخابات النقابات العمالية .واستخدام قانون الطوارئ فى التضييق على الأحزاب فى ممارسة دورها فى الشارع المصرى.والتوسع فى اصدار الأوامر العسكرية فى الشئون التى تتعلق بالقوانين المدنية. ولوّح بعض وزراء الحكومة بمشروعات قوانين تنال من الحريات العامة وحرية النشر. وصدور القرارات الادارية بمصادرة بعض اعداد الصحف. والحالة المتدنية التى وصلت إليها حقوق الانسان طبقا لتقارير حقوق الانسان . بل أن دستورية ومشروعية الحكومة نفسها أصبحت محل شك بعد صدور احكام النقض الخاص ببطلان انتخابات مجلس الشعب فى أكثر من مائة دائرة. الا يدعونا كل ذلك إلى التساؤل عن توجهات الحكومة فى الديمقراطية.

يقول المهندس **ابراهيم شكرى** رئيس حزب العمل «لابد أن نعمل دائما على التذكير بالوضع الديمقراطى سواء كان ذلك بعد مرور سنة على الوزارة بل وفى كل وقت. ففى واقع الأمر هناك الكثير من القيود الموضوعة على ممارسة الحياة العامة والتى تخضع لاحكام الدستور. فهناك الكثير من الحريات والحقوق العامة معطلة الان مثل التضييق على الأحزاب فى ممارسة نشاطاتها. وعدم وجود ضمانات كافية لنزاهة الانتخابات . او ضمانات للمواطنين في ممارسة حقوقهم السياسية والتى لا يمكن أن تتوفر فى ظل قانون الطوارئ .وبالرغم من أن هناك ايجابيات يمكن أن تذكر للجنزورى سواء فى المجال الاقتصادى أوالقضاء على الروتين. إلا أنه من الواضح أن هناك تعمداً فى تفادى الحديث عن الاصلاح الديمقراطى. سواء ما يتصل بضمانات خاصة بالانتخابات أو

محاولة تحريك الوضع الديمقراطى من خلال النظر فى القوانين المقيدة للحريات. أو حقوق الممارسة السياسية أو القيود المفروضة على اصدار الصحف أو النظر فى قوانين الطوارئ والقيود المفروضة على الاجتماعات أو المؤتمرات الخاصة بالاحزاب. أو محاولة اعطاء أمل أن هذا الوضع من الممكن أن ينتهى فى القريب.

ولذلك فاننى أدعوإلى العمل جميعاً على الغاء قانون الطوارئ بكل جهدنا والغاء القوانين المقيدة للحريات».

ويضيف **ضياء الدين داود** رئيس الحزب الناصرى إن كل السلبيات التى اخذت على التطبيق الديمقراطى فى مصر لا زالت كما هى بصور مختلفة فهامش الحريات لا زال محدوداً . وكل الانتخابات مشوبه بالتدخل والعبث . ولم يعد التدخل قاصراً على المجالس النيابية بل أنه وصل إلى المحليات والذى من الممكن أن نرى مؤشراته من واقع الاجراءات التمهيدية لها. كما أن هناك ضيق صدر بالمعارضة. **ولكن الحكومة الجديدة حاولت معالجة ذلك باجراءات شكلية من خلال اللقاءات برؤساء الاحزاب التى تتسم بطابع ظاهرى فهى لا تجرى للاستفادة بارائهم فى القرارات المختلفة وانما لاخبارهم بقرارات صدرت بالفعل** .كما أنه لا زال هناك اصرار على تهميش دور المعارضة فالواقع العملى ان المعارضة بكافة فصائلها بعيدة كل البعد عن كل ما تقدم عليه الحكومة من اجراءات وقرارات.كما أن الحكومة بدأت تعتمد على اللجوء للأوامر العسكرية بديلاً للتشريعات مما يعد انتهاكاً صارخاً للديمقراطية . وعموماً فاننا نستطيع ان نقول انه لم يحصل أى تقدم على الصعيد الديمقراطى بشكل عام».

أما د. **رفعت السعيد** الأمين العام لحزب التجمع فلقد قال لنا: « الجنزورى لا يصنع ديمقراطية . فالديمقراطية من القرارات الخاصة برئيس الدولة وليس رئيس الحكومة ولذلك فاننا نستطيع ان نقيم الديمقراطية فى عهد مبارك أو السادات. أما الموضوع الذى انتم بصدد مناقشته فهو موضوع خاطئ من الاساس فالجنزورى ليس له علاقة بالديمقراطية».

ويضيف د. **محمد السيد سعيد ان** تأثير رئيس الوزراء على قضية الديمقراطية تأثير محدود حيث **أن منصب رئيس الوزراء ليس منصباً سياسياً فهو يعتبر كبير الموظفين الفنيين** أما منصبه فمنصب سياسى من الدرجة الثالثة. **فرئيس الجمهورية هو المنصب السياسى الوحيد فى البلاد** بعده جملة من المؤسسات الامنية والموظفين الامنيين الذين يقومون بمتابعة النشاطات السياسية وتقديم تقارير امنية حول الأوضاع الأمنية والسياسية فى البلاد. فرئيس الوزراء منصبه ادارى لا صلة له برسم السياسات العامة ،ولكن تنفيذ هذه السياسة من خلال الاشراف على اداء الوزارات المختلفة وتنفيذ الخطط الموضوعه. ولذلك فقضية الديمقراطية لا تتعلق باتجاهات رئيس الوزراء والتى لا نستطيع معرفتها او تحديدها حتى الآن.

لكننا نستطيع أن نقول ان رئيس الوزراء الحالى فى حدود استطاعته يتبع اسلوباً مختلفاً عن اسلوب إدارة عاطف صدقى والوزارات السابقة حيث استحدث تقليدين جديدين.

١- الاستماع لرؤساء الاحزاب ولرؤاهم وليس لمجلس الشعب فقط فيستمع لشرح السياسات منهم**ولكن اعتقد أنه لا يتأثر بالاراء الأخرى التى يقدمها رؤساء الاحزاب.**

٢- يقبل فكرة التعامل مع الجماهير ولكن ليس بالكثافة المطلوبة وليس بروح الاخذ والرد أى أن الأمر يقتصر على مجرد السماع.

كما أن رئيس الوزراء نجح لحد ما أن يستعيد للدولة زمام المبادرة السياسية فى المجالات التنموية. بحيث اصبحت الحكومة هى التى تطرح أفقاً لسياسات تنموية فى سياق فقر عام للافكار عند القوى الاخرى. ولكن استعادة روح المبادرة والاتخاذ السريع للقرار ينطوى على عدة عيوب منها عدم الرغبة فى التراجع عن القرارات وحتى لو كانت خاطئة كما أن أهم مشاكل وعيوب الاسلوب الخاص برئيس الوزراء انه لا يحضر الجمهور بما يكفى لقرارات كبيرة ولا يهتم بالتعرف على وجهات النظر والشروط المختلفة المتعلقة بقرار معين مفيد باعتبارات مهمة وفى اطار ذلك فان رئيس الوزراء اتخذ قرارين كان من غير الجائز اتخاذهما بالسرعة الخارقة التى تم اقرارهما بها.

١- **صدور قرار الجامعات الخاصة** دون الاعداد الجيد له. فلقد كان من المفترض ان يصدر هذا بقانون وليس بقرار ادارى فالموضوع مرتبط بالقوانين المكملة للدستور والتى **تتعارض مع مبدأ فيه وهو مبدأ مجانية التعليم وتكافؤ الفرص** حيث يجب أن يصدر هذا بقانون يراعى هذه الاعتبارات .فحتى لو اتفقنا على ضرورة التوسع فى التعليم الخاص فى المرحلة الجامعية فعلى الاقل يجب اتخاذه من خلال الدراسات والضمانات الجديه لنجاح هذا المشروع.

٢-**مشروع توشكى الذى نأجابه الرأى العام والخبراء** فان لم تقبل الوجهات الاخرى والتى ترى بدائل اخرى للاستثمار بحيث تتناسب مع الموارد المحدودة لدينا وتناسب اقتصادنا العاجز فعلى الأقل يجب أن الاخذ فى الاعتبار المعارضات الفنية للمشروع حتى يصبح أكثر انسجاماً. بينما اتخذ القرار دون توافق الاراء دون الاشتباك الايجابى مع المعارضة الفنية للمشروع.

عموما فقضية الديمقراطية اصبحت اقل سطوعاًواقل بروزاً نظراً لسطوع اتجاه المبادرة لدى الحكومة الجديدة. بجانب أنها تأسست بعد انتخابات مزوره لمجلس الشعب شهدت احداث تزوير وعنف دموى كبيرة مما يسقط عليها ظل النتائج السياسية لهذه الانتخابات فقضية الديمقراطية فى العام الأخير اصبحت قضية مؤجلة وقضية الاصلاح الدستورى مؤجله وقضية الاصلاح السياسى فى ظل هذه الأوضاع أصبحت مؤجلة فى ظل حكومة الجنزورى بحيث لا تستطيع الخوض فيه فلقد تشكلت الحكومة فى ظل تزوير وتراجع فى الديمقراطية.

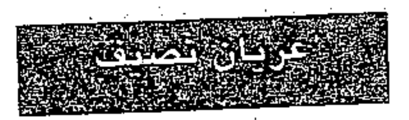


حباً فى الصهاينة.. يوسف والى..

يتحدى دماء الشهداء

يستفز المشاعر الوطنية

يخرج حتى على الخط السياسى الرسمى لمصر



أن يحب د. **يوسف والى** الصهاينة . فهذه قضية شخصية من حقه أن يمارسها. أما أن يفرض هذا الحب على الزراعة المصرية وعلى الشعب المصرى، فهذا ليس من حقه. بل حقنا كمصريين شركاء فى مصير ومستقبل هذا الوطن، أن نقول له- وللحكم فى مصر-**كفى تدميرا للزراعة المصرية، كفى استهانة بدماء شهدائنا ،كفى تحديا لمشاعرنا الوطنية والقومية.**

فالدكتور **والى**- منذ أن كان ما يزال مستشارا لوزارة الزراعة- يعلن بصراحة اقتناعه وإيمانه بضرورة توسيع وتعميق العلاقة مع العدو الصهيونى وخاصة فى المجال الزراعى، وقد مارس ذلك- منذ توليه الوزارة- بحماس كبير وكفاءة عالية للدرجة التى جعلت«**دان ميريدور**»-وزير مالية إسرائيل ورئيس وفدها فى المؤتمر الاقتصادى التطبيعى الذى عقد بالقاهرة فى نوفمبر الماضى- يصرح فى المؤتمر بأن **الاتفاقيات التطبيقية التى حضرها د. والى ، تفوق حجما وتأثيرا كل الاتفاقيات التى عقدت بين إسرائيل وجميع الدول العربية.**

أما الملفت للنظر والمثير حقا ، فهو ظاهرة تكثيف وتعميق د. **والى** للتطبيع مع اسرائيل عقب كل مجزرة اسرائيلية تمارسها فى الأرض الفلسطينية المحتلة أو ضد الشعب اللبنانى.

* **فعقب مذبحة الحرم الابراهيمى بالخليل** ، أوفد د. **والى** مئات الشباب المصريين إلى إسرائيل فى مارس ١٩٩٤ ، بحجة التدريب على زراعة البنجر!!.

* وفى ١١ مايو ١٩٩٦-**فور مذبحة قانا** وقبل أن تجف دماء شهدائنا فى لبنان وفلسطين-قام بترتيب زيارة لأكثر من ١٣٠ من قيادات وزارة الزراعة والشركات الزراعية والقطاع الزراعى الخاص، إلى إسرائيل ، تحت دعوى حضورهم للمعرض الزراعى المقام بمدينة القدس.

* وفى الفترة الأخيرة -**نوفمبر وديسمبر ١٩٩٦**- ومع تزايد جرعة التبجح والعدوانية الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطينى واللبنانى ،ومع التهديد المباشر لسوريا، بل ومع الهجوم الوقح على مصر.. استمر د. **والى** فى اتباع منهجه المثير وهو توسيع آفاق التعاون الزراعى مع العدو الصهيونى.

ونحن لا نلقى الكلام على عواهنه ، بل سنحاول أن نحصر ممارسات د. والى فى هذا الشأن وبهذا النهج خلال هذين الشهرين فحسب، مستندين فى ذلك إلى ما نشر فى الصحافة المصرية، سواء القومية (**الأهرام -روزاليوسف**) ، أو المعارضة أو المستقلة (**الأهالى -العربى- الشعب- الدستور**) ، دون أن يتم تكذيب أى خبر منها سواء بمعرفة د. **والى** أو أى جهة مسئولة فى الدولة.

كما نستند أيضا إلى ما أعلن فى مؤتمر القاهرة الاقتصادى أو بعده. على لسان وزيرى المالية والزراعة الإسرائيليين ، بالاضافة إلى التلفزيون والراديو والصحافة الاسرائيلية.

(١)**عقد بروتوكول جديد بين وزارتى الزراعة المصرية والاسرائيلية**، يتضمن:

- توسيع تبادل الخبراء الزراعيين.
-الترتيب لوصول ما بين ٥٠-١٠٠ خبير إسرائيلى للعمل فى المشروعات الجديدة فى سيناء وتوشكى والأراضى التى ستتم زراعتها بمياه ترعة الشيخ زايد.
- ايفاد ما بين ٨٠-١٥٠ مهندساً زراعياً مصرياً إلى اسرائيل للتدريب على الزراعة.

للجنة المصرية الاسرائيلية الزراعية العليا، ومن أهم بنود جدول أعمالها، **التعاون فى مجال الرى المصرى وزراعة أراضى سيناء.**

(٩) **إرسال أكثر من ١٠٠ شاب من الخريجين المشتركين فى جمعيات الاستصلاح والاستزراع إلى اسرائيل** بجوازات سفر «**خاص بمهمة رسمية**»!.. مع تهديد من يرفض السفر بحرمانه من الأرض التى استزرعها.

(١٠) التحرك المصرى الاسرائيلى المكثف لانجاز المشروعات المشتركة التالية:

-**مشروع التنمية الزراعية شرق العوينات.**

-مشروع بنك **الجينات النباتية بمشتهر.**

-**مشروع مركز التدريب على زراعة الصحراء بمريوط.**

- **مشروع الانتاج السمكى ببحيرة البردويل.**

-**مشروع سلالات التقاوى مع شركة «ناجدميرين» الإسرائيلية وبتمويل أمريكى.**

-**مشروع بنك المعلومات الزراعية المصرى / الاسرائيلى/ الأمريكى.**

-مشروع تدريب **المصريين على زراعة أصناف جديدة من القطن!.**

***

هذه هى بعض ممارسات د. **والى** -التى أمكن رصدها خلال ٦٠ يوما فقط فى نفس الوقت الذى كانت فيه القيادة السياسية والخارجية المصرية تعلن رفضها- وسخطها -على ممارسات العدو الصهيونى.

وأمام ذلك، أليس من حقنا-بل من واجبنا-حماية للزراعة المصرية بل والأمن القومى المصرى، أن نطالب الحكم فى مصر- طالما يرفض تبادل السلطة ديمقراطيا -أن يمارس-على الأقل- «تبادل السلطة» من داخل السلطة -فى مجال مسئولية السياسة الزراعية- ليس لحماية الزراعة المصرية فحسب، بل لحماية المصالح العليا للوطن، من هذه البرولة التطبيعية المدمرة؟!.



(٢) سفر وفد من خبراء الزراعة **واستصلاح الأراضى** العاملين بمشروع «شروق» إلى اسرائيل.

(٣)وصل **عدد طلبة كليات** الزراعة الذين تم بعثهم إلى إسرائيل، إلى حوالى ١٧٠٠ طالب.

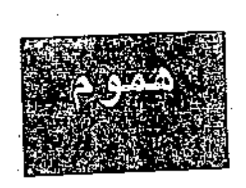
(٤) تنفيذ مشروع كبير- بتمويل أمريكى أوروبى- للعمل المشترك المصرى /الاسرائيلى لدراسة **الأصول الوراثية لنبات «الفستق»!!** ، باشراف جامعة بن جوريون.

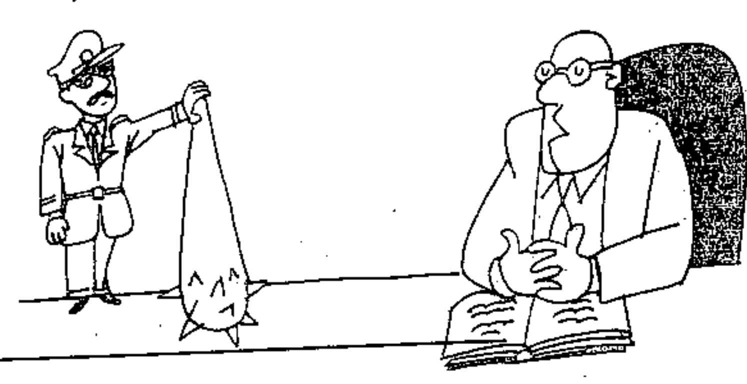
(٥)**دخول شركة إسرائيلية إلى مصر لانتاج ألبان الأطفال** ، بالاضافة إلى الاتفاق مع شركة «**أوسم**» الاسرائيلية واتحاد الغرف التجارية الاسرائيلى لانتاج **مشترك للألبان بتمويل ٧ مليون دولار من أمريكا.**

(٦) **زيارة ٢٥ مسئولاً كبيراً بوزارة الزراعة لإسرائيل للتدريب**، بتمويل من هيئة التنمية الأمريكية ، مع اعتبار هذه الزيارة عاملاً أساسيا للترقيات فى الوزارة.

(٧) **إجراء مفاوضات مع ١٠ شركات إسرائيلية كبيرة** -من خلال الإدارة الأمريكية للعمل **فى ترعة السلام** فى مجالات الرى والتربة والمجتمعات السكانية.

(٨) الإعداد لانعقاد الدورة التاسعة





الحرية الاكاديمية في الجامعة المصرية

د. احمد محمد صالح

حينما دعيت للمشاركة في ندوة الحريات الفكرية والأكاديمية التي عقدها مركز البحوث العربية منذ أكثر من شهرين ، ترك لي حرية اختيار شكل المشاركة، واختيار المحور الفكري. وأيضا الموضوع ، وفضلت بحكم المهنة والاهتمامات أن أعد ورقة في الحريات الاكاديمية في الجامعة المصرية ، وقدمتها فعلا لإدارة الندوة في صورتها شبه النهائية ،وأفرغت نفسي استعدادا لحضور هذه الندوة. ولكن لم يشأ الله أن أحضر رغم حرصي على ذلك لظروف قهرية فاعتذرت في آخر لحظة. فتولي زميل فاضل القاء ملخص لها. وكانت خسارتي كبيرة لأني كنت حريصاً على مقابلة تلك النخبة المجتمعة من المفكرين الذين أتابع أفكارهم وكتاباتهم من بعيد وأتوقع شكلاً معيناً لكل واحد فيهم من خلال مضامين أفكارهم. المهم أنني اكتشفت حين بدأت العمل في تلك الورقة البحثية أنني أجهل تماما المعنى الدقيق للحرية الاكاديمية واستقلال الجامعة، رغم السنوات الطويلة فيها طالبا وأستاذا والتي بدأت في ١٩٦٨ . وتبين أن كل معرفتي بالموضوع معرفة شفهية غير دقيقة سمعتها وهي تتداول في المجتمع الاكاديمي. واتضح جهلي تماما بتاريخ الجامعة المصرية ودورها في النضال الوطني، واكتشفت أخيرا أنني لم أتلق في مرحلة إعدادي كطالب وكعضو هيئة تدريس أي توجيه عن حقوقي وواجباتي في الجامعة. وكل تراثي في ذلك مجرد سماع من اساتذتي ،وخبرات تتراكم.

وأرجعت ذلك إلى أنني واحد من جيل **النكسة** كما يقولون، حيث حصلت على الثانوية العامة سنة الهزيمة ٦٧، ودخلت الجامعة مع مظاهرات الطلبة بسبب أحكام قضية الطيران ٦٨ ١٩ ، وقضيت سنوات المرحلة الجامعية مع حروب الاستنزاف وموت عبد الناصر وعام الحسم، وتم تجنيدي بعد التخرج لسنوات طويلة انتهت باشتراكي في حرب أكتوبر، وبعدها عدت للجامعة دارساً. طوال فترة الدراسات العليا عايشت اتفاقيات السلام والانفتاح وصعود تيار الارهاب ومذبحة السادات لأعضاء هيئة التدريس والقوى الوطنية في سبتمبر ١٩٨١، ثم بدأت عضوية هيئة التدريس مع اغتيال السادات وقوانين الطوارئ وسيطرة الجماعات المتأسلمة على الجامعة تماما. وهذه المعايشة شرحت تكويني الفكري كأستاذ في الجامعة الذي تشبع بمتناقضات الوطن.**فأنا من جيل لم يعرف الحرية، ولم يمارسها ، واذا مارسها** أحيانا يكون ذلك مشروطا بأهداف السلطة. وحفزني جهلي وحالة الجوع المعلوماتي إلى استكمال كافة جوانب الموضوع، لكي أكمل نقصاً شعرت به وأشبع معرفتي، بفلسفة الحرية الاكاديمية وإعجابي بتاريخ الجامعة المصرية ودورها حتى ثورة ١٩٥٢، لذلك تضخمت الصفحات التي قدمتها إلى الندوة، فكان التعليق المهذب عليها من الأستاذ **حلمي شعراوي** مدير المركز بأنها شملت عدة محاور، ولكنني لم أخرج عن إطار الجامعة ،حيث تكونت الندوة من عدة محاور هي **الاطار الثقافي والسياسي والاجتماعي والقانوني للحريات**،والمحور الثاني عن **الجامعة والتعليم والحريات**،والمحور الثالث عن **المسئولية الاجتماعية للمثقف** . وعقدت تلك الندوة بالتعاون مع عدة جهات هي **مركز البحوث العربية والمجلس الافريقي لتنمية البحوث الاجتماعية والمنظمة العربية لحقوق الإنسان واتحاد المحامين العرب**،في الفترة من ٢٢ إلى ٢٤ نوفمبر١٩٩٦ وضمت نخبة من أساتذة الجامعة والمفكرين، وكانت الندوة مهداة إلى الأستاذ **نبيل الهلالي** محامي الشعب.

والفكرة الرئيسية للحرية الاكاديمية تدور حول حقوق المجتمع الاكاديمي(الأستاذ والطالب والمؤسسة التعليمية) في ممارسة العمل بحرية، بدون تدخل أو منع أو رقابة من الآخرين سواء كان من الحكومة أو أي سلطة ادارية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية أو أي هيئة خارج الجامعة. ولهم كل الحق والحرية في الكلام والتعبير والتفكير والمناقشة والمجادلة ،وحرية تبادل الأفكار ولهم أيضا الحق والحرية في التدريس والتعليم والتعلم والنقد والابداع، علاوة على حرية المشاركة واختيار وإجراء البحوث وحرية نشر نتائج هذه البحوث بصورة صريحة ونقلها للآخرين بدون رقابة أو حذف أو تعديل أو عقاب.

ورغم أهمية الحرية الأكاديمية وضرورتها للابداع. وهي أيضا لها حدود يجب أن تحترمها مثل ديانات الآخرين وأهداف المؤسسة التعليمية أو البحثية وأهداف المجتمع. فبقدر **الحرية المتوفرة للباحث الاكاديمي تكون مسئوليته وضميره فالحرية هي الأصل.**

وانطلاقا من المعطيات السابقة، نتفق على عدة نقاط:

١- مصطلح الحرية الاكاديمية له معان وتطبيقات مختلفة، وتكون المجادلة دائما حول مدى احترام وقبول حدود هذه الحرية فالحكومات الديكتاتورية تحاول التحكم في البحوث والتعليم،**وبعض المجتمعات حتى الديمقراطية منها لا تسمح**



د. حسين كامل بهاء الدين
وزير التعليم



نصر حامد أبو زيد



أحمد نبيل الهلالي

للاستاذ ذات النظرة المعادية للديمقراطية ، أو الشيوعي، أو الفاشي بالتدريس، بل تجرده من حقوقه الشرعية وأهليته. وبعض المجتمعات تكتفي بالمراقبة وتسمح للاساتذة بالتعبير عن أفكارهم الراديكالية مع عدم تركهم يتطرفون لدرجة التآمر ضد الحرية، وهذه المواقف تعكس الاختلاف في هامش السماح بتلك الحرية في المجتمع.

٢- الحرية الاكاديمية تنمو وتزدهر في المجتمع الديمقراطي، فهي على علاقة تبادلية مع الديمقراطية، واذا كان المجتمع الديمقراطي يستلزم التعليم المشروط بالحرية الاكاديمية لأن له دوراً رئيسياً في تشكيل نسق القيم السائد والمشجع للديمقراطية. فالحرية الاكاديمية ترتبط أيضا وجودا وعدما بمنظومة الحريات التي يقوم عليها المجتمع الديمقراطي.

٣- يبين التاريخ أن **الحرية الاكاديمية واستقلال الجامعة كان واقعا ملموسا في الجامعة المصرية قبل الثورة** ،حيث تمتعت منذ نشأتها بالاستقلال النسبي عن الصراعات السياسية. ورغم أنها ظلت تتلقى التمويل من الدولة إلا أنها لم تصل إلى السيطرة الكاملة عليها كما يحدث الآن. وأصبحت مسيرة بأشكال مختلفة من التحكم السياسي، وانحصرت وظيفتها الرئيسية في التدريب الاكاديمي ،وأصبحنا في حالة شبيهة بحالة العصور التي كانت **السلطة فيها هي المرجع الأخير في شئون الفكر والعلم**، "فانحصر الابداع لغياب الحرية في الجامعات والاكاديميات نتيجة لمنظومة التفاعلات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمع، فالجامعة المصرية تعاني من إعاقة لمنظومة الحريات الاكاديمية.

وبعد ذلك التمهيد دعونا نستعرض المشهد الرئيسي في الجامعة المصرية الآن:

فمنذ دخولك من البوابة الرئيسية للجامعة المصرية في أي محافظة سوف تلحظ فورا **المظاهر الأمنية والمسلحة** حولها. ستجد من يوقفك فورا ويسأل عن سبب دخولك وهويتك، ولن تخطئ عينك داخل طرقات الجامعة رجال الأمن الموجدين في كل مكان الظاهر منهم والمتنكر في صورة شباب بملابس رياضية، بل هم متواجدون على أبواب المحاضرات بل داخل المحاضرات نفسها. واذا **دخلت لرئيس الجامعة أو النائب أو العميد أو الوكيل أو حتى رئيس القسم غالبا ما تجد عنده ضيفاً من الأمن** يصمت حين تدخل ويحييك بابتسامة عريضة وتلمح في عينه نظرة اتهام. أو تجد المسئول الجامعي الكبير يترك اجتماعاً بأعضاء هيئة التدريس ويهرول ويكاد ينحني لعضو مجلس شعب الذي يحتمل ان يكون أمياً أو تاجر مخدرات أو هربان من الجيش، وداخل الحرم الجامعي الكثير من الاعلانات عن ندوات جامعية وأنشطة طلابية، واذا تعمقت أكثر في العناوين تجدها محصورة دائما في لقاء مع ضيف رسمي من الحكومة سواء كان مسئولاً تنفيذياً أو فناناً أو مفكراً المهم يكون من الحكومة ويجمعوا له الطلبة بالعافية والتهديد. أو ندوات عن تلوث البيئة والتي أصبحت موضة قديمة الآن، بعد الانفراط المفاجئ في ندوات عن القدس كنوع من زفة إعلامية توحي بضغط الجامعات على القيادة للاهتمام بالقدس مجرد تمثيلية ديكور، فقد هرولت الجامعات في عمل ندوات عن القدس وفقا لتعليمات الحكومة. ورغم أهمية القدس التي لم تكتشفها الجامعات ألا مؤخرا **فهناك قائمة حيوية لمشاكلنا لا تستطيع الجامعة أن تتكلم فيها حتى في ندوة عامة مثل الوحدة الوطنية ، أو الحريات السياسية ، أو الفساد المستشري في المجتمع حتى الجامعة أو عن المشاكل الحقيقية للجامعة نفسها مثل تعيين العمداء، ومشاكل جماهير الطلبة بعد الدفعة المزدوجة التي انفجرت بها المدرجات والمعامل**.كأنها خطة مرسومة حين تنفجر الجامعات الحكومية بالدفعة المزدوجة يعلن عن قيام الجامعات الخاصة.

واذا دخلت محاضرة تظن نفسك في استاد رياضي بحضور جمهور يشجع الاستاذ والحكم على باب المحاضرة يبتسم ببلاهة. وهذه الصورة هي نتاج حرص السلطة الدائم على وضع القيود القانونية على حركة الجامعة فمن يحلل قانون الجامعات ولائحتها التنفيذية يلحظ تصاعد القيود الاجرائية. فمدى ضيق أو اتساع هامش الحريات السياسية والفكرية في المجتمع يؤثر سلبا وايجابا على الحرية الاكاديمية في الجامعة. **بل يزيد على ذلك سيطرة ثقافة النفط، والارهاب السياسي والفكري المتستر تحت العباءة الاسلامية ضد كل من يختلف معه، وأصبح هاجس الاتهام بالكفر والالحاد** مسلطاً على رقاب الاكاديميين، وانعكست هذه الاجراء في الجامعة بجملة من النتائج السلبية الواضحة



طه حسين

○○ استقلال الجامعة كان واقعاً ملموسا قبل ثورة يوليو فتمتعت بالحرية الاكاديمية والابتعاد النسبي عن الصراعات السياسية ○○



أخطرها انتشار دعوة أسلمة المعرفة وأصبح خطر هذه الدعوة يكمن في سيادة فكر لاعقلاني شبه خرافي حتى بين أوساط الاساتذة ،وتتحول إلى مجال للصراع الايديولوجي داخل مؤسسة الجامعة. وانحصر البحث العلمي في نوعين الأول: **مشروعات بحثية تعتمد على مصادر تمويل خارجية ، حيث من يملك المال يملك اتخاذ القرار في ادارة وتوجيه سياسات تلك البحوث بما يتلاءم مع أهدافه الخاصة**(هناك اساتذة يشرفون على مشروعات بحثية بملايين الجنيهات باسم التنمية الريفية وتتحول إلى مراكز قوى داخل الجامعة، وهناك أساتذة سماسرة للمشروعات البحثية يعرفون من أين تأتي وأين تذهب).
النوع الثاني: ممارسة الاستمناء العلمي بتخيل مشكلات بحثية غير حقيقية وغير واقعية والقيام باجرائها بغرض الترقية أو مجرد نشاط أكاديمي ليس له مردود.

أما أنشطة الطلاب باستثناء أسر الجماعات الاسلامية وتمويلها ونشاطها الملحوظ الذي يتغاضى عنه حرس الجامعة الذي يتشدد مع التيارات الأخرى من الطلبة. يمكن أن تقرأ اعلانات تلك الأنشطة في طرقات الجامعة، وهي غالبا هامشية لا تدعم العملية التعليمية، كالأسواق الخيرية أو مجلات حائط مثل مجلات الأطفال في الفصول. ورغم هشاشة تلك المجلات وركاكة افكارها فهي مرت على عدة رقباء شجعوا هذا العبث. **وتتمعن في وجوه الطلبة والطالبات تلمح الشيخوخة ومشاعر الاحباط والعجز والفقر والبؤس رغم شباب العمر.** فقد واجهت السلطة الرسمية أول اتحاد عام لطلاب مصر عام ١٩٦٠ بمحاولات الرقابة والتوجيه والاختراق بالمال والاغراء والتهديد والوعيد ووصل الأمر إلى فرض الوصاية، وتحتها تحول الطلاب من الميل والاتجاه إلى المشاركة والقيادة الذي كان سائدا من قبل إلى مرحلة السلبية واللامبالاة، وكان المجتمع الطلابي أكثر شرائح المجتمع تحركا بعد نكسة ١٩٦٧. وفي فترة السبعينات اشتد ساعد الحركة الطلابية والتحم مع جميع شرائح المجتمع يومي ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ واصطدموا مع السادات وكانت النتيجة حل الاتحادات الطلابية وابتداع **لائحة جديدة للطلاب عام ١٩٧٩** وهي سارية حتى الآن ،الأمرالذي جعل اتحاد الطلاب مجرد لافتة بغير مضمون وفرضت الوصاية الكاملة حتى أصبح الطلاب يتندرون بأنه اتحاد اساتذة ، فأصبحت الجامعة المصرية تتكون من اساتذة وطلاب مقهورين وتخرج أجيالا سمتها الخنوع والقهر، وتخرج أفواجا من عبيد القرن الواحد والعشرين.

واذا كان المشهد السابق يعكس حالة ما وصلت إليه الجامعة المصرية والقيود على حريتها الاكاديمية والفكرية ، فان توابع هذا المشهد تتجلى في الشارع المصري حيث **الخرافة والدجل والشعوذة وثقافة الجهل والتعصب والتطرف الفكري،** فعندما طلب مركز البحوث العربية ترجمة الورقة المتقدم بها إلى الانجليزية ، حرصت على مراجعتها من نواحي الهجاء والقواعد وان تكون بأسلوب يستفيد القارئ الأجنبي، فاستعنت بمكتب ترجمة مشهور ومعتمد يتعامل مع محترفين واساتذة في اللغات، فوجئت أن المكتب رفض تماما التعامل مع أي نصوص خاصة بقضية **نصر أبو زيد** أو موضوع أسلمة المعرفة، بل أنهم غيروا المصطلحات التي استعملتها مثل **التطرفExtremism والتعصب Fanaticism والعنف Violence إلى مصطلح مخفف هو التحيز الدينيReligious Prejudice**، ورغم ذلك حرص المكتب على أن يأخذ ثمن الورقة البحثية كاملة منتهى التدين! وسألت عن السبب قالوا: **نصر أبو زيد كافر** ودفاعك عنه كلام ضد الحكومة وضد الدين. واكتشفت مدى رعب وخوف وجهل وتعصب القائم بالعمل ، وعرفت انه عاش في السعودية سنين طويلة، واعتقد أن هذا الموقف لا يحتاج إلى تعليق بل هو نتيجة طبيعية للمشهد الرئيسي الاسبق . ولذلك اعتمدت على نفسي واستعنت بالكمبيوتر في المراجع الهجائية والنحوية، ولم يعترض الكمبيوتر على **نصر أبو زيد** .

ولكن السؤال الآن اذا كان كل مصري عمل عمرة في السعودية أصبح يفتي في الدين والحلال والحرام، فان تعين مفتي جديد للديار المصرية يصبح مثل بيع المياه في حارة السقايين.

في عصر الجمعة ١٣/١٢/١٩٩٦

البدو يلوثون النيل

عرض التلفزيون المصري على القناة الثانية الفيلم الأجنبي **أميرة النيل** وتدور أحداثه حول الأمير **هادي ابن خليفة المسلمين** وأحد قادة النصر ضد الصليبيين، وهو في طريقه إلى بغداد ليخبره والده بالنصر يمر على حلوان حيث يعيش المصريون وملكهم وابنته **أميرة النيل** تحت وطأة ظلم **وطغيان الأمير راماخان وهو أمير البدو** الذين غزوا مصر. وقد استخدم الأمير البدوي كاهن القصر(السلطة الدينية) في مراقبة الأميرة التي تنكرت في هيئة راقصة، وأكرر راقصة (تأكيدا على الدور في الأغلبية لصوص فقراء وظرفاء، وساعدها **الأمير هادي** في القضاء على البدو بعد عدة مغامرات .

وفي نفس اليوم صدفة نشر اهرام الجمعة تأكيدات **عادل حموده** للنيابة صحة ما نشره من معلومات عن تلقي مسئول مصري **سيارة هدية من ثري** بدوي من الأسرة المالكة السعودية **أخو زوجة ملك السعودية** نظير التغاضي عن اتخاذ الاجراءات القانونية ضد احدى الممثلات التي تغيبت عن دورها في مسلسل للتلفزيون المصري الذي يقع على النيل. كأن الزمن لم يتغير، دائما البدو الذين يحيطون بمصر يحرصون على تلويث النيل وانتهاك حرمته تارة بالسيوف، وأحيانا بالأفكار الدينية المريضة وسلوكياتهم الأخلاقية المنحرفة **ولكنهم غالبا يلوثون مصر بالمال الذي يحاولون به افساد أصحاب النفوس الضعيفة من المصريين،** لكي يزداد الفساد عمقا في مصر بالمفسدين البدو الذين يكنون عداءً طبيعيا لكل ما هو مصري ويحاولون بشتى الطرق تشويه وتلويث ذاكرة المصريين، لقتل التميز والانفراد الحضاري الفطري للمصري والعودة بنا إلى العصور الوسطى.

والعجيب أن يصدر مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية للأهرام هذه الأيام موسوعة-٣٨٩ صفحة- انيقة عن **الحالة الدينية في مصر** ولم يتعرض بالدراسة أو حتى التلميح عن دور البدو في تلويث الفكر الديني المصري وتأثير أموال النفط على المؤسسات الدينية الرسمية والأهلية.

التنمية والتضليل الاعلامى

رغم أن العلوم الاجتماعية صنفت مناهج التنمية واساليبها، ووضعت شروط الاعلام عنها حتى تكسب المصداقية بين الناس، إلا أن مصر نجحت فى العشرين عاما الأخيرة فى أن تسجل لنفسها **منهاجاً جديداً ومتفرداً ومتميزاً فى العالم وهو منهج التنمية القائم على الطبل والزمر** حيث يختلط فيه الإعلان والدعاية مع الإعلام. وتبلور هذا المنهج أخيرا فى الضغط الاعلامى الفج عن تنمية جنوب الوادى. وفى حفل افتتاح إعطاء إشارة البدء بمشروع ترشكى، الذى تم فى مهرجان سياحى على شاشات التلفزيون حضرته النخبة الحاكمة ومعها رجال الأعمال وكدابين الزفة والطبالين والزمارين بصحبة الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات مع خلفية موسيقية تعلن الجهاد والنصر. رأينا هذا الحشد العجيب حول الادارة السياسية وهى تعلن للعالم فى مظاهرة إعلامية وإعلان تليفزيونى عبر الفضاء عن بدء مشروع تنمية جنوب الوادى فى ترشكى، وأن مصر على استعداد لاستقبال كافة الاستثمارات فيه بكافة التسهيلات.

وتيقظت ذاكرتى واستحضرت صور **عبد الناصر وخروشوف والملك محمد الخامس** وهم يعلنون فى نفس اليوم ٩ يناير سنة ٣٦ عاما بدء تنفيذ مشروع **السد العالى** الذى بدأت الدراسات فيه منذ الاربعينات، وخاضت مصر حرب السويس بعد أن أممت القناة لتمويل السد العالى. كان حفل افتتاح العمل فى السد بعد مشوار طويل من الشهداء والدماء فى بورسعيد. واذا تمعنت فى الصورة التى جاءت بعد ملحمة وطنية، وتأملت من هم الحضور فى حفل بدء العمل بالسد العالى وقارنت ذلك بصورة الحضور فى حفل ترشكى تجد الفرق واضحا وفعليا، يعكس تماما التغيير الجذرى فى توجهات النخبة الحاكمة.

وفى الدول التى تحترم العلم وتحترم عقول مواطنيها ولا تعاملهم على أنهم أطفال قاصرى الفهم والادراك، فى هذه الدول حين تقرر البدء فى مشروع تنموى ضخم لصالح شعبها، تكلف جامعاتها ومراكز بحوثها وعلماءها من كافة التخصصات بعمل كافة الدراسات حول جميع جوانب المشروع، أو تقدم لهم الدراسات القديمة التى تناولت المشروع لتحديثها فى ضوء المتغيرات العديدة التى حدثت فى العالم، وبالطبع تتيح لهم كافة الامكانيات والحرية البحثية الكاملة فى اعلان نتائجهم، ثم **يجتمع الجميع فى مؤتمر تحت اشراف الادارة السياسية، ويضم كافة القوى السياسية والفكرية والعلمية الفاعلة المؤيدة والمعارضة، ويتابع الشعب المناقشات الحرة تماما عبر وسائل الإعلام بطريقة تحترم عقول الناس وتقدم لهم الحقيقة كاملة، بدون اخراج درامى أو أغانى واناشيد نجة عفى عليها الزمن.** ويخرج الوطن كله من هذا المؤتمر بتصور حقيقى وصادق قائم على العلم والشفافية لما سوف تفعله الدولة بالمشروع وكيفية متابعتها ومراقبتها، وقتها يتم الافتتاح بحضور كل من شارك بفعالية فى دراسات المشروع من علماء ومهندسين وخبراء من كافة التخصصات، وتكون فرصة لتكريمهم إعلاميا أمام الجماهير واعطاء الشباب نموذج و قدوة جديدة غير الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات.

وقد لوحظ أن الضغط الإعلامى المفاجئ والمريب عن إعلان عن مشروع ترشكى جاء بعد سلسلة متتالية فى وسائل الاعلام عن نتائج المؤتمر الاقتصادى الأخير. وجاء أيضا بعد موجة عاتية من قضايا الفساد التى وصلت إلى نخاع الوطن، وكأن هذا الضغط الاعلامى والافتتاح المهرجانى للمشروع يعلن بصراحة أن الدولة تعرف جيدا أن الناس فقدت المصداقية فيها رغم كل جهود الدكتور **الجنزورى** فى التيسير على الناس. والناس معذورة فى عدم تصديقها فخبرات الوطن فى **مديرية التحرير، ومشروع الصالحية وشرق العوينات، والوادى الجديد، ومنخفض القطارة، وتمثيلية المليون شجرة زيتون فى عهد السادات**، كلها خبرات سيئة تعكس فشل الحكومات المتتالية فى تلك المشروعات الحضارية التى قامت بقرار سياسى.

وهنا نذكر القارئ بكتاب شيق عنوانه **the mind managers تأليف** هربرت. أ. شيللر وترجمة الأستاذ **عبد السلام رضوان** فى سلسلة عالم المعرفة تحت عنوان «**المتلاعبون بالعقول**» فى هذا الكتاب تجد تفسيراً واضحاً لهذا الضغط الاعلامى على المصريين يوميا من وسائل الاعلام الرسمية، حيث نقرأ، **ان التضليل الاعلامى لعقول الناس هو الوسيلة التى تسعى النخبة الحاكمة من خلالها إلى تطويع الناس لأهدافها الخاصة**. فباستخدام الطبل والزمر والدعاية والاعلان التى تفسر وتبرر وتضفى على سلوكيات الدولة طابعا وطنيا وحماسيا يضمن به المضللون التأييد لنظام لا يخدم فى المدى البعيد المصالح الحقيقية للأغلبية. وعندما ينجح التضليل الاعلامى تنتفى الحاجة تماما إلى اتخاذ تدابير اجتماعية بديلة.

ومن السمات الاساسية للادارة السياسية التى تمارس التضليل الاعلامى هى **الاستئثار المنظم بالمعلومات** التى هى حق خالص للجماهير، التى سرعان ما تجهل كل ما يتعلق بشئون حياتها وتفقد الثقة تماما فى هؤلاء الذين يسيرون أمورهم، ويصبح حجب المعلومات أكبر أداة للسيطرة والتحكم فى المجتمع. ومن السذاجة أن نتصور أن أجهزة الاعلام وهى أخطر أدوات السيطرة فى يد الادارة السياسية يمكن أن تكشف عمدا عن الكيفية التى تمارس بها تلك السيطرة، فعندما تمارس تلك الاجهزة الضغط الاعلامى فى سيمفونية واحدة مخططة حول تمجيد شخص أو موضوع معين يصبح الإقحام العرضى لموضوع خلافى أو نقدى حتى بدون أن يتم تغطيته فورا بالاعلانات المثيرة ومواد الترفيه المتنوعة يصبح نوعا من الانتحار خاصة بعدما تتباهى تلك الأجهزة بأنها تسمح بنشر واذاعة المواد النقدية والمخالفة لرأى السلطة السياسية ويقبل الجمهور ذلك ويقتنع بحيادية وموضوعية تلك الأجهزة.

والان اذا راجعت هذا المقال من الأول ستجده نوعا من الانتحار والسباحة ضد التيار والسماح بنشره عبر وسيلة معينة يعكس مدى مصداقية المقولة السابقة.



مع التوقيع على بروتوكول إعادة انتشار الجيش الاسرائيلى فى مدينة الخليل وملحقاته تعود وتنتصب أمامنا مرة أخرى نفس القضايا الجوهرية التى حالت دون التوقيع على البروتوكول المذكور بالسرعة المطلوبة. أنها القضايا التى تتعلق باستحقاقات الفترة الانتقالية وآليات تنفيذها وفى المقدمة منها إعادة انتشار قوات الجيش الاسرائيلى فى باقى مناطق الضفة الغربية.

لقد نجح المفاوض الفلسطينى بعد جهود حثيثة ومفاوضات طويلة واثر التدخلات والوساطات الحصول على **تعهد امريكى** ،بعد أن رفض الجانب الاسرائيلى تقديم تعهد مباشر وذلك على شكل **رسالة من وزير الخارجية الأمريكى وارن كريستوفر** تؤكد استعداد اسرائيل لاعادة انتشار الجيش الاسرائيلى فى الضفة **على ثلاث مراحل تبدأ فى آذار «مارس» القادم وتنتهى فى أواسط عام ١٩٩٨** . بالاضافة إلى **متابعة تنفيذ الاستحقاقات الأخرى مثل قضية المطار فى رفح والمعابر والميناء فى غزة والمعتقلين ،مع التأكيد أيضا بأن المفاوضات حول الحل الدائم ستبدأ خلال شهرين.**



رسالة القدس

حنا عميرة

وهذا يعنى أن الذى أعاق توقيع الاتفاق حول الخليل، هو اصرار حكومة نتنياهو على إعادة فتح الاتفاقيات ،وتعديلها فى البداية،ومن ثم رفضها الالتزام بجدول زمنى، لتنفيذ ما تبقى من اتفاقيات المرحلة الانتقالية،ومحاولة تأجيلها ودمجها فى مفاوضات المرحلة النهائية، أى محاولة فرض مواقفها وتصوراتها لمرحلة ما بعد الخليل.

ومن هنا فان ما جرى التوصل إليه حتى الآن، **لا يعنى ان حكومة نتنياهو قد عدلت مواقفها**،وان الطريق أصبح سالكا أمام استكمال مفاوضات المرحلة الانتقالية ،فهذه طريق لا تزال صعبة وطويلة، ومليئة بالكثير من العقبات والتحديات،وتتطلب المزيد من الجهود وتوحيد الطاقات من أجل التصدى لها والتغلب عليها.

فالمسافة بين المواقف الاسرائيلية والفلسطينية، لا تزال شاسعة،وعوامل الصراع لا تزال قائمة، والاتفاقيات المؤقتة التى جرى تحقيقها حتى الآن، لم تلغ هذه العوامل التى يمكن أن تتفاعل وقد تتفجر اذا ما اعتقد الجانب الاسرائيلى، ان باستطاعة تجميدها أو تثبيتها ، ضمن سقف الحكم الذاتى الضيق والمحدود الذى يريد احتجازها فيه.

فمن الناحية الموضوعية ، يمكننا القول إن العملية التفاوضية منذ مدريد وما تمخضت عنه حتى الآن، وهو قليل جدا بالقياس لما يريده ويطمح إليه الشعب الفلسطينى، قد نقلت المجرى العام للصراع من حالة الاشتباك العسكرى إلى حالة الاشتباك السياسى اذا جاز التعبير،وهذا يعنى أن حالة **الصراع لا تزال قائمة وتستمد جذوتها وحدتها من استمرار الاحتلال نفسه، الذى لا يزال جاثما على معظم الأرض الفلسطينية فى الضفة وجزء من أراضى القطاع**.ولعل الهبة الجماهيرية فى ايلول الماضى هى أكبر دليل على ذلك.

وحتى قبيل التوقيع على اتفاق الخليل وبعده، فقد صدرت العديد من التصريحات عن نتنياهو ومستشاريه ونفذت العديد من الاجراءات، التى تشير إلى أن **الحكومة الاسرائيلية،تتجه إلى التصعيد، وأن عوامل المواجهة ابتدأت تتجمع من جديد.**

فحال التوقيع على الاتفاق **تباهى رئيس الوزراء الاسرائيلى، بأنه استطاع انجاز عشر نقاط ايجابية اضافية، على الاتفاق السابق، الذى كان قد وقعه شمعون بيريز**.وتحدث بشكل رئيسى عن رسالة التعهدات الأمريكية ،التى اشارت حسب اقواله، إلى أن اعادة الانتشار الاضافى للجيش الاسرائيلى فى المرحلة الثالثة ستكون إلى **مناطق أمنية تحددها اسرائيل**-وليس أى طرف آخر.وفى رد على تصريحات للرئيس ياسر عرفات، بأن اعادة الانتشار ستعيد حوالى ٨٠٪ من مناطق الضفة قال نتنياهو بأنها: «**لن تعيد** ٨٠٪ أو٧٠٪

ستعيد الانتشار في المستوطنات ومناطق عسكرية وأمنية محددة». وفي رأي المسؤولين الامنيين الاسرائيليين فان **المناطق العسكرية والامنية** تعني **المستوطنات ومجال تطورها والطرق المؤدية إليها ومنطقة غور الاردن ومواقع التدريب العسكري ومنطقة القدس الكبرى** ومناطق الحدود.

وبالرغم من أن نتنياهو، لم يقدم أرقاما عن مدى إعادة الانتشار اللاحق وطبيعته ومساحته، باعتبار ذلك من أسرار التفاوضية. إلا أن صحيفة **هارتس** الاسرائيلية، نقلت عن أحد قادة المستوطنين قوله، ان رئيس الوزراء الاسرائيلي، ابلغهم انه **لن يتم تسليم أكثر من ١٠٪ من مساحة الضفة إلى السلطة الفلسطينية**.وهذا يؤكد مجددا أن برنامج نتنياهو لمرحلة ما بعد الخليل هو برنامج تصعيدي وبشكل خطورة كبرى.

وحتى يتسنى إعطاء صورة أوضح للأمور وإلى المسافة الشاسعة والهوة الكبيرة التي تفصل بين مواقف الطرفين، بالرغم من الاتفاق الأخير والاتفاقات التي سبقته، تجدر الاشارة إلى أن السلطة الوطنية الفلسطينية، **تسيطر الان فقط على ما مساحته ٣٪ من الضفة الغربية،وهي مساحة المدن الرئيسية وهي المنطقة المساة«أ»** ،**وتشرف إداريا وليس امنيا على ٢٧٪ من المنطقة المسماة «ب» وهي منطقة الريف، ولا تشرف اطلاقا على ٧٠٪ من مساحة الضفة وهي المنطقة المسماة«ج»** وبالمقابل فان ما سيعرضه نتنياهو، خلال السنة والنصف القادمة من المفاوضات، أي حتى أواسط عام ١٩٩٨ لن يتعدى ١٠٪ **من المساحة المتبقية!!** ولا يتورع عن التصريح بأن**مسألة السيادة على الأرض قد حسمت لصالح اسرائيل!!**.

أما على صعيد الاجراءات الاسرائيلية السلبية في مجال الاستيطان والمصادرات فالقائمة طويلة، ولعل توقيت البدء باجلاء عرب **الجهالين عن اراضيهم في القدس، وتكثيف عملية سحب الهويات من المواطنين المقدسيين، عشية التوقيع على اتفاق الخليل،له دلالة كبيرة لما هو آت علينا خلال المرحلة القادمة**. واذا ما تأملنا قليلا في خطاب نتنياهو، أمام الكنيست قبيل التصويت على الاتفاق، ندرك مدى تلك الاخطار التي لا تزال تعترض طريق الشعب الفلسطيني، وتحول دون تحقيقه لاهدافه الوطنية وفي مقدمتها زوال الاحتلال عن أرضه.ونفس الشئ نقول بالنسبة لقرار الحكومة الاسرائيلية الذي ايد الاتفاق والذي تضمن اشتراطات وتأكيدات متعددة في مقدمتها **أن اسرائيل وحدها هي التي تقرر المساحة التي ستنسحب منها في الضفة في اطار عملية اعادة الانتشار**،وأنها حصلت على تعهد امريكي بتأييد ذلك. وهذا ما اعتبره نتنياهو أهم انجاز اسرائيلي تحقق في الاتفاق. وهو ينطوي على تلميح واضح بعدم استعداده لطرح مستقبل الأراضي المحتلة على طاولة المفاوضات وأن اتخاذ قرار بشأنها سيكون على طاولة الحكومة الاسرائيليةومن صلاحياتها.

ولكن حتى اذا استطاعت حكومة نتنياهو أن تتخذ قراراً من جانب واحد فهل تستطيع أن تنفذه من جانب واحد!! ان هذا أمر مشكوك فيه وغير عملي، لأنه بحاجة إلى موافقة واقرار الطرف الآخر.

ومع ذلك فان تحديد القضية بهذا الشكل، يضع علامات استفهام كثيرة، على مستقبل المفاوضات المقبلة، في ظل حكومة نتنياهو.وعما تعنيه من الناحية العملية، اصرار هذه الحكومة على الانتقال إلى المفاوضات القادمة وفق هذا البرنامج. كما أن التعهد الأمريكي يثير التساؤلات مجددا، حول مدى نزاهة الوسيط الأمريكي في المفاوضات وعما اذا كانت الولايات المتحدة، تستطيع القيام لوحدها، بمثل هذا الدور في المستقبل. أم أن الوقت قد حان لاصرار الجانب الفلسطيني على توسيع دائرة الوسطاء والسعي الجاد لاعطاء دور أكبر ومساحة أوسع للعوامل العربية والاوروبية والدولية في العملية التفاوضية.

بالمقابل فان رغبة نتنياهو في **الحصول على جوائز عربية ، تتمثل في استئناف التطبيع مع العرب والغاء القرارات التي اتخذتها بعض الدول العربية بتجميد التطبيع مع اسرائيل**،تطرح مرة أخرى هذا الموضوع بقوة، مما يتوجب اعتماد منهج سياسي عربي يربط باستمرار بين عملية التطبيع وتقدم مفاوضات السلام،وقد تكون الدعوة لقمة عربية موسعة أو مقلصة، وتنسيق المواقف العربية بهذا الشأن،هي خطوة حيوية للرد على برنامج نتنياهو.

لهذه الاعتبارات وغيرها فانه لا يمكن إطلاق الاحكام ،وبيانات الرفض أو القبول ،في حدود الاتفاق حول مدينة الخليل فقط، بالرغم من أهمية هذا الاتفاق،وانما يجب **النظر أيضا إلى ملحقات هذا الاتفاق من رسائل وملاحظات وأثرها على مستقبل العملية برمتها**. كما يجب التفكير جيدا عما اذا كان نتنياهو وبتأييد أمريكي هذه المرة، يريد التخلص من الاستحقاقات المترتبة عليه !! بالرغم من أن هذه مسألة باتت صعبة جدا وخاصة على المفاوضات الأخيرة حول الخليل،والتي لم تكن مجرد لعبة ثنائية بين لاعبين فقط،والاشارة هنا إلى ما رافقها من تدخلات ووساطات وضغوط اضطرت رئيس الوزراء الاسرائيلي على استكمالها.

ومع ذلك فان معالجة تحديات الفترة القادمة، يتوقف بشكل أساسي على موقف السلطة الفلسطينية وطريقة تعاملها مع الوضع الناشئ،وعلى إعداد الجماهير الفلسطينية للرد على برنامج نتنياهو،**وهذه قضية تتطلب الكثير من التعبئة والمراجعة بنية عدم الوقوع في اخطاء الماضي، واستخدام ما تم التوصل اليه كنقطة انطلاق نحو المستقبل ومحطة على طريق طويل يجب أن يقودنا رغم العقبات والحواجز إلى تحقيق الأهداف الوطنية**.



أهم بنود اتفاق مدينة الخليل

-فى ما يلي ترجمة غير رسمية لاهم النقاط فى بنود اتفاق اعادة الانتشار العسكرى الاسرائيلى فى الخليل.
ويشمل الاتفاق الترتيبات الامنية لاعادة الانتشار فى الخليل والترتيبات المدنية.

الترتيبات الامنية التى تتعلق باعادة الانتشار فى الخليل

١- اعادة الانتشار فى الخليل:

«ستنجز اعادة انتشار القوات العسكرية الاسرائيلية فى الخليل فى مدة اقصاها عشرة أيام ابتداء من تاريخ توقيع هذا الاتفاق .ويبذل الطرفان خلال هذه المدة
كل جهد ممكن لمنع أى احتكاك وأى عمل يمكن أن يعوق اعادة الانتشار».

٢-الصلاحيات والمسئوليات الأمنية

«تنهض الشرطة الفلسطينية بمسئولياتها فى المنطقة «اتش -١» على غرار مناطق أخرى فى الضفة الغربية.
وتحتفظ اسرائيل بكل صلاحيات ومسئوليات الأمن الداخلي والأمن العام فى المنطقة«اتش-٢» وتستمر علاوة على ذلك فى تحمل مسئولية أمن جميع
الاسرائيليين.

٣-الترتيبات الامنية المتفق عليها

«تسرى ترتيبات أمنية خاصة بالقرب من المناطق التى تتولى فيها اسرائيل المسئولية الأمنية فى المنطقة «اتش-١» والتى تقع بين حواجز الشرطة الفلسطينية
والمناطق التى تتولى فيها اسرائيل المسئولية الأمنية.
ويتمثل الهدف من الحواجز المذكورة اعلاه فى تمكين الشرطة الفلسطينية من منع دخول افراد مسلحين ومتظاهرين أو آخرين يهددون الامن والنظام العام إلى
المنطقة المذكورة اعلاه.

٤- التدابير الامنية المشتركة:

يكون لمكتب التنسيق مكتب فرعى في مدينة الخليل.
وتعمل وحدات راكبة مشتركة فى المنطقة «اتش-٢» للتعامل مع الحوادث التى تتعلق بالفلسطينيين فقط.. ويتولى المكتب الفرعى تنسيق تحرك هذه الوحدات
ونشاطها.
وتعمل الوحدات الراكبة المشتركة في المنطقة المتاخمة لتلك التى تتولى فيها اسرائيل المسئولية الامنية.
وتعمل دوريتان مشتركتان فى المنطقة «اتش -١».
«يتم تسليح الجانبين الفلسطينى والاسرائيلى فى الوحدات الراكبة المشتركة بانواع متعادلة من الأسلحة (رشاشات انفرام صغيرة للفلسطينيين وبنادق ام-١٦
قصيرة للجانب الاسرائيلى).
يتم اقامة مركز للتنسيق المشترك بقيادة ضباط كبار من كلا الجانبين فى مكتب الارتباط الفرعى بهدف تنسيق التدابير الامنية المشتركة فى مدينة الخليل.

٥- الشرطة الفلسطينية

تقام مراكز ونقاط الشرطة الفلسطينية فى المنطقة «اتش-١» ويناوب فيها عدد لا يتجاوز «٤٠٠ شرطى مزودين ب ٢٠ عربة و٢٠٠ مسدس و١٠٠ بندقية
لحماية نقاط الشرطة».
يتم تشكيل اربع فرق للرد السريع تتمركز فى المنطقة «اتش-١» بحيث يتمركز فريق واحد فى كل مركز للشرطة.. وتتمثل المهمة الاساسية لهذه الفرق فى
مواجهة الحالات الامنية الخاصة. ويتألف كل فريق من ١٦ شخصا كحد أقصى.
وتعمل الشرطة الفلسطينية بحرية فى المنطقة «اتش -١».

٦- الأماكن المقدسة:

تكون الشرطة الفلسطينية مسئولة عن حماية الأماكن اليهودية المقدسة التالية:
- ضريح او تنيال بن كناز(الخليل).
-الوني مامري /حرم الرمة.
-ايشيل افراهام / بلاطة ابراهيم
-معيان سارة/عين سارة
وتتم زيارات المسلمين أو الزوار برفقة وحدة راكبة مشتركة تكفل الوصول إلى الأماكن المقدسة بسهولة ويسر وامان والزيارة المأمونة لها.

٧- تطبيع الحياة فى المدينة العتيقة:

«يؤكد كلا الجانبين التزامهما بالحفاظ على الحياة الطبيعية فى أنحاء مدينة الخليل ومنع أى استفزاز أو احتكاك يمكن أن يخل بسير الحياة العادى فى المدينة.
وفى هذا السياق يتعهد الجانبان باتخاذ كل الخطوات والتدابير اللازمة لكفالة الحياة الطبيعية فى الخليل.
«ستتم اعادة العمارة (مقر الحاكم الاسرائيلى لمدينة الخليل) إلى الجانب الفلسطينى عند اتمام اعادة الانتشار وتصبح مقرأ للقيادة العامة للشرطة الفلسطينية فى
الخليل.

٩- مدينة الخليل:

«يؤكد كلا الجانبين التزامهما بوحدة مدينة الخليل ويدركان أن تقاسم المسئولية الأمنية ليس تقسيما للمدينة.

الترتيبات المدنية التى تتعلق باعادة الانتشار فى الخليل

«يجرى نقل الصلاحيات والمسئوليات الأمنية إلى الجانب الفلسطينى فى مدينة الخليل في نفس الوقت الذي تبدأ إعادة الانتشار القوات الاسرائيلية العسكرية
فى الخليل.
وفى المنطقة «اتش٢» يتم نقل الصلاحيات والمسئوليات المدنية إلى الجانب الفلسطينى ما عدا تلك التى تتعلق بالاسرائيليين وممتلكاتهم والتى ستتولاها
الحكومة العسكرية الاسرائيلية.

١١- التخطيط فى المدينة والبناء:

«يتعهد كلا الطرفين بنفس الدرجة بالمحافظة على الطابع التاريخى للمدينة وحمايته بحيث لا يتم تشويه أو تغيير هذا الطابع في أى جزء من المدينة.
متفرقات
«سيكون هناك وجود دولى مؤقت فى الخليل يتفق الطرفان لاحقا على آلياته بما فى ذلك عدده وأعضاؤه ومنطقة عمله».
محضر اتفاق
اتفق الزعيمان على أن تبدأ عملية اعادة فتح شارع الشهداء فورا وان تكتمل خلال أربعة أشهر على أساس أن تكتمل التحضيرات المتفق عليها بين الجانبين
طبقا للخطة الامريكية.

المسئوليات الفلسطينية والاسرائيلية كما دونها دينيس روس بناء على طلب عرفات و نتنياهو


عرفات ونتنياهو

* فى ما يأتى نص «مذكرة للسجل» اعدها المنسق الأمريكى لعملية السلام فى الشرق الأوسط دنيس روس بناء على طلب الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ورئيس الوزراء الاسرائيلى بنيامين نتنياهو خلال اجتماعهما أمس عند معبر اريز:

« مذكرة للسجل »

اجتمع الزعيمان فى ١٥ كانون الثانى (يناير) فى حضور المنسق الأمريكى الخاص (بعملية السلام) فى الشرق الأوسط وقد طلبا منه اعداد هذه المذكرة للسجل لايجاز ما اتفقا عليه فى اجتماعهما.

التعهدات المتبادلة

اتفق الزعيمان على أنه لابد لعملية أوسلو للسلام أن تتحرك إلى أمام كى تنجح وعلى أن لطرفى الاتفاق المؤقت كليهما هموم والتزامات. ووفقاً لذلك أكد الزعيمان مجدداً التزامهما بتنفيذ الاتفاق المؤقت على أساس التبادلية ونقلا، فى هذا السياق، التعهدات الآتية كل منهما إلى الآخر:

المسئوليات الاسرائيلية

يؤكد الجانب الاسرائيلى مجدداً التزاماته بالاجراءات والمبادئ التالية وفقا للاتفاق المؤقت:

قضايا للتنفيذ

١- مراحل أخرى لاعادة الانتشار.

المرحلة الأولى من عمليات اعادة الانتشار الأخرى ستنفذ خلال الاسبوع الأول من آذار (مارس).

٢- قضايا اطلاق السجناء.

سيتم التعامل مع قضايا اطلاق السجناء وفقاً لمواد الاتفاق المؤقت واجراءاته. بما فى ذلك الملحق رقم ٧.

قضايا للتفاوض

٣- قضايا معلقة فى الاتفاق المؤقت.

المفاوضات على القضايا الآتية المعلقة فى الاتفاق المؤقت ستستأنف فوراً. وستجرى المفاوضات على هذه القضايا بالتوازى:

أ) العبور الآمن

ب) مطار غزة

ج) ميناء غزة

د) المعابر.

هـ) القضايا الاقتصادية، والمالية ،والمدنية والامنية.

ز) التعامل بين الشعبين.

٤- مفاوضات الوضع النهائى ستستأنف المفاوضات على الوضع النهائى فى غضون شهرين من تنفيذ بروتوكول الخليل.

المسئوليات الفلسطينية

يؤكد الجانب الفلسطينى مجدداً التزاماته بالاجراءات والمبادئ التالية وفقا للاتفاق المؤقت:

١- إكمال عملية مراجعة الميثاق الوطنى الفلسطينى.

٢- مكافحة الارهاب ومنع العنف.

أ) تقوية التعاون الامنى

ب) منع التحريض والدعاية المعادية،حسب ما هو منصوص عليه فى المادة ٢٢ من الاتفاق المؤقت.

ج) مكافحة المنظمات الارهابية وبنياتها التحتية فى صورة منظمة وفعالة.

د) ترقيف ومحاكمة ومعاقبة الارهابيين.

هـ) التعامل مع طلبات نقل المشتبه بهم والمتهمين وفقاً للمادة ٢(٧) (ب) من الملحق ٤ بالاتفاق المؤقت.

و) مصادرة الاسلحة النارية غير القانونية.

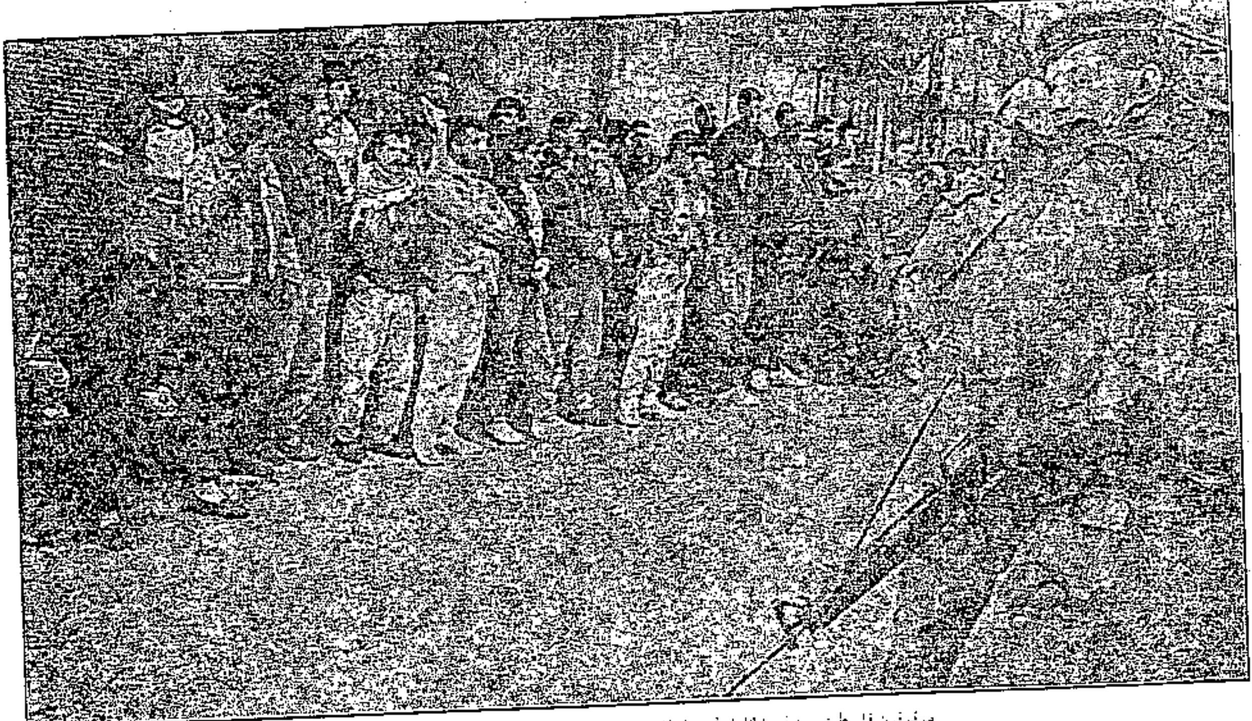
٤) تكون ممارسة النشاط الحكومى الفلسطينى ومواقع المكاتب الحكومية الفلسطينية كما هو محدد فى الاتفاق المؤقت.

يتم التعامل مع الالتزامات المذكورة آنفا فوريا وبالتوازى.

قضايا أخرى

لأى من الطرفين الحرية لاثارة قضايا أخرى غير مذكورة اعلاه مرتبطة بتنفيذ الاتفاق المؤقت والتزامات الجانبين كليهما بموجب الاتفاق المؤقت.

اعدها السفير دنيس روس بناء على طلب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو والرئيس ياسر عرفات



موقوفون فلسطينيون في الخليل تحت انظار جنود الاحتلال الاسرائيلي

نص رسالة كريستوفر وزير الخارجية الأمريكي إلى نتنياهو

* في ما يأتي نص الرسالة التي سيقدمها وزير الخارجية الأمريكي كريستوفر إلى بنيامين نتنياهو عند التوقيع على بروتوكول الخليل حسب ما وزعت في إسرائيل:

«السيد رئيس الوزراء:

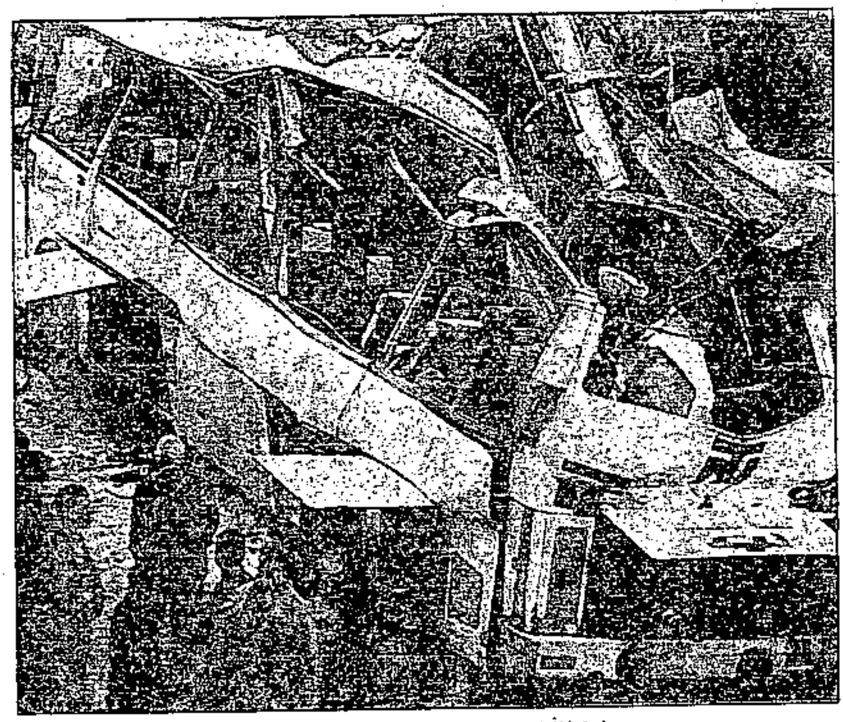
أردت شخصياً أن أهنئكم على التوصل بنجاح إلى اقرار «البروتوكول الخاص باعادة الانتشار في الخليل». انه يمثل خطوة مهمة إلى أمام في عملية أوسلو للسلام ويؤكد مجدداً قناعتي بأن سلاماً عادلاً ودائماً سيتحقق بين الاسرائيليين والفلسطينيين في المستقبل القريب جداً.

على هذا الصعيد، يمكن أن أؤكد لكم أن سياسة الولايات المتحدة تبقى قائمة على تقديم الدعم وتعزيز التطبيق الكامل للاتفاق المؤقت بكل اجزائه. ومن نيتنا أن نواصل جهودنا للمساعدة على ضمان تنفيذ كل الالتزامات العالقة من قبل كلا الطرفين بروح التعاون وعلى أساس المبادلة.

وكجزء من هذه العملية، شددت للرئيس عرفات على أن **من الضروري للسلطة الفلسطينية أن تبذل كل جهد لضمان النظام العام والأمن الداخلي في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد أكدت له أن النهوض بهذه المسئولية الرئيسية بفاعلية سيشكل أساساً حاسماً لاستكمال تنفيذ الاتفاق المؤقت، بالاضافة إلى عملية السلام ككل.**

وأردت أن تعلم في هذا السياق، انني اطلعت الرئيس عرفات على وجهات نظر الولايات المتحدة في شأن عملية أعادة نشر القوات من قبل إسرائيل، التي تشير إلى مواقع عسكرية محددة وتنقل سلطات ومسئوليات اضافية إلى السلطة الفلسطينية. وعلى هذا الصعيد، نقلت قناعتنا بأن المرحلة الأولى من عمليات اعادة الانتشار الاضافية ينبغي أن تنجز بأسرع ما يمكن، وأن كل المراحل الثلاث من عمليات اعادة الانتشار الاضافية ينبغي أن تنجز في غضون اثني عشر شهراً من تنفيذ المرحلة الأولى لعمليات اعادة الانتشار الاضافية لكن من دون أن تتعدى منتصف ١٩٩٨.

ويمكن أن تطمئنوا، سيادة رئيس الوزراء، **إلى أن التزام الولايات المتحدة أمن اسرائيل هو التزام صارم ويمثل حجر الزاوية الرئيسي في علاقتنا الخاصة.** لقد كان العنصر الاساسي في موقفنا تجاه السلام، بما في ذلك التفاوض وتنفيذ الاتفاقات بين اسرائيل وشركائها العرب، هو دائما **الاعتراف بالمتطلبات الامنية لاسرائيل**. بالاضافة إلى ذلك، تبقى السمة المميزة للسياسة الأمريكية **التزامنا بالعمل بروح التعاون كي نحاول تلبية الاحتياجات الامنية التي تحددها اسرائيل.** أخيراً، أود أن أكرر موقفنا بأن لاسرائيل الحق في أن يكون لها حدود آمنة يمكن الدفاع عنها، وهو ما ينبغي التفاوض في شأنه والاتفاق عليه بشكل مباشر مع جيرانها».



سيارة الأوتوبيس بعد تفجيرها في دمشق

العرب

العمليات الارهابية الاسرائيلية «وتوازن الرعب»

رسالة دمشق

حسين العودات

في خطابه أمام الكونجرس الأمريكي، خلال زيارته للولايات المتحدة، قال **نتنياهو** رئيس حكومة اسرائيل إننا لن نقبل الحرب الجانبية في جنوب لبنان- المدعومة من سورية- ولن نقبل مواصلة حزب الله عملياته اذا استؤنفت المفاوضات. وطمأن اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة في خطاب آخر مؤكدا «قدرة اسرائيل على القيام بعمليات مقابل عمليات حزب الله».

وفي مطلع العام الحالي، وخلال حفلة تنصيب رئيس لما سمي بقسم **مكافحة الإرهاب** قال **نتنياهو**: إن «ثلاثا من الحروب الخمس التي خاضتها اسرائيل ضد العرب نجمت عن تصعيد موجة الارهاب» وأضاف «نحن في وضع مماثل، اذ أن النداءات إلى الترهيب والقبول بالترهيب وتصاعده، يمكن أن تعيد إلى نقطة الصفر التقدم الذي أحرز على طريق السلام وتضعنا في حالة حرب.

إن المقاومة اللبنانية بنظر الساسة الاسرائيلية-على مختلف حكوماتها-هي عمليات ارهابية قائمة ومستمرة بفضل الدعم السوري، وقد **استطاعت المقاومة اللبنانية أن تجعل الوجود العسكري الاسرائيلي في جنوب لبنان مأزقا «خطيرا» لاسرائيل، وجرحا ينزف ولا أمل في أن يندمل**، وسحط خسائر بشرية تكاد تكون يومية بين قتلى وجرحى في صفوف العسكريين الاسرائيليين وعملائهم من الميليشيات المتعاونة، حتى أصبح هذا الوجود كالغريق في الرمال المتحركة، سكونه وحركته تودي به، ولعل هذا ما ادى إلى ظهور تيار من السياسيين والجنرالات السابقين والرأي العام يطالب بالانسحاب من لبنان دون شروط وفورا. وعبرت صحيفة (هاآرتز) الاسرائيلية (وهي الأكثر رصانة والأوسع انتشارا)، عن هذا التيار في مطلع شهر يناير ١٩٩٧ عندما دعت إلى البحث جديا في الانسحاب من جنوب لبنان من طرف واحد، لأن هذا الانسحاب أفضل من ترتيبات «يقتل بسببها الشباب الاسرائيليون في حرب مفرغة من أي هدف» ورأت أن احتلال جنوب لبنان كان يهدف لحماية أمن المستوطنات فتحول عبئا عليها، وحربا غير معلنة فقد فيها الجيش الاسرائيلي (قوته الرادعة في عيون العالم وعيون العدو وفي عيون

الاسرائيليين) ويبدو أن هاآرتز تعبر عن شريحة كبرى من الرأى العام الاسرائيلى تكبر يوما بعد يوم.

لم تنفع محاولات(الردع) الاسرائيلية ، ولا الاعتداءات اليومية والقصف اليومى فى تراجع عمليات المقاومة . بل إن فشل عدوان نيسان(أبريل) الماضى رغم مجيد فى (قانا) وفى غيرها، اضطر **حكومة بيريز** أن توقع اتفاقا تعترف فيه بشرعية المقاومة ، وحقها فى ضرب القوات العسكرية الاسرائيلية والمتحالفة فى الجنوب، على أن لا تنطلق عملياتها من القرى، وحرم على الجيش الاسرائيلى ضرب المدنيين ، وبالتالى فقد تهافت منطق السياسة الاسرائيلية الذى كان يصر على تسمية عمليات المقاومة بالعمليات الارهابية.

أصبح جنوب لبنان(**مسلخا**) للجيش الاسرائيلى، حسب تعبير التلفزيون الاسرائيلى ، الذى كرره فى أكثر من مقابلة مع قادة عسكريين وساسيين إسرائيليين، وأصبح الوجود العسكرى نفسه مأزقا، وخاصة لحكومة **نتنياهو** المتغطرسة ، وسياستها العنصرية المتخلفة، ولم تستطع هذه الحكومة الخروج من المأزق، وهى تفقد من مصداقيتها أمام ناخبيها اذا لم تخرج . ولذلك لم يبق لها إلا أن تلجأ لتغيير قوانين اللعبة ،**والرد على عمليات المقاومة بعمليات ارهابية فى سورية ولبنان تستهدف السوريين أساسا**، وتسعى لخلق (**توازن رعب**) من نوع آخر، وقلق أمنى فى البلدين . وضرب الاستقرار فى كل منهما ، فى محاولة للضغط من أجل تراجع المقاومة، وتخلى سورية عن دورها الداعم.

ولعل ذلك كله، هو الذى جعل أصابع الاتهام، سواء من الرأى العام السورى ومنذ لحظة تفجير الحافلة فى وسط دمشق، أم من قبل السلطة السياسية ،جعلها تتوجه إلى اسرائيل، إدراكا لمأزق سياستها ،وجيشها،

التلفزيون الاسرائيلى يصف الجنوب اللبنانى بأنه أصبح : مسلخ الجيش الاسرائيلى

وتصريحات رئيس وزرائها ،والتصريحات المماثلة التى كان أطلقها رئيس أركان الجيش الاسرائيلى، **وأورى ليبرانى (منسق العلاقات مع لبنان)**وكبار الجنرالات الاسرائيليين.

إن استمرار المقاومة اللبنانية ،والخسائر البشرية والمادية للاحتلال العسكرى، يثبت تهافت نظرية الأمن قبل السلام التى طلع بها **نتنياهو** على العالم، وتؤكد أن نتائج عمليات المقاومة تتجاوز طابعها العسكرى لتوضيح فشل السياسات المبنية على هذه النظرية، وهذا ما يجعل الرد الاسرائيلى أكثر انفعالا وعنفا من حجم العمليات نفسها. ولذلك فمن غير المستبعد أن تقوم اسرائيل بعمليات ارهابية أو أعمال عدوانية ضد مواقع للجيش السورى فى لبنان أو ضد مدنيين سوريين، أو بعمليات ارهابية فى المدن السورية، أو بأية حماقات مماثلة، بهدف أن تؤدى إلى قلق وعدم استقرار وخسائر ، تشكل ضغطا على السياسة السورية لايقاف مساعداتها ودعمها للمقاومة اللبنانية.

لقد حاولت الحكومة الاسرائيلية الحالية منذ تسلمها السلطة، ايجاد مخرج لمأزقها من خلال شعارها الذى طرحته بوسائل الاعلام وهو (**لبنان أولا**). وكان المقصود به بشكل واضح **فصل المسارين السورى واللبنانى بعضهما عن البعض الآخر من جهة**، والخلاص من المأزق والمسلخ والخسائر من جهة أخرى. وواجهت صداً «لبنانيا» وسوريا سريعا ومباشرا، لأن هذا الشعار المنمق، الذى يعنى فى ظاهره الانسحاب من الأراضى اللبنانية المحتلة، ضمن ترتيبات يتفق عليها، ومنها حلول قوى عسكرية عربية أو غير عربية محل الجيش الاسرائيلى ، هذا الشعار المنمق العريض يعنى فى طياته صلحا «**لبنانيا**» **اسرائيليا بشروط اسرائيلية أعلن بعضها، مثل ادخال الميليشيا العميلة فى الجيش اللبنانى، وضمان أمن المستوطنات الاسرائيلية، وتطبيع العلاقات بين لبنان واسرائيل، وخروج الجيش السورى من لبنان** . ومن يدرى فقد يكون فى طيات الشروط التى لم تعلن توطين الفلسطينيين ،وأخذ حصة من المياه (وخاصة الليطانى).هذا فضلا عن النتيجة الحتمية وهى اضعاف الموقف السورى، وفك العزلة العالمية والعربية عن حكومة الليكود التى ستبدو حكومة سلام أيضا.

هناك أمران أقلقا السوريين إلى حد ما بعد العملية الارهابية فى دمشق، **أولهما** التساؤل الذى تجده على كل لسان وهو:**هل هذه العملية منفردة أم أنها بداية خطة طويلة تهدف تحقيق أهداف سياسية للحكومة الاسرائيلية؟**. (وسواء كانت اسرائيل وراءها أم من يلتقون معها بسياساتها، فلن يتغير من الأمر شئ). ولعل هذا ما جعل السلطات السورية تزيد الاجراءات الأمنية الاحترازية على المؤسسات والمنشآت العامة والحكومية والجامعات فى مختلف المدن السورية ،وتأخذ الأمر بأقصى الجدية وفى اطار احتمال أن لا تكون العملية منفردة.

وثانى الأمرين هو الموقف(العجيب الغريب) للولايات المتحدة، راعى المحادثات السلمية (**النزيه**) حيث لم يجد الناطق الأمريكى ضرورة ليأسف على الضحايا، ناهيك عن شجب الارهاب(فى الوقت الذى يسارع فيه الأمريكيون لشجب أية عملية ضد اسرائيل، ويتحسرون على الضحايا ، ويهددون الفاعلين ، ويطالبون باجتثاث الارهاب، ويجددون غيرتهم على مستقبل السلام ويضعون تحت خيمة الارهاب أى عمل معاد لاسرائيل أو مناصر لقضية وطنية) ولم يفطن الناطق المحترم إلا لتكذيب البيان السورى الذى يتهم عملاء إسرائيل، ومطالبة سورية بالدليل والبرهان (نيابة عامة) . ثم تكرم الأمريكيون فى اليوم الثانى أمام الاستنكار الرسمى لموقفهم ، فصرح ناطقهم باستنكار باهت، وأرسل سفيرهم باليوم الرابع أو الخامس برقية تعزية لوزير الخارجية

حادث تفجير الحافلة.. هل يكون بداية خطة.. اسرائيلية طويلة المدى؟



أحد ضحايا تفجير دمشق

السورية. ولعل الموقف الأمريكي هذا يبرر التهمة الموجهة إلى اسرائيل، وأعطاها مصداقية أكثر. ولكن القلق لا يأتي من هذا فقط (فالسوريون ليسوا مرهونين بالسياسة الأمريكية ويخبرونها جيدا)، بل يأتي من **احتمال تبول الولايات المتحدة الأمريكية للسياسة الاسرائيلية الجديدة، التي تسعى (للتوازن الرعب) كما تسميه اسرائيل،ونشر القلق وعدم الاستقرار في سورية ولبنان.**

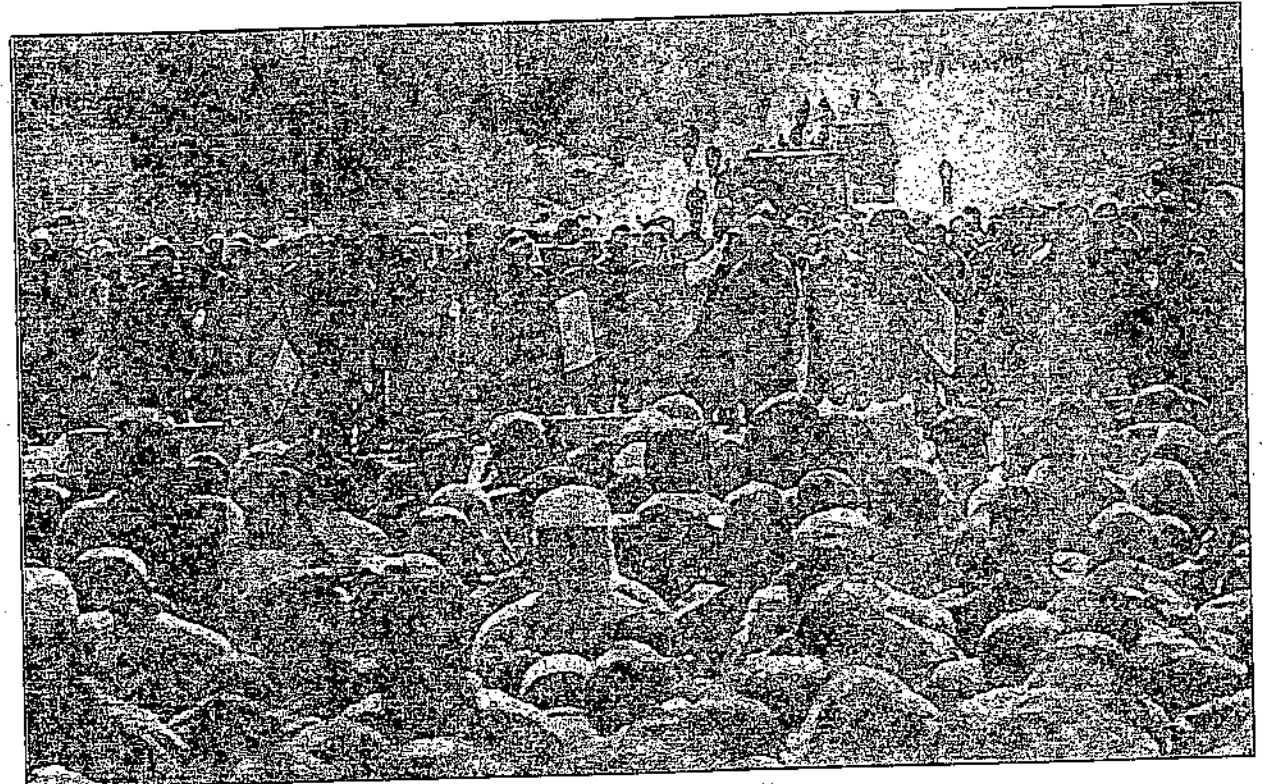
إن التساؤل الأشمل والأعم الذي يطرحه الرأي العام السوري على نفسه، يتناول مستقبل السلام ذاته. فحكومة الليكود، التي أمضت حتى الآن ستة أشهر في محادثات تكاد تكون يومية، تحاول من خلالها تعديل اتفاقية (إعادة نشر القوات) في مدينة الخليل، وهي اتفاقية موقعة من دول الليسبة ودولية هامة ومصدقة من الكنيست الاسرائيلي .هذه الحكومة، التي ترفض مبدأ الانسحاب من شبر واحد(وإعادة الانتشار ليست انسحابا) كيف يمكن التوصل معها إلى سلام (دائم وعادل) خاصة وأن الفجوة كبيرة جدا بين مطامع هذه الحكومة ،وبين الحقوق السورية التي لا يمكن التنازل عنها؟.

من البديهي أن سورية لن تفرط بأي جزء من أرضها المحتلة، ولن تعطى لاسرائيل أي حقوق بالمياه ليست لها، ولن تقبل باستمرار وجود المستوطنات في أرضها(يبلغ عدد المستوطنين في الجولان خمسة عشر ألف مستوطن ، أي ما يقارب عدد السكان السوريين فيها، ويبلغ عدد المستوطنات ٣٥ مستوطنة يمكن مضاعفة عدد سكانها)، والسياسة السورية ،التي تقبل مبدأ الأرض مقابل السلام، لا تعتبر أن السلام يفرض علاقات خاصة مع اسرائيل في المجالات الاقتصادية والثقافية والسياحية والعلمية وغيرها، بل تعتبره إنهاء حالة الحرب، وقيام علاقات طبيعية ليس إلا، ولا تعني العلاقات الطبيعية الالتزام بمبدأ الدولة الأكثر رعاية، أو التطبيع المتمثل والمفروض في جوانب متعددة، إنه التزام بعلاقات دبلوماسية ليس إلا. فاذا كان ذلك كذلك، فكيف يمكن إذن الوصول إلى اتفاق سلام؟ وهل يستطيع الراعي الأمريكي (النزيه) أن يفرض على حكومة الليكود هذا السلام؟.

لا يرى السوريون آفاق حلول قريبة ،ولا يعني بدء المحادثات المحتمل الوصول إلى حلول، لتعذر انقلاب حكومة الليكود على ايديولوجيتها وسياساتها، واستحالة تنازل السوريين عن حقوقهم المشروعة والمعترف بها دوليا، وعن سيادتهم على أرضهم ومياههم ،وامتلاكهم لقرارهم المستقل في تعاملهم مع الدول الأخرى. ويخشى الرأي العام السوري من تراخي مواقف بعض الدول العربية ، ليس فقط في دعم سورية ومواقفها، وانما في استمرار تقربهم من اسرائيل وعقد الاتفاقات معها على حساب الحقوق السورية، خاصة وأن **الضغوط تزداد على سورية من محيطها الاسرائيلي والتركي ومن الوجود العسكري الأمريكي في قواعد اردنية بالطرف الثاني من حدودها، إضافة لتأثرها بما يجري في شمال العراق.**

يبقى السؤال معلقا . هل العملية الارهابية في دمشق ، ستكون بداية لسلسلة عمليات ارهابية أخرى، تهرب حكومة اسرائيل من خلالها إلى الأمام، أم أن الاستنكار العالمي لها سيردع الرؤوس الحامية في اسرائيل وبالتالي ستبقى عملية منفردة ؟.

هذا ما ستكشفه الأيام.



جموع المصلين قرب المعرض الصناعي الاسرائيلي في عمان

رسالة عمان

المعركة ضد معرض الصناعات الاسرائيلية
الخطوة الأولى نحو مقاومة التطبيع

عندما يكتب تاريخ الاردن الحديث،فلا شك أن يوم الثامن من يناير ١٩٩٧ سيذكر باعتباره البداية الحقيقية لنضال الشعب الاردني ضد التطبيع مع اسرائيل. فمنذ صباح ذلك اليوم كان آلاف المواطنين الاردنيين يتوجهون إلى ضاحية«مرج الحمام» القريبة من عمان. أما الهدف فكان تنفيذ الاعتصام الذي دعت إليه اللجنة الوطنية الاردنية لمنع اقامة معرض الصناعات الاسرائيلية، والذي كان منظموه أصروا على اقامته رغم الاحتجاج الشعبي الواسع على اقامته.

وفي الوقت الذي كان فيه الآلاف من سكان العاصمة «عمان» يتوجهون جنوباً نحو «مرج الحمام» ، كانت قوات الأمن في **الكرك** واربد، جنوبي الاردن وشمالها تمنع حافلات أقلت آلافاً غيرهم متجهة إلى عمان للمشاركة في الاعتصام. ومع ذلك فما إن أعلنت الساعة التاسعة، وهو الموعد الذي تحدد لافتتاح المعرض الاسرائيلي حتى كان مواطنون قدر عددهم بنحو خمسة آلاف يتجمعون على بعد نحو ٨٠٠ متر من المعرض في مواجهة أعداد كبيرة من رجال الأمن والشرطة والمخابرات بعضهم مسلح بالهراوات والدروع البلاستيكية وآخرون في سيارات عسكرية ، أو صالونات حكومية ،وغيرهم يمتطون الجياد في مشهد لم يعتد عليه الاردنيون، وعرض للقوة لم يشهدوا له مثيلاً من قبل.

وقد شهدت نصف الساعة الأولى بعض الاحتكاك بين الطرفين، المتظاهرين ورجال الشرطة ، حين حاول بعض المتظاهرين اقتحام الحواجز التي نصبها رجال الشرطة لمنع الدخول إلى المعرض. فتصدى لهم بعض رجال الشرطة ولكنهم عليهم خراطيم المياه الملونة. غير أن المواجهة لم تستمر طويلاً حيث تدخل قادة الاعتصام واقنعوا المتظاهرين بالتجمع في المكان الذي وصلوا إليه والبدء بفعاليات الاعتصام من خطب وأناشيد وهتافات ورفع اللافتات المندّدة بالمعرض ومنظميه والمطالبة بمقاطعته،وهي خطابات ألقاها ممثلون للطيف السياسي الاردني من الاسلاميين وحتى الشيوعيين، ومن القوميين ،حتى الوطنيين، بل وبعض الرموز التي عرفت بوسطيتها وقرب بعضها من الحكومة سابقاً وراهناً.

صلاح يوسف

يسار ريمين ووسط

فاضافة إلى **جبهة العمل الاسلامي والاخوان المسلمين** كان هناك **الحزب الشيوعي الاردني والحزب الوحدوي الديمقراطي**، وهو حزب ينضوي تحت لوائه شيوعيون سابقون وقوميون ويساريون وليبراليون. وكان هناك ممثلون للنقابات وعلى رأسهم **ليث شبيلات** المعارض الاسلامي المستقل، نقيب المهندسين، و**عبد الرحيم عيسى** نقيب النقباء ونقيب الصيادلة.

أما أحزاب الوسط فكان من بين ممثليهم **«مجحم الخريشة»** والذي يترأس حزب الجبهة الوطنية الاردنية التي لا تطرح نفسها كمعارض للنظام، و**سليمان عرار** وهو وزير داخلية سابق، عرف بقربه من النظام سابقا، وهو رئيس **حزب المستقبل** الوسطي حالياً.

واستمر الاعتصام ست ساعات ألقيت خلالها الكلمات الحماسية في الوقت الذي كان فيه بعض رجال الشرطة يتحلقون ويرقصون الدبكة ويغنون للملك حسين، وطائرات الهليكوبتر تحلق على ارتفاع منخفض لتغطي بهديرها على كلمات الخطباء التي ألقيت عبر مكبرات صوت صغيرة الحجم سيئة التجهيز عموماً.

وخلال ساعات الاعتصام تلك وصل السفير الاسرائيلي ومنظمو المعرض عبر طريق آخر وسط حماية أمنية غير مسبوقة في تشددها، وذلك **بعد أكثر من ثلاث ساعات من الموعد المقرر لافتتاح المعرض.**

وكان في استطاعة المعتصمين مشاهدة بعض السيارات تصل إلى مكان المعرض وينزل منها الزوار الذين **لم يكن بينهم أي من رجال الأعمال الاردنيين** المعروفين، بل **كانوا في معظمهم من البعثات الدبلوماسية الاجنبية في الاردن، أو بعض موظفي السفارة الاسرائيلية ورجال أعمال اسرائيليين. ولكن أياً من الرسميين الاردنيين لم يكن بين هؤلاء.**

في ختام الاعتصام دعا **أحمد عبيدات** وهو رئيس وزراء سابق ورئيس اللجنة الوطنية لمنع اقامة المعرض الاسرائيلي إلى فض الاعتصام، بعد أن دعا باسم اللجنة إلى الاضراب لمدة ساعة عن العمل. ودعت نقابة المحامين منتسبيها إلى التوقف عن الترافع أمام المحاكم لمدة ثلاثة أيام، إضافة إلى نشاطات أخرى مثل إطلاق أبواق السيارات ورفع العلم الاردني على السيارات والمباني.

لكن هذا لم يكن كل ما قام به الاردنيون احتجاجاً على اقامة المعرض الأول للصناعة الاسرائيلية الذي استمر لمدة أربعة أيام وسط مقاطعة شبه كاملة من كافة قطاعات الشعب. ففي يوم الجمعة، الذي وافق ثالث أيام المعرض توجه آلاف المواطنين مرة أخرى إلى حيث يقام المعرض **وصلى نحو ثلاثة آلاف صلاة الجمعة في أرض تعود ملكيتها إلى نقابة الصيادلة لا تبعد عن المعرض سوى عشرات الأمتار**، فيما وقف رجال الشرطة المدججين بالهراوات بينهم وبين المعرض، وراقبوا عدداً من قادة الحركة الاسلامية وهم يتناوبون على الخطابة في المصلين مرددين هتافات معادية لاسرائيل والصهيونية. وتفرق الجمع بعد ذلك في سلام.

قصة الاحتجاج

وكان الاعداد لمنع اقامة المعرض قد بدأ في وقت مبكر يعود إلى شهر نوفمبر من العام الماضي، وذلك فور الاعلان عن اقامته في وسائل الاعلام، حيث شكلت على الفور لجنة لمنع اقامة المعرض برئاسة **أحمد عبيدات**، وهو شخصية كانت وثيقة الصلة بالنظام في العقود الماضية، حيث خدم النظام كمدير عام للمخابرات الاردنية في السبعينات، ثم شكل الوزارة في الثمانينات، وترأس لجنة صياغة الميثاق الوطني الاردني في العام ١٩٩٠، وشغل عضوية مجلس الأعيان، وهو مجلس يختار أعضاءه **الملك حسين** بنفسه وذلك حتى العام ١٩٩٤ حين وقع الاردن اتفاقية السلام مع اسرائيل، فأعلن رفضه لها وألقى خطاباً بهذا المعنى في «مجلس الملك» كما يشار إلى **مجلس الأعيان**، وغادر القاعة قبل وقت قصير من استدعائه من قبل الأمير حسن **ولي عهد الاردن**، والذي طلب منه تقديم استقالته ففعل مبتدئا مسيرة جديدة في صفوف المعارضة.

وضمت اللجنة في عضويتها شخصيات حزبية ونقابية وأخرى وطنية مستقلة بحيث مثلت كافة ألوان الطيف السياسي الاردني حقاً.

وقد عقدت اللجنة عدداً من الاجتماعات الحاشدة التي تقرر فيها الاعتصام احتجاجاً على اقامة المعرض، وذلك بعد أن فشلت كافة محاولات اللجنة لاقناع المسئولين الحكوميين الاردنيين بالغاء المعرض. كما فشلت جهودها في اقناع الجهة المنظمة للمعرض بالغائه. ففي خطوة مثلت المحاولة الأخيرة للجنة لاقناع تلك الجهة استدعت اللجنة المدعو **فخري الناصر**، وهو رجل أعمال مغمور، لم يسمع به أحد، وحاولت اقناعه بالعدول عن فكرة اقامة المعرض غير أنه أبى في صلافة مؤكدا إنه سيمضي قدماً في اقامة المعرض «مهما كانت الظروف» على حد تعبيره.

أما الحكومة فحاولت اللجنة الاتصال بها واقناعها بعدم السماح باقامة المعرض، غير أن **وزير الصناعة والتجارة** قال إن هذا ليس من صلاحياته، بل من صلاحيات مؤسسة المراكز التجارية والمعارض. لكن **محمد الحلايقة**، مدير المؤسسة نفى ذلك مؤكدا أن **المؤسسة الوطنية الدولية للمعارض** وهي مؤسسة تنظم المعارض التجارية، ويديرها **فخري الناصر** حصلت على تصريح باقامة معرض تجاري من وزارة الصناعة والتجارة، من دون الاعلان بأن هذا المعرض اسرائيلي. وهنا أعلن وزير الصناعة والتجارة:

أن هذا نشاط يقوم به القطاع الخاص، وأن **الحكومة لا تملك صلاحية الغاء نشاط يقوم به القطاع الخاص**، وهو رأي كرره وزير الاعلام **مروان المعشر** وكرره وزراء آخرون من بعده معلنين في صورة غير مباشرة قراراً حكومياً ضمنياً بعدم النية بالغاء اقامة المعرض.

ولم يكن هذا الرأي بشأن الموقف الحكومي الحقيقي استنتاجاً من هذه التصريحات الحكومية، بل من واقعة أخرى إذ فوجئ المواطنون الاردنيون في مطلع شهر ديسمبر الماضي **بالامير عبد الله** نجل الملك **حسين** يفتتح معرض الصناعات العسكرية، وهو معرض شاركت فيه اسرائيل، فأيقنت اللجنة المقاومة للمعرض أن الحكومة لا تنوي الغاء هذا المعرض ولا أي معرض آخر تشارك فيه اسرائيل، فمضت في اعدادها ليوم اقامة المعرض ومن الضروري القول إن المعارضة لاقامة المعرض لم تقتصر على القوى النقابية والسياسية والحزبية، بل امتدت لتشمل **جمعيات واتحادات الصناعيين والتجار، ورجال أعمال وصحافيين ومثقفين.**

فقد أعلنت غرفة صناعة عمان، واتحاد الغرف التجارية الاردنية وجمعية رجال الأعمال الاردنيين رفضها اقامة المعرض سواء من حيث الفكرة، أو من حيث التوقيت الذي يصادف تعنتاً اسرائيلياً، وقمعاً ومجازر ترتكب ضد الشعب الفلسطيني واللبناني، وتخليا عن التزامات حكومة حزب العمل تعهدت بها

نحو الاردن بتزويده بخمسين مليون متر مكعب منها لتعينه على مواجهة النقص المزمن في المياه في الاردن.

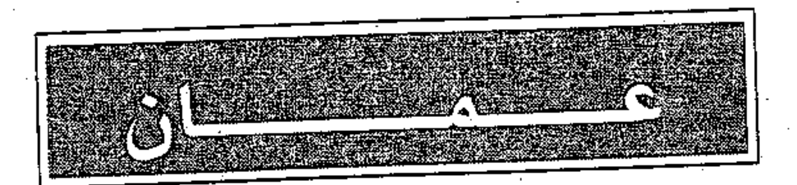
من هو الناصر؟

ورغم كل هذه الاحتجاجات ، مضى فخرى الناصر فى تنفيذ هذه الخطوة متحدياً الجميع، فمن هو فخرى الناصر هذا؟.

لم يكن أحد سمع به من قبل الاعلان عن نية مؤسسته اقامة المعرض، وتساءل كثيرون عمن يكون، وهل ينتمى إلى عائلة الناصر المعروفة فى منطقة اربد؟ وعلى الفور أعلنت هذه العائلة نفيها أن يكون منها. ولاحظ بعض أعضاء لجنة منع اقامة المعرض أن أسم مدير المؤسسة التى تنوى اقامة المعرض هو **محمد العكارى**.فهل هو اسمه الحقيقى؟!.

وفى كل الأحوال فان القوى السياسية لم تطرح مزيداً من التساؤلات حول شخصية منظم المعرض ، بل حول الجهة التى تقف خلفه، وتمده بقوة تجعله قادراً على تحدى مشاعر شعب بأكمله. وأعلن أحمد عبيدات أن وراء اقامة المعرض «**حفنة خسيسة من السياسيين**» ولم يوضح أكثر من ذلك مهدداً بكشف الاسماء فى الوقت المناسب.

لقد مضى الناصر، وظهر جنباً إلى جنب مع السفير الاسرائيلى بفتتح المعرض. غير أن ذلك لم يدم غير ساعة أو أكثر قليلاً ،وبعدها انتهى الاحتفال ،وعاد المفتتحون إلى منازلهم تاركين الموظفين الاسرائيليين فى اجنحتهم بعد ذلك يتثاءبون أو يتناولون القهوة أو يثرثرون مع بعضهم بعضاً لقتل الوقت الذى مر على مدى الأيام الأربعة للمعرض دون أن يحظوا بزائر واحد.



ثلاثة أيام هزت الأردن

ليلى نفاع

لم يتوقع أشد الناس تفاؤلاً. أن يتحرك الشعب الاردنى ويوجه ضربة قاسية للتطبيع مع اسرائيل ليطيح به بهذه السرعة وهذه القوة.

كان الاردن مهيئاً لتشكيل الجسر الذى تعبر منه اسرائيل إلى دول الخليج وكان الاردن وما يزال الركن الأساسى فى السوق الشرق أوسطية. كما تحلم بها الدوائر الاسرائيلية.

وكانت ملابسات العلاقات الاسرية بين الفلسطينيين والاردنيين ،مرتكزاً لجعل التطبيع أمراً واقعاً لا قدرة للقوى الوطنية على مقاومته.

لكن نقاط الضعف تحولت إلى نقاط قوة بين أيدى الجماهير الشعبية فى الاردن، وعلى مدى ثلاثة أيام ٨و٩ و ١٠ كانون الثانى شهدت تحركاً جماهيرياً قل نظيره منذ الخمسينات. لوقف عملية الهرولة فى التطبيع وتحويل عمان إلى مقبرة للسوق الشرق أوسطية . تماماً مثلما كانت فى الخمسينات مقبرة «**حلف بغداد**».

كان ذلك أيام افتتاح واقامة معرض الصناعات الاسرائيلية ، الذى أقيم على أرض المعارض فى **مرج الحمام** فى أطراف عمان الغربية. وقد عرضت شاشات التلفزة العالمية صورة الحشود التى تدافعت لمنع افتتاح المعرض،وكيف اخترقت السياج الأمنى الذى ضربته قوات الأمن الخاصة، حول الشارع الرئيسى المؤدى إلى مدخل المعرض، مما جعل قوات الأمن تطلق الكلاب المدربة وتهيئ الخيالة وترش خراطيم المياه الملونة على مقدمة المسيرة الحاشدة، والتى كان فى مقدمتها رئيس اللجنة الوطنية لمنع معرض الصناعات الاسرائيلية، دولة الأستاذ **أحمد عبيدات** ،وقادة الأحزاب السياسية من كافة الأطياف ابتداء بالحزب الشيوعى ممثلاً بالدكتور **يعقوب زيادين** ،ورئيس جبهة العمل الاسلامى **اسحق الفرحان** ،ونواب المعارضة ،وفى مقدمتهم السيدة **توجان فيصل** وتزيد عمارين- بطل أحداث الكرك- ورئيسات الاتحادات النسائية وفى مقدمتهم **املى نفاع**.

اضطر السفير الاسرائيلى فى عمان . أن يفتتح المعرض بنفسه بحضور المنظمين وحدهم، والذين لم يتجاوز عددهم ٧٠ شخصا ،مع العلم انه تم توزيع ١٢ ألف بطاقة دعوة إلى الفعاليات الاقتصادية فى الاردن. وحتى الذين جرت معهم مقابلات تلفزيونية من داخل المعرض رفضوا اعطاء اسمائهم إلى الصحافة . ولم يتوافد على المعرض أى إنسان بعد افتتاحه، ولم ينجح المعرض فى استقطاب رجال الأعمال، أو مؤسسات داخل وخارج الاردن. وكما اشارت صحيفة الرأى الاردنية فى عدد يوم الجمعة ١٠ / ١٩٩٧/١ «تشهد المعارض عادة إقبالاً كبيراً وزخماً شديداً من الرواد فى الأيام الأولى من افتتاحها ، إلا أنه فى حالة معرض الصناعات الاسرائيلية فان الاقبال كان معدوماً».

منذ الاعلان عن النية باقامة معرض الصناعات الاسرائيلية فى عمان، من قبل شخص استأجر أرض المعرض من وزارة التجارة والصناعة، وهذا الانسان لم يكن معروفا ابداً فى الوسط التجارى أو الصناعى، وأعلنت العشيرة التى قال أنه ينتمى لها «**آل الناصر**» براءتهم منه، وعدم انتسابه لهم على الاطلاق، تنادت القوى الوطنية والشخصيات السياسية وأحزاب المعارضة ونواب المعارضة ،والنقابات المهنية والذين سبق وأن عقدوا مؤتمراً وطنياً شعبياً ضد التطبيع فى العام ١٩٩٥ بالرغم من التضييقات الحكومية ،واصدروا ميثاقاً وطنياً للوقوف فى وجه التطبيع مع اسرائيل. إلى أن يقوم السلام الشامل والعادل ويعاد للشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة. تنادوا إلى تشكيل لجنة وطنية لمنع اقامة معرض الصناعات الاسرائيلية.

تم اختيار دولة الأستاذ **أحمد عبيدات** رئيسا للجنة ،وهو رئيس وزراء سابق ولكنه اتخذ مواقف جريئة ابان ترؤسه للوزارة لكشف مواطن الفساد فى المؤسسات العامة ،واقيل على اثرها .كما انه أصر على حضور جلسة مجلس الأعيان. الذى ينتمى إليه



بصفته رئيس وزراء سابق- التي اقر فيها قانون المعاهدة الاردنية الاسرائيلية ليلقي بياناً يعلن رفضه للمعاهدة،وينسحب قبل اجراء التصويت مما حدا بالملك الحسين إلى اقالته من مجلس الأعيان ،وتعيين شخص آخر من عشيرته والتي تصنف بأنها أكبر العشائر في الاردن. وتضم اللجنة ممثلي أحزاب المعارضة وممثلي غرف الصناعة والتجارة وممثلي النقابات المهنية.

دعت اللجنة الوطنية لمنع اقامة معرض الصناعات الاسرائيلية إلى مؤتمر شعبي في منتصف شهر كانون الأول الماضي، لاقرار خطة العمل في مواجهة اقامة المعرض،وتوافد إلى المؤتمر ممثلون عن كافة القطاعات الشعبية والمحافظات على نطاق الاردن بأسره. واتفق على اعلان الاعتصام على أرض المعرض في حالة استمرار الحكومة بالسماح باقامته. وهكذا كان. فما أن أعلن أن يوم ٨ كانون ثاني،وهو اليوم المقرر لافتتاح المعرض- حيث أجل أكثر من مرة- حتى انبرت اللجنة الوطنية وكافة الاحزاب الاردنية (١٩ حزباً -ما عدا ٣ احزاب موالية للحكومة) ومجالس النقابات المهنية من محامين وأطباء وأطباء أسنان ومهندسين ومهندسين زراعيين وجيولوجيين ومقاولين ونقابة الصحفيين ورابطة الكتاب وممثلي غرف الصناعة والتجارة والتحالف النسائي الأردني للدعوة للاعتصام اثناء افتتاح المعرض صباح يوم الأربعاء ١٩٩٧/١/٨.

في ظل أجواء الاجماع الوطني الشعبي ضد سياسة الحكومة وتحديها لمشاعر الجماهير بعدم اقامة المعرض، وعلى الرغم من منع وصول المركبات إلى موقع الاعتصام، سار حوالي خمسة آلاف مواطنة ومواطن إلى مكان الاعتصام،وحاولوا اختراق صفوف الأمن، لمنع دخول الزوار للمعرض، إلا أن التصدي كان عنيفا. اكتفى المتظاهرون بالاحتشاد بالقرب من موقع المعرض ،وتليت الكلمات باسم كافة القوى والفعاليات وانفض الاعتصام بعد ٥ ساعات وانتقل الجميع إلى مبنى النقابات المهنية حيث غرفة العمليات لاستمرار اشكال الاحتجاج المختلفة. تمت الدعوة للتوقف عن العمل لمدة ٣ أيام لكافة المهنيين حيث التزم جميع المحامين والقضاة بذلك وكذلك المهندسين والأطباء الخ. وتمت الدعوة أيضا للتوقف عن العمل لمدة ساعة ما بين ١١- ١٢ يوم الخميس ١٩٩٧/١/٩، واطلاق صفارات السيارات لمدة خمس دقائق في تمام الحادية عشرة من ذلك اليوم، وتبع ذلك الدعوة لاقامة الصلاة في أول أيام شهر رمضان المبارك على الأرض المجاورة للمعرض يوم الجمعة ١٩٩٧/١/١٠.

تابع الشعب الاردني هذه الفعاليات بكل اهتمام، لأن القناعة متوفرة بضرورة حماية الصناعة الاردنية وعدم جعل الاردن الجسر الذي تعبر منه اسرائيل إلى العالم العربي.وقد استلهم الشعب الاردني والقوى الوطنية الاردنية تجربة الشعب المصري في مقاومة التطبيع مع اسرائيل. وحيثما تتوجه هذه الأيام في المجالس العامة والخاصة يستذكر الناس المظاهرة النسائية أمام المعبد اليهودي في قلب القاهرة ويستذكرون النضالات البطولية لايقاف اشراك اسرائيل في معرض الكتاب ومقاطعة الفنانين والادباء والكتاب للذهاب إلى إسرائيل وتحريم زيارة إسرائيل ،من قبل شيخ الأزهر والبابا شنوده.

وفي الخليل تدور رحى معركة المفاوضات ،التي ستحدد شكل العلاقات المستقبلية بين فلسطين واسرائيل في ظل حكومة غلاة اليمين الاسرائيلي التي ترفض حتى تطبيق معاهدات أوسلو المذلة. ان مايجرى على الساحة الفلسطينية ، يجعل الدماء تغلي في العروق، ويمد الشعب الاردني بمزيد من أسباب التشبث بمطالبها بوقف الهرولة والتطبيع ،ووقف حملات غسيل الدماغ التي بثتها اجهزة الأعلام الرسمية.

لقد كان واضحا قبل عام مضى، ان حكومة **عبد الكريم الكباريتي** قد جاءت تحت شعار الثورة البيضاء لتمرير التطبيع وبرامج التصحيح الاقتصادي فكانت هناك هبة الخبز في مدينة الكرك في جنوب الاردن، رداً على رفع الأسعار بسبب وقف الدعم عن كل من القمح والعلف، مما اظهر عجز الحكومة عن تمرير برامج التصحيح والتكيف كما تمليها عليها المؤسسات المالية الدولية، ونبع ذلك حركة الاحتجاج الجماهيري ضد معرض الصناعات الاسرائيلية التي وجهت ضربة قاسية للتطبيع،ومدت الشعب الاردني بطاقة جديدة على المقاومة من أجل لقمة خبز الفقراء وحرية الاوطان، وحماية استقلاله وسيادته وصناعته الوطنية.



الصادق المهدى



حيدر ابراهيم



التيجانى الطيب

العرب

المعارضة السودانية

الحرب تمهد لانتفاضة تسقط نظام الجبهة الحاكم

أمينة النقاش

ما إن أعلن الرئيس «حسنى المبارك» فى حديثه للمثقفين فى افتتاح معرض الكتاب أن **اريتريا واثيوبيا** لا تتدخلان فى السودان وأن الحرب الدائرة على أراضيه هى شأن داخلى، حتى تأكد أن زيارة نائب رئيس الجمهورية السودانى **اللواء الزبير محمد صالح** للقاهرة قد فشلت فى إقناع القيادة المصرية أن غزوا خارجيا يتهدد السودان، بعد أن سمحت الحكومتان الاثيوبية والاريترية للقيادة العسكرية المشتركة لقوات المعارضة السودانية برئاسة **جون قرنق** بدء عملياتها من على الحدود المشتركة شرق السودان، ضد الحكومة السودانية التى تتهم من قبل **الحكومات الأوغندية والاثيوبية والاريترية** بايواء وتشجيع مجموعات المعارضة التقليدية المسلحة التى تقود حربا لزلزلة الأنظمة الثلاثة.

ويشكل الموقف المصرى ضربة غير متوقعة لنظام «البشير -الترابى» الذى دأب على اثارة المخاوف المصرية بشأن قضية المياه إذا ما تم السودان، واندلعت القلاقل عند منابع النيل. فهذه المرة تخلت السياسة المصرية عن حذرها المعهود، بشأن «**المسألة السودانية**»، فبينما وبين نظام البشير ثأر لم تسدد فواتيره بعد أن أتهمته بايواء ثلاثة ممن شاركوا فى محاولة الاغتيال الفاشلة التى تعرض لها الرئيس مبارك فى العاصمة الاثيوبية أديس أبابا فى يونيو ١٩٩٥، فضلا عن **ايواء العناصر الاسلامية المتشددة التى تقوم بعمليات عنف مسلح وارهاب ضد الحكومة المصرية**، وساهمت مع دول الجوار الافريقية ودول عدم الانحياز، فى جرجرة النظام السودانى للوقوع تحت طائلة العقوبات الدولية فى مجلس الأمن الذى ينتظر **أن ينفذ ضده من شهر فبراير الحالى حظرا جويا دوليا** بعد أن رفض تسليم المتهمين الثلاثة بمحاولة الاغتيال.

مخاطر وهمية

ويبدو أن المصير الذى لقيه نائب الرئيس فى القاهرة قد واجهه فى العاصمة السعودية الرياض حيث لم تتمكن الجهود الدبلوماسية السودانية من اقناع معظم الاطراف العربية بمخاطر غزو خارجى يتهدد السودان، أو بتقديم العون المادى والعسكرى لدرئه، بينما نجح الجهد الدبلوماسى لوفود المعارضة السودانية فى تفنيد مزاعم النظام السودانى، ووضع الحرب القائمة فى إطارها الصحيح.

وفى الوقت الذى استقبلت فيه الرياض **الزبير محمد صالح** كانت تستقبل «**الصادق المهدى**» رئيس حزب الأمة المعارض **ومحمد عثمان الميرغنى** رئيس التجمع الوطنى الديمقراطى، الذى يضم كل فصائل المعارضة السودانية الشمالية والجنوبية، كما كانت الصحف السعودية تنشر تصريحات «**لجون قرنق**» زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان ورئيس القيادة

المشتركة لقوات المعارضة السودانية المسلحة يجدد فيها التزامه بوحدة التراب السوداني ،ويؤكد أن وحدة السودان غير مهددة وأن الاسلام فيه ليس مهددا ،وأن **الجهة الوحيدة المهددة** -بعد أن استولت القوات التي يقودها على مدينتي «الكرملك» و«قيسان» شرق السودان وتوشك على الاستيلاء على مدينة «الدمازين» الاستراتيجية التي تقع بها محطة الكهرباء التي تمد الخرطوم بأكثر من ٨٠٪ من احتياجاتها **هي الجبهة الاسلامية القومية** بقيادة د. **حسن الترابي** ،التي تتاجر بالعروبة والاسلام والوطن، وتصبح -كما يقول- صيحة الذئب «**عدوان خارجي**» كلما حلت بها الهزائم العسكرية!

وفي تصريحاته الصحفية أكد **العقيد جون** أن العمليات العسكرية التي يقودها لا تنوى التقدم صوب العاصمة السودانية الخرطوم وأن هدفها الرئيسي هو **تهيئة الاجواء للانتفاضة الشعبية لاسقاط النظام القائم** الذي يشكل خطرا حقيقيا على وحدة السودان، بعد ما صور الحرب الدائرة الآن على أنها **جهاد مقدس بين الاسلاميين والمسيحيين وبين الشماليين والجنوبيين وبين العرب والافارقة** . وأوضح «قرنق» إن هذه الحرب هي بين الشعب السوداني ومُمثلة في التجمع الوطني الديمقراطي المعارض وبين حزب الأقلية الذي استولى على الحكم بالقوة ويبقى في السلطة بها وهو حزب **الجبهة الاسلامية القومية**.

وأكد قرنق أن قوات المعارضة السودانية المسلحة تعتمد على قواها الذاتية وأن المعارك يشارك فيها ويقودها سودانيون ولا دخل لأى عنصر خارجي بها، وأوضح أن القوات المشتركة للمعارضة السودانية المسلحة تضم **قوات من أحزاب الأمة والاتحادي الديمقراطي وقوات التحالف للعميد عبد العزيز خالد وقوات مؤتمر «البجا» القيادة الشرعية للقوات المسلحة السودانية** ،**وقوات من جبال النوبة** ،وهو ما يعني أن القيادة العسكرية المشتركة التي تمثل قوات «**التجمع الوطني الديمقراطي**» والتي تضم شرق السودان وغربه ووسطه وشماله وجنوبه -موحدة الآن تحت راية التجمع أكثر من أى وقت مضى، **بهدف واضح هو اسقاط نظام الجبهة وبناء سودان جديد ديمقراطي ،تعددي يحفظ حقوق المواطنة ويضمن العدالة والمساواة من السلطة والثروة لكل مواطنيه.**

مخاوف مشروعة

بعد النجاح العسكري الذي أحرزته قوات تحالف المعارضة السودانية على القوات النظامية السودانية التي رفضت قطاعات منها أوامر بقصف المدن خوفا على أرواح المدنيين وأستلمت قطاعات أخرى طواعية لقوات المعارضة بذخائرها ومعداتها العسكرية، استدعى نظام البشير -الترابي قوى اقليمية للتدخل بزعم وجود مؤامرة اسرائيلية- أمريكية للاطاحة بما يسميه المشروع الحضاري الاسلامي للسودان، وبهذه المزاعم أصبحت «**ايران**» في مقدمة القوى الاقليمية المرشحة لضخ الدعم العسكري للنظام السوداني، فضلا عن مساندة بعض دول المحور العربي الذي ناصر العراق أثناء غزوه للكويت ومن بينها **اليمن والاردن وقطر** ،فضلا عن **العراق** ذاته، لأسباب داخلية ،تخص كل قطر على حدة وتخص تحالفاته وخصوماته في المنطقة. ولا علاقة لها بالاقتناع بصواب الموقف الرسمي السوداني ، أو عدم صوابه مما يجعل اطالة أمد الحرب الأهلية احتمالا قائما ويجعل المخاوف من ذلك أمرا مشروعا.

وفي غمرة تلك المخاوف وجه رئيس الوزراء السابق «**الصادق المهدي**» ما أسماه «**نداء الوطن**» إلى القوات المسلحة السودانية وإلى الشرطة دعاهما فيه إلى التصدي **لحزب الجبهة الاسلامية القومية** ،وتحرير البلاد من قبضته لفتح الطريق أمام السلام والديمقراطية. كما دعاهما فيه إلى رفض الامتثال لقيادة النظام الانقلابي الحزبي المتسلط والانحياز للشعب السوداني، والتحرك الحاسم للاطاحة بالنظام الفاسد الذي يحكم السودان.

أدرك النظام السوداني الهدف الذي يسعى إليه معارضوه ، فشن حملة اعتقالات واسعة للقيادات السياسية والنقابية التي لم تهاجر من السودان مع بدء تقدم قوات المعارضة على الحدود الشرقية، لعرقلة أي تحركات جماهيرية محتملة، وشن حملة دعائية واسعة النطاق تثير الذعر بشأن المطامع الاسرائيلية في افريقيا والقوى الاجنبية المرشحة لاحتلال منابع النيل والتضخيم من السيناريوهات المحتملة لاستمرار الحرب الأهلية ،والتي لن يكون أخطرها فصل جنوب السودان عن شماله بل «صوملة السودان» قياسا على التجربة الصومالية.

لكن ثلاثة من الباحثين والسياسيين وقادة المعارضة السودانية يردون على تلك المخاوف:

يقول «**فاروق أبو عيسي**» المتحدث الاعلامي للتجمع الوطني الديمقراطي المعارض إن بعض هذه المخاوف كلمات حق يراد بها باطل، وهي ليست دفاعا عن السودان، بل عن نظام الجبهة الاسلامية الديكتاتوري العسكري الحاكم في الخرطوم لأنه هو الذي يفتح أبواب أفريقيا على مصراعيها بحربه العدائية ضد الجيران، للاختراق الاسرائيلي بالمساعدة الأمريكية للقارة الافريقية .

فالسودان الذي كان له دور بارز في حركة النضال العربي و الافريقي أصبح بفعل نظام «عقائدي» موتوراً معزولا اقليميا ودوليا يدعو فيه قيادات الجبهة الاسلامية مواطنيها لحرب الجهاد ضد مواطنين آخرين ، لا لسبب إلا أنهم ليسوا عربا وليسوا مسلمين .وبفضل سياساته الخرقاء التي خلفت الفقر والمجاعة والمرض وحولت **الشعب السوداني إلى لاجئين يتسولون العيش من المفوضية الدولية لشئون اللاجئين في أنحاء العالم**، **وفرقت بين قومياته**


البشير



الترابي

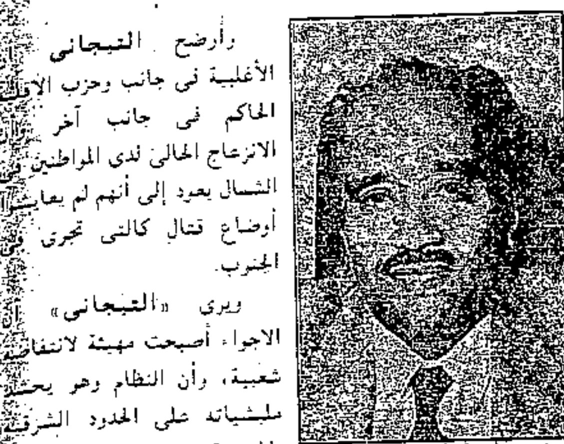


وأعراقه وثقافاته، وأصبح بقاء هذا النظام هو الذي يشكل خطرا على وحدة السودان وعلى مصالحه ومصالح جيرانه الحيوية. لقد عرض نظام الجبهة الاسلامية العلاقات العربية الافريقية للخطر، وقدمها لقمة سائغة للاعداء ولذلك فان النضال ضده أصبح فرض عين لاعلى كل سوداني فحسب بل على كل عربي ومسلم معني بشئون الأمة والوطن وحريص على مصالحهما.

وأكد **فاروق أبو عيسى** أن الحكومة السودانية هي التي بدأت هذه الحرب حين رفضت تدخلات الدول الافريقية لمشاركة قوى التجمع في مباحثات السلام التي كانت تقودها دول **الايقاد** بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية وأعلن البشير أنه **لا يفاوض إلا من يرفع السلاح ،وأن هذا النظام جاء بالقوى المسلحة وأن من يريد تغييره فليحمل السلاح.**

وأكد «**أبو عيسي**» أن هناك قرارا في التجمع بعدم التقدم صوب الخرطوم، وأن هذه الحرب محددة الهدف، **بتهيئة الأجواء للانتفاضة الشعبية المحمية بالقوة المسلحة** .وأوضح أن أي غزو خارجي للسودان سوف تتصدي له المعارضة السودانية نفسها، وأن مزاعم الغزو الخارجي هي أكاذيب وافتراءات للنظام يسعى من ورائها لانقاذ نفسه من الترنح والسقوط باستدعاء قوى خارجية، وأن الحرب الدائرة هي صراع داخلي محض يقف فيه الشعب السوداني بكل فصائله في جانب والاقلية الحاكمة في الجبهة الاسلامية في جانب آخر.

ويرى **د. حيدر ابراهيم علي** رئيس مركز الدراسات السودانية بالقاهرة أنه لو لم ينتفض الشعب السوداني فان العمليات العسكرية الدائرة بين الحكومة والمعارضة قد لا يكون من شأنها أن تحسم الموقف لكنها قد تساعد على كسر حاجز الخوف لدى المواطنين بما يمهد للانتفاضة الشعبية. وينفي د. حيدر أن يكون احتمال «الصوملة» أمر وارد مشيرا إلى أن الحرب الأهلية في الصومال (بين جماعات قبلية) أسبغت على صراعها القبلي شعارات سياسية . أما الوضع في السودان فهو صراع سياسي بين جماعات وأحزاب سياسية .النزاع فيها بين معسكرين.. **الجبهة الاسلامية القومية في جانب والمعسكر الآخر لكل الأجانب والقوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني** .وأوضح د. حيدر أن قوات المعارضة السودانية المسلحة قد استفادت بلا شك من التسهيلات التي أخذتها على الحدود الاثيوبية والاريترية لكن ذلك لا يعني أن هناك تدخلا خارجيا في الحرب الدائرة حاليا. وأضاف **د. حيدر ابراهيم** أن الوقت قد حان كي يعترف النظام الحاكم، نظام الجبهة الاسلامية القومية بخطأ استيلائه على السلطة وبفشله في مواجهة المشكلات التي قال أنه جاء لحلها.. فلا الحرب الأهلية في الجنوب توقفت، ولا الاقتصاد السوداني خرج من مأزقه، ولا استطاع الحكم توفير حياة كريمة للشعب السوداني..



فاروق أبو عيسى

وعبر **التيجاني الطيب** عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوداني وممثله في التجمع الوطني الديمقراطي، عن اعتقاده بانه ليس في امكان النظام السوداني اطالة امد الحرب، وليس في مقدوره مواجهة جبهة عسكرية كبيرة تمتد من الحدود الاريترية إلى الحدود الأوغندية مرورا بالحدود الأثيوبية.

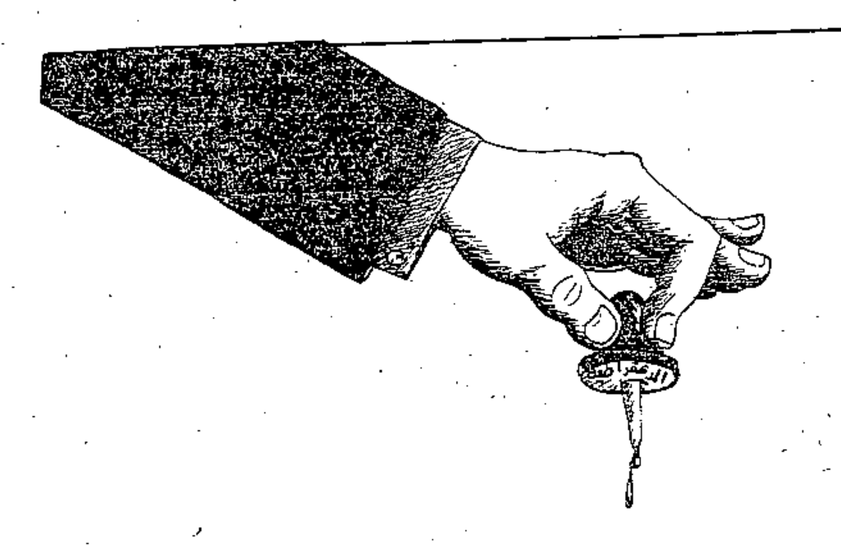
وقال التيجاني ان المعارك الدائرة الآن بين المعارضين السودانيين والحكومة، المسئول الأول عنها هو النظام السوداني. فقد أعلن البشير على الملأ أن نظامه جاء إلى الحكم بالقوة ،وأن من يريدون التغيير عليهم استخدام القوة. كما رفض النظام مبادرة دول الايقاد (الايجاد) اشتراك المعارضة السودانية في مفاوضات السلام بين الحركة الشعبية والحكومة. في أبوجاونيروبي. وقال البشير بالحرف الواحد أنه لا يفاوض إلا من يرفع السلاح.

وأوضح **التيجاني** أن الأغلبية في جانب وحزب الأقلية الحاكم في جانب آخر وأن الانزعاج الحالي لدى المواطنين في الشمال يعود إلى أنهم لم يعايشوا أوضاع قتال كالتي تجري في الجنوب.

ويرى «**التيجاني**» أن الاجواء أصبحت مهيئة لانتفاضة شعبية، وأن النظام وهو يحشد مليشياته على الحدود الشرقية والجنوبية، ويعتقل القيادات النقابية والحزبية بالداخل، يخلي المدن لبروز قيادات وطنية جديدة.

***

وبعد ،لقد بدأت الحرب الأهلية الشاملة في السودان ولا أحد يدري متى ستتوقف ، لكن المؤكد أن وضع النظام السوداني بعد المواجهة المسلحة بينه وبين كل فصائل المعارضة ،قد أصبح غيره قبل بدء المواجهة ،وأنه لم يعد بوسع مصالح السودان والمصالح الاقليمية أن تبقى وتستقر، طالما بقى النظام السوداني على حاله ،وأنه لم يعد أمامه سوى خيار من اثنين، أما أن يتغير أو أن يجبر على التغيير، وهذا ما ستكشف عنه الاسابيع القليلة القادمة.







د. سمير حنا صادق



أعلنت إحدى شركات ملح الطعام عن نوع من الملح «مقوى» باليود. وتداعى فى ذهنى شريط طويل من الذكريات.

رأيت اسم «**بول غليونجي**» لأول مرة عام ١٩٤٣.

كنت فى هذه السنة طالبا بالسنة الأولى بكلية طب جامعة **فؤاد الأول** (القاهرة الآن). وكان استاذنا لمادة الفسيولوجى(علم وظائف الأعضاء) عالم روسى يدعى **انريب**. كان **انريب** يعلق قائمة باسماء الحاصلين على أعلى درجة فى مادة الفسيولوجى- والحاصلين بذلك على ميدالية ذهبية خاصة- فى لوحة شرف تتصدر معمل الفسيولوجى. ورأيت فى هذه القائمة اسم **بول غليونجي** لأول مرة، فقد حصل عليها خلال الثلاثينات.

فى عام ١٩٥١ كان **غليونجي** رئيسا لوحدة الغدد الصماء بكلية طب **جامعة ابراهيم باشا** (جامعة عين شمس الآن) وكان من ابرز نجوم هذه الوحدة المرحوم **أ. د. أحمد غريب والمرحوم أ. د. كمال الشواربى** وعينت فى هذا الوقت معيدا بقسم الكيمياء الحيوية بالكلية وضمنى **غليونجي** للوحدة وكان يكلفنى بالتحليلات اللازمة لابحاثها.

فى عام ١٩٥٢ بدأ اهتمام **غليونجي** بمرض خطير يدعى **الجويتر المتوطن Endemic Goiter** وينتج هذا المرض عن نقص عنصر يود فى الغدد ويتميز بتضخم فى الغدة الدرقية يصحبه عادة كسل شديد فى افراز هرمون الغدة(Thyroxine) وتنجب السيدات المصابة به اطفالا مصابين بالصمم والبكم والبلاهة. وكون **غليونجي** فريقا لدراسة انتشار المرض فى مصر.

قام الفريق بدراسة انتشار المرض فى مناطق عديدة من مصر وكانت أهم هذه المناطق هى الواحات الداخلة والبحرية والفرافرة وسيوة. وكانت نتائج هذه الدراسة فى بعض المواقع مذهلة.

سافرنا إلى واحة الداخلة بطائرة من طراز «**داكوتا**». كانت المقاعد فى الطائرة عبارة عن دكك نظمت داخليا واضطرت الطائرة للتحليق فوق المطار لمدة نصف ساعة حتى يمكن احضار «المأمور» من منزله لاخلاء المطار من الماعز.

وكانت **الرحلة للبحرية** مغامرة شاقة وخطرة. فقدسافرنا بسيارة جيب قديمة خلال **الصحراء** بدون معالم وكان أصعب ما فيها منطقة تدعى «**بحر الرمال**» مليئة بالكثبان الرملية. وانكسرت ماسورة البنزين فى السيارة ولولا وجود مشمع لاصق مع الدكتور **غريب**واستعماله لكنا دفنا تحت الكثبان الرملية. وسافرنا من **البحرية** إلى **الفرافرة** على ظهر«لورى» فى برد الشتاء القارس وكنت أصرخ من لطم الهواء البارد على وجهى رغم مزورنا بأجمل روائع الجيولوجيا: أعمدة من الطباشير فى وسط الصحراء.

وسافرت وحدى إلى سيوة بعربة جيب قدتها بنفسى من مرسى مطروح فى مدق غير واضح المعالم. وكانت زيارتنا لسيوة فى الربيع وقد امتلأت الصحراء بمظاهر الحياة البرية من الزهور الحمراء الرائعة الجمال ومن الطيور والثعالب والارانب البرية والحلزونات Snails فى ترافق بيئى Ecosystem رائع. وكان منظر سيوة مثل غيرها من الواحات مفاجأة: فبعد رحلة طويلة فى الصحراء يرى القادم إلى الواحة فجوة هائلة مليئة بالخضرة: بلح، زيتون، موالح، مشمش، عنب، تين.. وفى جانب منها بحيرة تمتد إلى الأفق.

كانت **الاكتشافات العلمية** كما ذكرت مذهلة:

-كانت المياة الجوفية فى جميع الواحات خالية تقريبا تماما من اليود، بل وكانت غنية ببعض المواد المضادة لامتصاصه مثل **الحديد والكالسيوم**.

-كانت نسبة المصابين **بالجويتر** فى بعض الأماكن أعلى نسبة سجلت فى العالم. فقد بلغت النسبة حوالى ٢٨ بالمائة فى أهالى «**القلمون**»، إحدى قرى الداخلة، بل وبلغت النسبة حوالى ٦٢ فى المائة بين السيدات فى نفس القرية فوق سن العشرين عاما.

-صاحب هذه الظاهرة انتشار انجاب الأطفال الصمم والبكم والبلهاء فى هذه القرى.

-**فى البحرية والفرافرة وسيوة** اختفى الجويتر المتوطن.

كان سبب الاختفاء فى سيوة واضحا. فالواحة تستورد كل حبوبها(مثل الشعير والقمح) من مرسى مطروح، وحبوب مرسى مطروح غنية باليود.

اما اختفاء الجويتر فى البحرية والفرافرة فقد كان لغزا محيرا إلى أن دعينا يوما للغذاء عند بعض أهالى البحرية واكتشفنا انهم يقدمون مع الأكل طبقا به ملح من بقايا صفائح الفسيخ والسردين فى الوادى، وكان هذا الملح الذى يلعقونه مع الأكل باصابعهم مصدرا لليود.

-قام القائمون بهذه الدراسة باجراء مسح طبى عام لأهالى الواحات ونشرت هذه الأبحاث وسلمت نتائجها للجهات المختصة.

وانتصار العلم فى قضية الجويتر المتوطن حاسم وواضح: فباضافة ما قيمته قروش بسيطة من أملاح اليود إلى ملح الطعام أو إلى دقيق الخبز، يمكن وقاية الآلاف من هذا المرض وتفادى إنجاب الأطفال البلهاء الصمم والبكم.

ليس الغرض من هذا السرد تكريم **بول غليونجي**، انما الغرض منه ايضاح الفرق بين عالم يخدم بلده وقومه فى هدوء وبدون ضوضاء، وبين **مدعين يملأون الدنيا صخبا وضجيجا عن اكتشافات مزعومة لعلاج الايدز والسرطان والروماتيد**، وعن ادعاءات مضحكة بترشيحات لجائزة نوبل.

ألم يكتشف أحد أكبر مراكزنا **العلمية** طريقة جديدة لعلاج أخطر الفيروسات باستعمال **الخلنجان وعين العفريت**؟!؟.



الجنرال ديجول

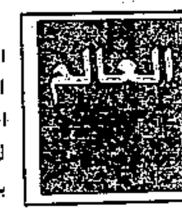


ميتران



وسياسة فرنسا الخارجية





في مطلع العام الجديد، نشرت مجلة **الاكسبريس** الفرنسية اعترافات **لويك لوفلوك بريجان**. وبريجان كان يشغل منصب رئيس مجلس ادارة شركة **ألف الفرنسية للبترول** .وهي أهم شركة فرنسية على الاطلاق، قبل أن يرأس **الشركة الوطنية للسكك الحديدية** والتي ما إن تربع عليها حتى تم القبض عليه في يوليو الماضي وما زال محبوسا حتى الآن والتهمة الموجهة إليه هي: استغلال النفوذ والثراء الشخصي خلال فترة رئاسته لـ«**ألف**» .ومنذ بداية التحقيقات التزم **بريجان** الصمت التام، ربما أملا في أن ينتشله في الوقت المناسب اصدقاؤه في الحكم وعلى رأسهم رئيس **الجمهورية** ذاته **جاك شيراك** الذي يعد **بريجان** أحد المقربين إليه.

ولكن طال حبسه وبات واضحا أنه يواجه الاتهامات وحيداً. وفجأة قرر بريجان الكلام. جاء كلامه مباحا وغير مباح كشف عن عالم البترول حيث تمد اذرع فرنسا لتحيط بمصادر انتاجه خاصة في افريقيا، وحيث تتداخل الادوار ما بين السياسة والاقتصاد والحكم والمخابرات في شبكة تترابط اطرافها ما بين اركان العالم الاربع. يقول بريجان بوضوح : «**ألف ليست الا جزءا من جهاز المخابرات الفرنسية.. لا يقع حدث ما في الدول المنتجة للبترول في افريقيا الا وكان وراءه ألف**».

وبعيدا عن التفاصيل المثيرة عن الصفقات بالمليارات والعمولات بالملايين والوسطاء-خاصة العرب منهم كرجل الاعمال العراقي الذي سهل عملية حصول ألف على امتياز في أسبانيا نظير عمولة قدرها ثلاثمائة مليون فرنكا. أو القائد السابق للطائرة الخاصة بالملك **الحسن** «جلفي» والدور الذي لعبه في اوزبكستان تكشف الاوراق العشر التي نشرتها المجلة عن ثلاث دوائر رئيسية كان من المطلوب ان يتم احتواؤها.

ألف.. وكالة مخابرات

تعود بدايته«**ألف**» إلى عام ١٩٦٢ .عندما حاول **الجنرال ديجول** تجميع خيوط السياسة البترولية حول الشركة الوحيدة الموجودة في ذلك الوقت شركة «**توتال**» لكن مستشاري الجنرال اقترحوا عليه ضرورة انشاء شركة جديدة يواجه بها منافسة الشركات الانجلوساكسونية.

ورأوا في ذلك عملاً سياسياً. ذا ثلاثة أهداف:

-إن الدولة لا تمتلك إلا ٣٥٪ من رأسمال «توتال» .وبالتالي لا

تستطيع التأثير عليها كما تريد.

-كان لابد من ايجاد «وزارة بترول» غير معلنة تؤمن استمرار امداد فرنسا بالبترول .وهو الأمر الذي اتخذ أهمية خاصة بعد أن فقدت فرنسا السيطرة على البترول الجزائرى عام ١٩٧١.

-الحاجة إلى وجود جهاز «مخابرات» من نوع مختلف عند الدول المنتجة للبترول وتوتال لا يمكنها أن تلعب هذا الدور.

ونشأت الشركة بالفعل فى ١٩٦٥ وعهد بادارتها الى مؤسسي أحد أجهزة المخابرات ، العامة الفرنسية وادارها حتى ١٩٧٧ .وكان على «ألف» أن تكون فى خدمة السياسة الخارجية لفرنسا وقامت بادوار مختلفة كضمان تصويت الدول الافريقية إلى جانب فرنسا فى الأمم المتحدة تدعيما لمكانتها كقوى دولية.

بعد هذه المقدمة ، يحدد بريجان بوضوح ما كان مطلوباً منه.

المطلوب فى افريقيا

فى الجابون ، أتت ألف بالرئيس عمرو بونجو وفى الدول الأخرى. كان مطلوبا:

-تدعيم الوجود الفرنسى فى الكاميرون بمعاونتها الرئيس بيا على الاستيلاء على مقاليد الأمور بعد احتواء المجموعة «الانجلوبونية» فى بلاده.

-تدعيم الوجود الفرنسى فى تشاد. وهو ما دفع بالشركة إلى الدخول طرفا فى «التجمع البترولى التشادى» والذى كان عليه التوصل الى مد أنابيب الضخ عبر اراضى الكاميرون. يقول بريجان : كان دورى على وجه التحديد هو اقناع الامريكان خفية بأهمية مرور الانابيب عند الجزء الفرانكفونى فى الكاميرون».

-الحفاظ على التوازن ما بين سافيمبى ودوس سانتوس فى انجولا حتى لا ترجح كفة احدهما على الآخر مما يضطرها فى النهاية إلى التوصل إلى ترضية فيما بينهما.

-التوصل إلى اتفاق ما بين الكاميرون ونيجيريا حول الجزر الحدودية التى تخلى عنها الرئيس النيجيرى إلى الكاميرون على الرغم من أن سكانها قبائل نيجيرية فحوز هذه الجزر يوجد بترول.

-الحفاظ على علاقة الكونغو بفرنسا .ومن هنا، كانت سفرياتى المتعددة إلى البرازافيل.كما قامت ألف بتقديم القروض والهبات ودعمت ليسوبا خلال الانتخابات. فهو يعتبر بمثابة الاخ بالنسبة إلى عمر بونجو الذى ساعده على الهرب من السجن وعلى النجاة بعد قيام نظام ماركسى فى البرازافيل . وللاسف، فان بونجو لم يستطع التوفيق ما بين ليسوبا وبما بين حميه ساسو نجو ويرجع عدم الاستقرار فى الكونغو إلى هذه العداوة ،وإلى الصعوبة التى لاقاها فى الاختيار بين أخيه (وحميه).

المطلوب فى الشرق الأوسط

-تدعيم العلاقات مع قطر حيث تعتبرها فرنسا هى والامارات العربية محورا محتملاً للنفوذ الفرنسى فى منطقة الخليج .ولقد تم ذلك بالفعل. لكن، خلال احدى زيارات الرئيس ميتران للمنطقة بعد حرب الخليج رفض التوجه إلى الدوحة قائلا: «لست بائعا جائلا فى خدمتك». وكان من نتيجة هذا الرفض أن عاد النشاط البترولى الأمريكى بقوة مرة أخرى إلى قطر من خلال شركتى «موبيل» و «اوكسيدنتال بتروليم».

-التوصل إلى تسوية مع السعودية حول حق استغلال منطقة فى الصحراء تقع على الحدود مع اليمن. وكانت ألف قد حصلت على ترخيص من اليمن فى هذه المنطقة المتنازع عليها. وكان مطلوبا منى استغلال هذا النزاع كى لا ادع الأمريكيين ينفردون وحدهم بالسعودية.فالشركات الاربع المكونة لـ«أرامكو» تحقق سنويا ما يقدر بـ ٨٠ مليون دولار من خلال اللعب على أسعار البترول فقط .واستمرت المفاوضات مع السعودية طيلة أربع سنوات كاملة ولكننا لم نتوصل إلى شئ. ففى حقيقة الأمر، اتخذنى الملك فهد طوال هذه المدة كورقة ضغط ليحصل بها على ما يريد من الامريكان. لقد كنت أشك فى نواياه. لكن السياسيين الفرنسيين كانوا دائما يتعلقون بالاوهام فيما يتعلق بالسعوديين.

-الحفاظ على العلاقات مع دولة تعتبر أميل إلى فرنسا وهى سوريا من خلال الحصول على امتياز بها كاف من قبل فى حق شركة «شل».

-الانفتاح على دولة تعتبر «انجلو ساكسونية» وهى سلطنة عمان. والحصول على امتياز هناك فى محاولة لتخطى وجود شل لكن السلطان فضل فى النهاية الولايات المتحدة وبذلك جاءت «أوكسيدنتال بتروليم».

جورباتشوف

-الحفاظ على العلاقات مع العراق أثناء وبعد حرب الخليج من خلال محادثات جرت فى كل من فيينا وجينيف وعمان وسفر مسئولى الشركة إلى بغداد.

والمطلوب فى آسيا الوسطى

كنت أول من زار كزاخستان واوزباكستان وتوركمنستان وتوجه مسئولو الشركة أيضا إلى ازربيجان . وهو ما مهد لزيارات ميتران فيما بعد ما بين ١٩٩٤ و ١٩٩٥.

وكان مطلوبا منى أيضا اقامة العلاقات مع بوريس يلتسين فى أوج مرحلة جورباتشوف . ففى احدى لقاءات ميتران - جورباتشوف وبينما كان الركب كله يتوجه إلى جورباتشوف ،كان على أن استقل سيارة وحدى للتشاور مع يلتسين .كان ميتران مبهورا بشخصية جورباتشوف ولذلك لم يكن بالتالى يتقبل بسهولة الشخصية ذات المظهر الجاف ليلتسين .ولكنه مع ذلك طلب منى الحفاظ على العلاقات معه.

حرب الاجهزة داخل ألف

وينهى بريجان اعترافاته بفقرة مثيرة عن نمو وتعقد اجهزة المخابرات داخل الف. وبالاضافة إلى رجال المخابرات ،كان على كل قائد من جهة فى الخارج تقديم تقارير يتم تحليل ما يجئ بها. فتعقدت أجهزة الأمن وتشابكت وأصبح لكل رجل سياسى رجال داخل الشركة يقول بريجان: «كان لباسكوا رجاله، وكان لحزب التجمع من أجل الجمهورية رجاله. وظل تأثير الديجوليين هو الأقوى وخلال حكم ميتران، كان احد اجهزة المخابرات داخل الشركة.وهى الادارة العامة للامن- يقدم للرئيس تقاريراً عما يحدث فى افريقيا اقل ما يقال عنها: «انها لا علاقة لها بالواقع» .وهو ما يعنى ان الادارة العامة للامن اما أنها قامت بتجنيد أغبياء واما أنها تتعمد تضليل الرئاسة. واعتقد أن الهدف كان التضليل ولذلك كنت اقول لميتران: كل ما يأتيك عن افريقيا من خلال الادارة العامة للأمن يجب أن تقوم بالقائه فى سلة المهملات.

ألف فى ارقام عام ١٩٩٥

-الشركة الأولى فى فرنسا مع رأسمال تقدر ٣و٢٠٨ مليار فرنك. وتعد الشركة العاشرة على المستوى الأوروبى والـ ٢٧ على مستوى العالم.

-ثالث مصدر ربح لفرنسا: ٣و٥ مليار فرنك.

-عدد العاملين: ٨٥ ألف، ٥٢٪ فقط موجودين داخل الأراضى الفرنسية.

-البترول المستغل فى أنحاء العالم
- إفريقيا ٦٠٪
الجابون ٢٢٪
نيجيريا ١٥٪
الكونغو ١١٪
أنجولا ١٠٪
الكاميرون ٢٪
- أوروبا ٣٦٪
- دول أخرى ٤٪).



المؤتمر التاسع والعشرون للحزب الشيوعى الفرنسى

التغيير..

والمشاركة الفردية

والديمقراطية

محمود أمين العالم

انعقد **المؤتمر التاسع والعشرون للحزب الشيوعى الفرنسى** فى منطقة من أرقى مناطق باريس وأكثرها حداثة هى **أرشى دولا دوفانس** من اليوم الثامن عشر إلى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر من عام ١٩٩٦. وكان ختامه أشبه بعيد يتفجر بالحماس والبهجة والتفاؤل كأنما يمهد تمهيداً تاريخياً لأعياد الكريسماس والعام الجديد.

وكان هذا المؤتمر ثمرة حوارات بين يونيه وأكتوبر ١٩٩٦. بدأت أولا بحوارات ومحاضرات واجتماعات حزبية، كانت ثمرتها (١٢٣٢) نصا تقدم به أفراد حزبيون بالاضافة إلى (٢١٥٠) محضرا لاجتماعات حزبية.

وفى أكتوبر اجتمعت اللجنة الوطنية للحزب فجمعت حصيلة كل هذه النصوص ومحاضر الاجتماعات وصاغت منها وثيقة موحدة، تبرز الاقتراحات والاتجاهات المختلفة لتكون موضع مناقشة وتعديل وإغناء وتصويت فى الخلايا والمؤتمرات القاعدية والقومية تمهيداً لتقديمها بعد ذلك إلى المؤتمر العام.

وخلال جلسات المؤتمر تمت خمسمائة وخمسة وسبعون مساهمة، وتم ادخال خمسة آلاف تعديل ثم تم أخيرا التصويت على التقرير بعد ادخال التعديلات والاضافات المختلفة إليه. فوافق عليه ألف وتسعون عضوا مقابل ثلاثة وأربعين معارضا وأحد عشر ممتنعا. ولقد كان ٣٧٪ من أعضاء المؤتمر من النساء.

ويؤكد التقرير فى صورته النهائية التى تبناها المؤتمر: «إننا لا نعيش فقط فى نهاية قرن، بل فى مرحلة تغير حقيقى لعصر، فى مختلف المجالات. والمؤتمر هو فى الحقيقة محاولة لأن يصبح الحزب معبرا عن هذا الجديد فى العصر الجديد، ومشاركا فيه بمعرفة وفاعلية ذات اتساع وعمق جماهيرى. ولهذا كان **الشعار العام للمؤتمر هو التغيير**.« إن التغيير-كما يقول التقرير- هو ما يدفعنا إلى تحريك فكرنا ومشروعنا السياسى، وسلوكنا وأنشطتنا إلى مستوى التحديات الجديدة والتأثيرات التى تستحدثها». **هناك تقدم باهر- كما يقول التقرير- فى العالم فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، ولكن لا يصاحبها تقدم فى الحضارة.**

بل يتراكب هذا التقدم الباهر مع طوفان من القسوة والعنف والظلم الذى يجتاح العالم. ونستطيع فى الواقع أن نتبين جذور هذه الدعوة إلى التغيير فى هذا المؤتمر، فى **المؤتمر الثامن والعشرين** السابق الذى انعقد عام ١٩٩٤. ففى هذا المؤتمر السابق أكدت قراراته على جعل الأولوية للارتفاع بمستوى المشاركة السياسية والمجتمعية **لكل فرد**، والارتفاع بمستوى المشاركة الديمقراطية عامة، سواء كانت سياسية أو مجتمعية.

ولهذا نرى في هذا المؤتمر التاسع والعشرين تعميقا لهذا الاتجاه إلى المشاركة الفردية- والديمقراطية.

الطبقة العاملة والصراع الطبقي

ولهذا تثار بعمق وجسارة قضية **المهمة التاريخية للطبقة العاملة**. فالرؤية التقليدية السائدة هي أن مهمة الطبقة العاملة التاريخية هي تحريرها لذاتها، وتمكنها من قيادة المجتمع، وأنه بتحررها يتحرر المجتمع كله: ولهذا تمارس الطبقة العاملة تحقيقا لهذه المهمة التاريخية.. ممارسة السلطة عن طريق حزبها الشيوعي وحلفائه المحيطين به. ولكن **هذا التفكير** -كما يقول التقرير- **يصطدم من نواحي عديدة بالمفهوم الفرنسي الأصيل للمواطن وللسياسة ،وللجمهورية** ،هذه المفاهيم التي ورثت عن ثورة ١٧٨٩. فالمفهوم **السابق لدور الطبقة العاملة قد أفرز نزعة تسلطية أو دولتية -لو صح التعبير-لم تساعد على تحرير الفرد أو إلغاء التغريب سواء بالنسبة لوسائل الانتاج وقوى الانتاج- أو بالنسبة للمعارف ومستويات السلطة المختلفة**. بل ضاعفت من هذا التغريب. ولقد أدى هذا المفهوم إلى تزييف الأمل الذي صاحب ثورة ١٧ السوفيتية وخاصة في المرحلة الستالينية.

وهنا يثير التقرير في مدخله هذا السؤال : **ما هو الموقف من الصراع الطبقي اليوم؟**.

ان الاستغلال الذي تسببه مشروعات الرأسمالية الحاكمة الفرنسية والأوروبية أصبح في الواقع يصيب الأمة كلها، يصيبها في سيادتها ،وفي هويتها، وفي قيمها.

وهكذا أخذ صراع الطبقات أبعاداً وحدوداً جديدة. ان قدرة الطبقة الرأسمالية على احداث الضرر لم تعد تتوقف على الاضرار بالطبقة العاملة، وحدها، بل امتدت إلى الأمة كلها. وهذا ما يدفع الحزب إلى أن يتبنى في حركته رؤية شعبية عريضة سواء من حيث تعددها وتنوعها الاجتماعي أو من حيث أهدافها النضالية التي تدور أساسا حول **العدالة والحرية والتضامن والسلام والتسيير الذاتي والديمقراطية والترابط والتعاون والفاعلية الجماعية واحترام الذات الفردية والمواطنة**.وبناء علاقة جديدة بين الانسان والطبيعة. وهذا -كما يقول مدخل التقرير- ما يتفق مع **التطورات التكنولوجية والمعلوماتية والاتصالية والتعقيدات الاجتماعية الراهنة**. إن الهدف هو اذن المساهمة في تقديم اجابات تتوافق مع الوقائع الجديدة، بما يتلاءم مع التحولات العميقة في المجتمع والنظام الدولي الجديد وضرورة تجاوز الرأسمالية.

l'Humanité

LA POLITIQUE
DU PARTI COMMUNISTE
FRANÇAIS

Document adopté par le 29e Congrès
Arche de la Défense
18-22 décembre 1996

غلاف التقرير السياسي للمؤتمر

ويؤكد مدخل التقرير وصلبه بعد ذلك أنالهدف **ليس الغاء الرأسمالية ، بل تجاوزها**. أي أن التغيير لا يتم دفعة واحدةوفجأة ،وإنما بالتحولات المجتمعية العميقة التي تشارك فيها القوى الاجتماعية والفردية مشاركة ديمقراطية فاعلة، من أجل بناء نظام عالمي جديد.

ويقول مدخل التقرير: ان هذا الاختيار الديمقراطي ليس اختيارا للسهولة وإنما هو «اختيار تمليه ضرورات الواقع، ثم هو اختيار للدعوة إلى بذل الجهد، وإلى المبادرة وإلى **ابداعية المواطنين والشعوب ونحن أنفسنا** » أي للحزب وأعضائه. إنها دعوة -كما يقول المدخل -إلى بذل الجهد لمكافحة العسف والاحتكار في مجالي العمل والمجتمع عامة. **ومكافحة الأضرار التي تصيب المواطنة والسيادة القومية، وهي مكافحة للأصولية وللقومية المتزمتة والعنصرية ومعاداة السامية** ،وعدم التسامح واشكال السيطرة المفروضة على النساء، والتمييز فيما يتعلق بالشباب ،واستغلال الأطفال ،والعنف وفقدان الأمن، والمخدرات والمافيا، إنه بذل الجهد ضد الاتجاهات التسلطية وفتح آفاق التغيير الحقيقي والبديل التقدمي الذي يسعى الحزب الشيوعي الفرنسي إلى تحقيقه.

نمو اقتصادي .. وأزمة اجتماعية عميقة

هذه هي بعض العناصر الاساسية في مدخل التقرير.

أما التقرير نفسه فينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول بعنوان «**تحديات عصرنا**» ،والثاني بعنوان «**مشروع الحزب الشيوعي**» والثالث يتعلق بالحزب نفسه.

أما القسم الخاص بتحديات عصرنا، فيعرض للتحديات المطروحة على المجتمع الفرنسي وعلى أوروبا وعلى الانسانية كلها. ويشخص مشكلات في غاية الخطورة.

ففي فرنسا تزداد اليوم الفجوة اتساعا شاسعا بين الحاجات والضرورات والامكانيات،وبين منطق اختيارات هذه الامكانيات. على أن هذا التناقض يصيب كل المجالات ،كالعمل والوظائف والقوى الشرائية والصحة والتعليم والتأهيل المهني والثقافة والمسائل السكنية والمدنية والزراعية والبيئية .**فالبطالة تصيب ربع السكان فضلا عن الافقار والتهميش والعزل والعزلة واللامساواة الاجتماعية وحرمان عدد كبير من السكان من حق العمل والصحة**،إلى جانب خفض ميزانية التضامن الاجتماعي **وازدياد عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر** . وخلال خمسة عشر عاما هبط ايقاع النمو إلى النصف إلى غير ذلك.

أما في العالم ، فبرغم أن امكانيات التقدم الحضاري إمكانيات مذهلة، فان العائد بالنسبة للفرد في بعض البلاد أقل مما كانت عليه منذ خمسة عشر عاما .وهناك **نمو اقتصادي مذهل في بعض مناطق العالم كآسيا مثلا ولكن يتولد معه اختلالات اجتماعية عميقة**. أما افريقيا فقارة منكوبة ،والافقار هو الظاهرة العامة لدى عدد من بلدان أمريكا اللاتينية وبلدان جنوب البحر المتوسط وأوروبا المتوسطة والشرقية. ويتم استقطاب للثروة يتمثل في أن **ثلاثمائة وثمانية وخمسين فرداً**

المؤتمر التاسع والعشرون للحزب الشيوعي الفرنسي

مليار دولار -بحسب احصاءات هيئة **الأمم المتحدة -دخلهم يساوي ٤٥٪ من دخل البشرية جمعاء-وحيثما تتمكن المؤسسات** المالية الدولية من النجاح في فرض مشروعاتها في التكيف الهيكلي، فان ما يصرف على التعليم والصحة يتناقص، وينتشر وباء السيدا (الايدز) . واذا كانت أبحاث التنمية هي شرط المستقبل، ففي البلاد التي تضم ٨٠٪ من شعوب العالم لا تمثل هذه الأبحاث الا ٤٪ مما يصرفه العالم أجمع على هذه الأبحاث .وهناك خطر يهدد العالم بفقدان التوازن البيئي . وبحسب احصائية (الفاو) فان هناك **٨٠٠ مليون انسان ، همهم اليومي هو البحث عن الغذاء. وهناك مليار فرد يحتاج إلى عمل، وملايين الأطفال يعانون من استغلال بشع، فضلا عن فقدان العدالة والكرامة والديمقراطية والسيادة.**

في مواجهة هذا، تزداد سيطرة الامبريالية، والمشروعات المتعددة والمتعدية الجنسية فضلا عن هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مقدرات العالم، وفقدان الأمن في مناطق عديدة من العالم مثل الشرق الأوسط ويوغوسلافيا السابقة إلى غير ذلك ولقد أصبحت آمال السلام هشة. ورغم توقيع اتفاقية نزع السلاح النووي، ووقف التجارب النووية، فان عشرات الالاف من الاسلحة النووية ما تزال موجودة، بل تتحسن بالتجارب العملية. هذا إلى جانب سيادة العنصرية والنزعات القومية الشوفينية والاصولية.

ويتساءل التقرير عن اسباب هذه المشكلات : قد يقال كثيراً إن المسئول عن هذا هو ما نسبه **بالعولمة أو الكونية** . ويرد التقرير على ذلك بأن هذه العولمة تكشف عن ضرورات موضوعية لعصرنا يمكنها-عن طريق التكنولوجيا المعلوماتية -أن تحقق تقدما عظيما للحضارة .**ولكن لسيطرة القوى الرأسمالية الكبرى عليها لمضاعفة عوائدها ، أصبحت هذه العولمة مصدرا لمشاكل وتراجعات.** ولهذا يحتاج الأمر إلى علاقات عالمية -لتنمية مشتركة (نلاحظ هنا استخدام مصطلح التنمية المشتركة- Co development وليس الاعتماد المتبادل الذى كان يستخدم في الماضي في الأدبيات الاقتصادية العالمية».

ويقف تقرير الحزب الشيوعي الفرنسي موقفا حادا ضد اتفاقية **ماستريشت** . إنه ليس ضد الوحدة الأوروبية ، ولكن ضد ما تعنيه هذه الاتفاقية من **سيطرة للاحتكارات الأوروبية أو ما يسميه التقرير الليبرالية واتجاهها لخصخصة المشروعات العامة والمؤممة**،وتهديد كل تنمية للخدمات العامة التي يستمتع بها الشعب الفرنسي ، فضلا عن سيطرة المؤسسات الأوروبية (فوق ليبرالية) التي تتعارض مع مشاركة المواطنين في التحديثات الأوروبية. إذ ليس لها من هم الا الربح والعوائد المالية. ولهذا تسعى هذه المؤسسات إلى فرض النقد الاوروبي الموحد وهو ما يعارضه الحزب.

ويناقش الحزب ما يقال عن مسئولية التكنولوجيا في زيادة البطالة ويبين أن الثورة التكنولوجية يمكن أن تتيح امكانيات جديدة للعمل وتطور جديد للعمل لاشباع الحاجات الانسانية ،ومضاعفة الوقت.

وهكذا أصبح الاستغلال والسيطرة الرأسمالية -فوق ليبرالية كما تسمى احيانا -عقبتين في وجه التطور الاجتماعي والانساني ،ومصدرين للفصل فيما بين الحداثة والتوجه الانساني.

في مواجهة هذا يعرض الحزب الشيوعي الفرنسي لصور مختلفة للمقاومة في مختلف القارات وخاصة الحركة النقابية والحركة-السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية ،والصراعات المستمرة في أمريكا اللاتينية وآسيا وجنوب افريقيا ،ونضال الشعب الفلسطيني في تفاعل -كما يقول التقرير-مع قوى السلام في اسرائيل ،ويعرض لقضية المهاجرين في فرنسا، ويدحض الرأى القائل بأن المهاجرين هم مصدر الصعوبات التي تواجهها البلاد. ويتساءل: هل اذا طرد المهاجرين هل ستحل كل مشاكل البطالة والضمان الاجتماعي والأمن. ويؤكد التقرير إن فرنسا استفادت خلال مرحلة تاريخية طويلة من جهود المهاجرين . ولهذا فان الصعوبات التي تواجهها البلاد ليس مصدرها المهاجرون وإنما النظام الرأسمالي المسيطر.

ويشير التقرير في نهاية قسمه الثاني هذا، أنه قد اجتمع خمسة عشر حزبا أوروبيا بينهم الحزب الشيوعي الفرنسي في ١١ مايو من العام الماضي ١٩٩٦ للتعاون والعمل المشترك من أجل مستقبل أوروبا وحق الشعوب الاوروبية في تقرير مصيرها. وهنا يرفع التقرير سؤال البدائل عن هذا الوضع العالمي المتردي. ويدعو في النهاية إلى أشكال جديدة من التضامن بين مختلف القوى المالية الوطنية والتقدمية من أجل **أممية جديدة** بدون نموذج مسبق، تنبع من النضالات القومية والأهداف المشتركة. ولهذا تدعو الحاجة إلى التنسيق فيما بين هذه القوى المختلفة.

تجاوز الرأسمالية .. وليس إلغاؤها

أما القسم الثاني من التقرير فهو «مشروع الحزب الشيوعي الفرنسي» ولقد أشرنا فيما سبق إلى بعض عناصره ولهذا فقد نكتفي بذكر المؤشرات العامة ذات الدلالة .ومما له دلالة أن يبدأ هذا القسم الثاني بالحديث عما يسميه «**الشيوعية الجديدة**» التي تهم كل النساء والرجال، على تنوعهم الشاسع ، الذين يضعون الرأسمالية ، المأزومة موضع السؤال ويتساءلون عن مدى واقعية مشروع التحرر الانساني.

ثم يعرض هذا القسم للمشروع الشيوعي للحزب، ويعرفه بأنه مشروع لترقية وتنمية واحترام قدرات كل منهم في إطار انسانية متعاونة مشاركة في الأعباء والعائدات والمعارف والمعلومات والسلطات المختلفة. وهو «نموذج جديد من العلاقات الانسانية يتكشف ذاته بين الأجيال ، بين الرجال والنساء ،بين الشعوب».

وان المثال الشيوعي يجد حيويته ونشاطه حيثما تكون الأفكار المهيمنة تعارض العدل ،والفاعلية وترقية الذات، والتضامن والحرية والأخوة. إنه الدافع نفسه الذي يطور ضرورة وامكانية قيام مجتمع وعالم بدون بطالة بدون سيطرة، بدون خطر، بدون ظلم، بدون عنف، بدون أسلحة».

ويعرض المشروع لمفهوم تجاوز الرأسمالية ،مؤكدا وموضحا «**أنه تجاوز الرأسمالية وليس ازالة والغاء لها ، ذلك أن الرأسمالية لا يتم الغاؤها الغاء مفاجئا بقرار. تجاوز الرأسمالية فيتضمن عملية من التحول الاجتماعي الذي يتحقق**

ايقاعه ومدته على نضال الشعب وليس على مراحل ذات مضامين محددة سلفا. **وهكذا نفى الحقائق المتناقضة للواقع الحالى، تنبثق مواد بناء المستقبل.** هذا هو الهدف الشيوعى والارادة السياسية التى تحرك قراراته ومساهماته فى الأنشطة المتعددة الأشكال لشعبنا »كما يقول التقرير .وهذا الهدف هو »استمرار -منعم بتصور غنى وحديث-لتاريخ الأمة الفرنسية هذا التاريخ الذى تولد باعلانه على العالم حقوق الانسان وحقوق المواطن، ومنفتحا على مختلف أشكال التعاون مع كل الشعوب الأخرى نعبرا عن أصالته وحريته.

ثم يأخذ التقرير بعد ذلك فى تحديد معالم سياسة الحزب فى المجالات السياسية والاقتصادية والتنمية الاقتصادية والبشرية، مخصصا فقرة كاملة تتعلق **بالدور المحرك الفاعل للقطاع العام الانتاجى والخدماتى** وفى العلاقة بينه وبين القطاع الخاص، فضلا عن الاصلاحات الديمقراطية والاجتماعية والزراعية والتأهيل المهنى إلى غير ذلك. كما يخصص فقرة لدور فرنسا الفعال من أجل تشكيل أوروبا مختلفة عما تتضمنه ماستريخت. ومن أجل عالم يسوده السلام والتعاون والتنمية المشتركة وعصر جديد من الديمقراطية ، فضلا عن **محاربة المخدرات والمافيا والعنف والارهاب وانعدام الأمن.**

ويتساءل التقرير : كيف التقدم فى هذا الطريق؟ وما هى الشروط السياسية التى ينبغى أن نعمل على ايجادها؟ .

ويؤكد ما سبق أن قرره المؤتمر الثامن والعشرون -وهى النقطة الرئيسية فى التقرير **»على العمل من أجل بناء سياسى يجمع فى أغلبية برلمانية -وحكومة ، كل قوى اليسار والتقدم من أجل أن يحققوا للشعب سياسة التغيير التى يختارها »** ويعنى هذا، رفض التطلب اليسارى الجذرى والحرص على التجمع المعبر عن أغلبية الشعب، أى **وحدة كل قوى اليسار، والقوى التقدمية وقوى العاملين فى مجال البيئة والقوى التى تحترم التعددية وترفض الهيمنة .**

على أن هذا التجمع العام لا يستطيع وحده أن يحقق التغيير المنشود بل يحتم ما يسميه المشروع» **بالمشاركة المواطنية »**، أو التدخل المواطنى ،وهى مشاركة وتدخل فعال يضيف قوة إلى الضرورات التى تحتم التغيير.»

هذا هو العمق القاعدى الاساسى الذى

أبعاد جديدة.. للصراع الطبقى تتطلب رؤية شعبية عريضة ومتنوعة

يؤكده مشروع الحزب لهذه الوحدة السياسية الجديدة. وقد يكون تأكيد الحزب فى مؤتمره السابق وهذا المؤتمر على طابع المواطنة فى الوحدة السياسية المقترحة بل تأكيده كذلك على دور الفرد فى برنامجه السياسى عامة،قد يكون هذا **ركنا من اركان تصديه لجناح أقصى اليمين المتمثل فى الجبهة الوطنية التى برأسها لوبين** والتى تلعب لعبة التعصب الوطنى المترمت الذى يفقد الوطنية عمقها الاجتماعى والديمقراطى الذى ولدته الثورة الفرنسية،والتى للأسف أخذ نفوذها يتصاعد بين بعض الفئات فى فرنسا. على أن هذا التوجه إلى المواطنة فى مشروع الحزب الشيوعى هو امتداد بغير شك لتوجهه الديمقراطى والشعبى العام فضلا عن تفاقم الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والصناعية والقيمية التى أخذت تمس أغلب فئات المجتمع الفرنسى.

وفى هذا القسم الثانى من التقرير تفاصيل الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى يناضل الحزب من أجل تحقيقها فى إطار الأهداف العامة التى أشرت إليها من قبل.

مفهوم جديد للحزب

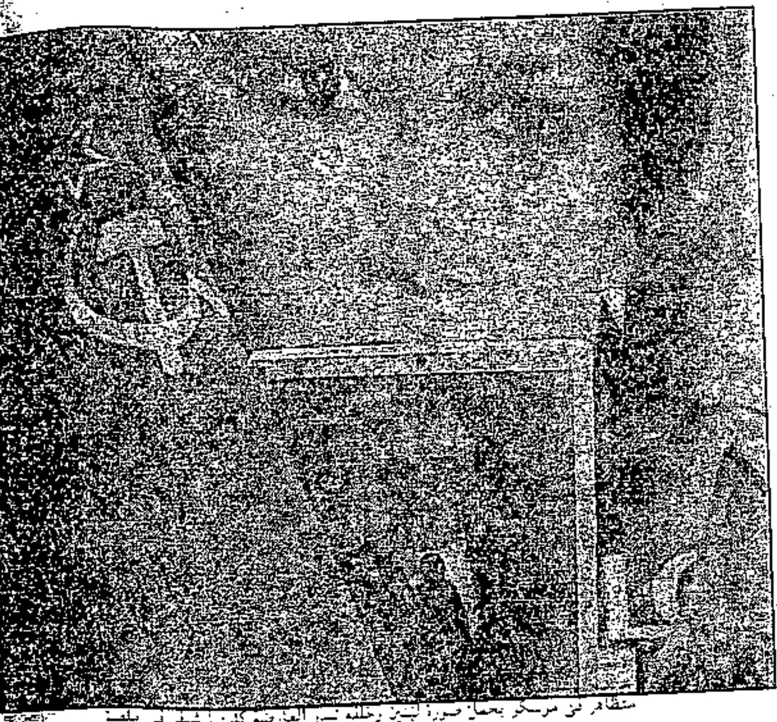
أما القسم الثالث والأخير من التقرير فخاص بالحزب نفسه، ففى مدخل هذا القسم تحديد لهوية الحزب وهو تحديد له دلالته: **»الحزب الشيوعى هو الترابط الارادى لكل من يريد من النساء والرجال المشاركة فى الحياة الاجتماعية والسياسية للدفاع عن ذاته ومن أجل رفض الظلم** والمساهمة **فى تحقيق تحول فى المجتمع يكون الكائن الانسانى فيه هو الغاية والهدف**، ومن أجل ممارسة نشاط فى خدمة التضامن والسلام ،ويرغب فى أن يعطى لارادته هذه بعداً قوميا، والحزب الشيوعى يعمل فى منظور شيوعية تحريرية للانسانية .وهو يسهم فى التصويت العام ،وفى المشاركة فى المؤسسات حتى مستوى قيادة شئون البلاد.. ويتغذى الحزب من فكر الانسانية وممارساتها التى انتجها التقدميون والتقاليد الثورية للشعب الفرنسى. إنه مفتوح امام كل النساء والرجال ،وكل من يتطلعون إلى العمل من أجل روابط وعلاقات اجتماعية جديدة بالكائن الانسانى. **وعضوية الحزب لا تتضمن انكاراً أو رفضا لمعتقداته الفلسفية أو الدينية ، نفى الحزب الشيوعى حرية** كاملة للفكر والتعبير».

وليس هنا مجال للحديث عن الأنشطة الحزبية المختلفة فى مستوياتها والمجالات المختلفة فضلا لمستويات الحزبية نفسها التى أفاض فيها هذا القسم الثالث. على أن كلمة السر السائدة فى كل هذه المستويات على اختلافها، هى **كلمة الديمقراطية والتنوع واحترام الاختلاف والانصات إلى التطلعات المتعددة للشعب، والتفتح على المعارف واتخاذ المبادرات وتأكيد الدفاع عن الفرد وحريته هذا الفرد** الذى لا ينبغى إغراقه فى الجماعة، فضلا عن تجاوز المركزية الديمقراطية لا فى الحزب فحسب بل فى المجتمع كله **فالمركزية الديمقراطية تمثل القطيعة والانفصال بين الذين يقررون والذين ينفذون.**

هذه صورة عامة مجزأة لأبرز الاتجاهات الأساسية التى سادت وانتهى إليها المؤتمر، والتى يعدها المؤتمر نقلة ثورية تتواكب مع الضرورات التى تفرضها الأوضاع الفرنسية والأوروبية ، وتؤهل الحزب للتصدى لها تصديا ديمقراطيا إبداعيا فعالا.

وهناك بغير شك نقاط فى هذا التقرير الصادر عن المؤتمر ،تدعو إلى التساؤل على أن الذى لا شك فيه كذلك أن الحزب الشيوعى هو حزب عريق فى نضاله السياسى والفكرى، ويعيش ملابسات سياسية واجتماعية خاصة ، محليا وأوروبيا وعالميا. ولهذا لا نملك أساسا إلا أن نحييه ونهنئه على نجاح مؤتمره التاسع والعشرين ونرجو أن يكون تقريره موضع حوار ودراسة لمفكرينا ومثقفينا عامة والمناضلين اليساريين بوجه خاص.

رؤية شيوعية لمستقبل روسيا من ديكتاتورية البروليتاريا إلى تعدد الاحزاب



متظاهر في موسكو يحمل صورة لينين وخلفه [illegible] في ملصق اعلاني

جينادي زوجانوف يطرح أفكاره للمناقشة العامة

رسالة موسكو

أبو بكر يوسف

لعله لم يدر بخلد بوريس **يلتسين** وهو يصدر مرسومه بحل الحزب الشيوعي السوفيتي ومصادرة أمواله وممتلكاته بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في أغسطس ١٩٩١ أنه لن تمر خمس سنوات حتى يجد أن منافسه الأول على كرسي الرئاسة في انتخابات ١٩٩٦ هو **جينادي زوجانوف**، رئيس الحزب الشيوعي الروسي، الوريث الشرعي للحزب الشيوعي السوفيتي المحلول. ورغم إعلان الرئيس **يلتسين** أمام الكونجرس الأمريكي أن «الأفعوان الشيوعي المتعدد الرؤوس» قد قضي عليه في روسيا تماما ولن تقوم له قائمة بعد الآن، **فقد صوت رأس هذا الأفعوان في انتخابات يونيو/يوليو الرئاسية حوالي ٣٠ مليون شخص بنسبة تزيد عن ٤٠٪ من مجموع الناخبين الذين أدلو بأصواتهم** في الجولة الثانية.

وبعد الضربة التي تلقاها الحزب الشيوعي وحلفاؤه في أحداث أكتوبر ١٩٩٣ أسفرت الانتخابات البرلمانية لمجلس الدوما في **ديسمبر ١٩٩٣** عن فوز هذا الحزب وحليفه الحزب الزراعي بنسبة **٢٠٪** من أصوات الناخبين، متخطيا بذلك حزب زعيم الاصلاحيين **جايدار** «خيار روسيا» الذي أهلته التوقعات آنذاك للفوز بأغلبية ساحقة. أما انتخابات مجلس الدوما الثانية في **ديسمبر ١٩٩٥** فقد أسفرت عن فوز الحزب الشيوعي بالمركز الأول، وأصبحت له أكبر كتلة برلمانية في هذا المجلس (**١٥٨ نائبا من أصل ٤٥٠**).

ولعله من الجدير بالذكر أن الحزب الشيوعي الروسي هو الحزب الوحيد من الاحزاب الشيوعية والعمالية في المجال السوفيتي السابق (دول أوروبا الشرقية وجمهوريات البلطيق) الذي لم يغير اسمه، **ولم يتخل عن كلمة «الشيوعية»** في هذا الاسم، في حين غيرت كثير من تلك الاحزاب اسماءها الشيوعية إلى أخرى أكثر جاذبية وتعبيراً عن الواقع السياسي الجديد.

ولكن.. هل كان إصرار الشيوعيين الروس على التمسك بالاسم التاريخي لحزبهم هو الذي أكسبهم أصوات الناخبين الشاعرين بالحنين إلى أيام المجد الغابر والدولة العملاقة العظمى، أم على العكس، مرونتهم التي جسدها زعيم الحزب **زوجانوف** في حركته وتحالفاته وتكتيكاته التي أتت بهذه الثمار. الاجابة عن هذا السؤال تعني الاجابة عن السؤال الأسبق: ما الذي بقي وما الذي تغير في استراتيجية الحزب وتكتيكه؟ واذا كان هناك تغير استراتيجي، فهل عكس ذلك استجابة لضرورة العصر أم.. جاء تحت ضغوط مرحلية وبتأثير عوامل ذاتية وموضوعية مؤقتة الطابع؟.

لقد كان ديالكتيك الاستراتيجية والتكتيك معضلة المعضلات للحركة الشيوعية على المستويات المحلية والعالمية، وطالما وقعت الانشقاقات والانقسامات في صفوف الاحزاب الشيوعية وفي الحركة الشيوعية والعمالية العالمية بسبب هذه الخلافات.

ولكن الواقع الجديد الذي تشكل في نهاية ثمانينات وبداية تسعينات هذا القرن بزوال الاتحاد السوفيتي -زعيم المعسكر الاشتراكي وحصن الماركسية -اللينينية»، وفشل التجربة الاشتراكية السوفيتية (سواء بعوامل التآكل الداخلية أم بمؤثرات خارجية) قد أعاد، وبحدة، طرح كثير من الاسئلة السابقة عن صحة المنطلقات الفكرية والتحليلات النظرية للفكر الماركسي- اللينيني في تناوله للقضايا الرئيسية للعصر، **وهل هو بالفعل -ما كان الفكر الماركسي السوفيتي يؤكد- عصر الانتقال من**

الرأسمالية إلى الاشتراكية ؟ وما هي القوى المحركة لهذه العملية الانتقالية وما هو ترتيبها : الحركة الشيوعية فالحركة العمالية فحركة التحرر الوطني (الطرح السوفيتي) أم حركة التحرر الوطني أولاً (الطرح الصيني) ،وهل هي الشيوعية التي تقودها ديكتاتورية الطبقة العاملة وأحزابها أم هي «الشيوعية الأوروبية» التي ترفض ديكتاتورية الطبقة وتعتمد البرلمان طريقاً إلى الاشتراكية ،منطلقة من التسليم بقيم الديمقراطية الغربية لا من رفضها؟..

لقد أذهل السقوط المروع السريع للدولة السوفيتية وحزبها وايديولوجيتها عقول المفكرين والمواطنين العاديين على حد سواء، وتبارى الطرفان في العجز عن فهم ما حدث واستيعابه، حتى أصبحت تحليلات هؤلاء «المفكرين» أشبه بالاعلان عن افلاسهم النظرى وسقوطهم هم أيضاً. وتجلى «بؤس الفلاسفة» في التنكر لكل ما كانوا يرددونه منذ أعوام قلائل ،وكان أسطع مثال على ذلك ما كتبه «المفكر النظرى» السابق للحزب الشيوعي السوفيتي وعضو مكتبه السياسي الكسندر ياكفليف(مهندس البيروسترويكا) الذى أعلن أنه «**كان مخدوعاً» بالشيوعية،وكان يتشكك في صحة الكثير من أفكارها . ولكنه لم يكتشف ذلك الا في عهد جورباتشوف ،وقد تجاوز الستين من عمره!.**

وقدم الواقع السياسي ثلاث إجابات مختلفة على هذا الانهيار الفكرى والمؤسساتي الهائل ، تمسك قطاع من الشيوعيين السوفيت بالقديم كله فكانوا في قبضهم على ايمانهم به كالممسك بالجمرة. وهؤلاء انخرطوا في الاحزاب الشيوعية الروسية العديدة التي تعج بها الساحة السياسية الروسية حالياً ،والتي لا تقدم أي تحليل نظرى يذكر للواقع ومعضلاته وتكتفي بالشعارات القاطعة القديمة وفي مقدمتها «**يا عمال العالم اتحدوا**» ! ولجأ فريق آخر إلى قارب «الديمقراطية والديمقراطيين» ثم حاولوا شق مجرى للاشتراكية الديمقراطية على النمط الأوروبي، ولكن الواقع الروسي الخشن ركلهم بعيداً عن مجراه الرئيسي بلا كلفة وغير عابئ بالتخريجات المهذبة والخجولة التي قدموها للمعضلات الطاحنة التي كانت تسحق عظام الملايين من مواطني روسيا الجديدة الذين لم تمنحهم الطبيعة عنف الطبع ليستولوا بالقوة على الثروات في عملية النهب الكبرى كما لم تمنحهم دهاء المحتالين ليسلبوا قطعة من الكعكة الكبيرة التي انهالت عليها السكاكين. ولجأ القسم الثالث من الشيوعيين إلى سفينة «الحزب الشيوعي الروسي»، على ربانها الجديد، **جينادى زوجانوف** ، يقود دفتها إلى شاطئ الأمان في محيط الاصلاحات المتلاطم.

واذا كان **زوجانوف** قد نجح في قيادة السفينة حتى الآن ،وتمكن من تجميع «الحلفاء الصغار» حوله وتشكيل «**تحالف القوى الشعبية والوطنية**» وحافظ على هياكل الحزب المنتشرة في شتى انحاء روسيا والتي **تضم لعضويتها أكثر من نصف مليون شخص** متفرقة على كافة الاحزاب والتنظيمات الاخرى في روسيا بما فيها التنظيمات السلطوية.. فيل يعني ذلك أنه نجح أيضا في حل المشاكل النظرية، القديمة منها والجديدة لقد أخذ الكثيرون على قيادة الحزب الشيوعي في الانتخابات الرئاسية الماضية عجزها عن **تقديم بديل نظرى وعملى للنموذج الاصلاحي الذى تطرحه القوى البرجوازية في روسيا** (رغم دمامة وفجاجة هذا النموذج) ،ومن ناحية أخرى اتهمه انصار المناخ الشيوعي الراديكالي **بالانزلاق إلى مستنقع الانتهازية والارتداد عن اصول الماركسية اللينينية والتهاون والتعاون مع «نظام يلتسين الخائن والمعادى للشعب».**

ان الرد على هذه الاتهامات ،ومحاولة تقديم اجابات عن الاسئلة القديمة والجديدة ،ورسم صورة نظرية وعملية لمستقبل روسيا ومواجهة التحديات الصعبة للواقع الروسي المعاصر هو ما نجده في كتاب **جينادى زوجانوف** الجديد، الذى أثار ردود أفعال واسعة في أوساط المهتمين بهذه القضايا ،واطلق عليه مؤلفه اسم «**روسيا وطنى. ايديولوجيا الوطنية الرسمية**» (وطنية الدولة) ،وهو الكتاب الذى صدر في أواخر العام الماضي ١٩٩٦.

أول ما يثير الانتباه في مقدمة الكتاب هو تلك الدعوة التي يوجهها **زوجانوف** إلى الشيوعيين من أعضاء حزبه بالعمل على تجديد شباب الحزب الفكرى، ويقترح لذلك «**توليفة من الفكر الاشتراكي والفكر الوطني**» ولكنه بعد أسطر قليلة(ص١٤) يطرح مهمة أن يصبح الحزب «بالنسبة للغالبية الساحقة من المجتمع الروسي قائدا فكريا ،يقوم نشاطه على أفضل أفكار ومنجزات **الحركة الشيوعية، والاشتراكية ،والاشتراكية الديمقراطية والتحررية-الشعبية**» (ص١٥) ،ولكنه لا يشير هنا إلى هذه «الخرافات والطوباويات» وهل المقصود بها التراث الفكرى السوفيتي فقط أم أن ذلك يطال أيضا الأسس الفكرية الماركسية-اللينينية عامة؟.

غير أن زوجانوف يعترف بأن الفهم المتكامل للتحولات الجارية في المجتمع الروسي المعاصر لم يتشكل بعد، وأن «فلسفة السياسة المعاصرة» ما زالت في طور التكوين، إلا أن الأسس الفكرية لها تقوم على:

-التأكيد على التعددية في المجال الاجتماعي -الفلسفي.

-الاعتراف بالمساواة بين مختلف التعاليم والمبادئ الفكرية -السياسية بالطبع اذا لم تكن ذات توجهات معادية للانسان..

-أولوية وأسبقية التسامح على المجابهة عند المقارنة بين وجهات النظر المختلفة ،حتى المتضادة منها.

- الانفتاح والاستعداد لتقبل آفاق التطور الاجتماعي القيمة والتجديدات الفلسفية -السياسية، المحدثة منها والدينية.

ويسلم **زوجانوف** بأن هذه العناصر هي التي تشبع احتياجات روسيا واحتياجات الحضارة الانسانية الجديدة، لأنها تحدد طريق البحث عن حل للمسألة الاستراتيجية الرئيسية : التوصل إلى وجهة نظر بناءة وإلى الشفاء الروحي للأمة(ص٤٣).

وهكذا نلحظ على الفور سقوط منطلقين من المنطلقات القديمة للفكر الشيوعي (السوفيتي على الأقل): **منطلق الصراع الطبقي**(الذى يحل محله التسامح والانفتاح الفكرى) **ومنطلق معاداة الفكر الديني.**

ويحدد**زوجانوف** الهدف من كتابه بأنه «تقديم تحليل فلسفي -سياسي متكامل للاتجاهات الموضوعية وآليات التحولات الاجتماعية -السياسية في روسيا في العقد الأخير، وثانيا: طرح مبدأ (دوكترين) قومي-دولي (دولي هنا مشتقة من كلمة «دولة»، أي للدولة) قائم على دراسة المصالح الطويلة الأمد واتجاهات تطور الدولة والوطن وطبيعة وروح الشعب وخصائص بنائه الدولي والاقتصادى والثقافي،وهذا المبدأ ينبغي أن يكون قادراً على الجمع في وحدة واحدة بين الماضي والحاضر والمستقبل(ص٥٠).

ورغم أهمية القضايا التي يطرحها المؤلف في تحليله لتاريخ روسيا وحاضرها فسنكتفي في حدود هذا المقال بالقضايا الأكثر أهميةبالنسبة لنا، والخاصة «**بالمواقف الجديدة» في المجال النظرى والايديولوجي**، والرؤية التي يطرحها زوجانوف لمستقبل روسيا بناء على هذه المواقف.

يسلم **زوجانوف** بصحة التحليل الماركسي-اللينيني للأوضاع الجيوسياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وهو التحليل القائم على مفهوم «**التناحر الطبقي**».

ولكنه يسلم من جهة أخرى بأن وقائع القرن العشرين، فضلا عن القرن الموشك على المجئ، «هي اعقد وأكثر تنوعا وأكثر بدائل من تلك التي تعامل معها ماركس ولينين»(ص٥٢).

ويتوصل **زوجانوف** من تحليل للأوضاع في روسيا والمجال السابق للاتحاد السوفيتي إلى عدة نتائج في غاية الأهمية بالنسبة للمفاهيم القديمة فيقول

-أولا : ان التناقض الرئيسي اليوم ليس هو التناقض بين الطبقات والشرائح الاجتماعية الاساسية بل هو التناحر **بين الأنظمة الحاكمة المرتكزة على شريحة ضيقة من البيروقراطية الكومبرادورية أو القرمية وبقية السكان.**

وثانيا:ان الماضي لا يبدأ بثورة أكتوبر كما كان يقال، وان كل ما قبل ثورة أكتوبر كان قليل الأهمية. ولكن الهزات والمحن التي تعرض لها المجتمع السوفيتي بعد ثورة أكتوبر جعلت المزاج العام للمواطنين السوفيت كارها للهزات والقلاقل الكبيرة والصغيرة والتحولات الثورية وراغبا في الحياة الطبيعية المستقرة،ومن ثم فهو بحاجة إلى مبدأ فكرى قادر على التعبير عن القناعات العامة والميول السائدة في المجتمع(ص٥٥).

وثالثا: فقدت روسيا في نضالها من أجل تحرير البشرية من الظلم الاجتماعي والقومي في

القرن العشرين زهاء ١٠٠ مليون شخص، ومن ثم لم يعد أمامنا الآن سوى التركيز على حل قضايانا الداخلية الملحة المرتبطة بتنمية الاقتصاد والثقافة ورفع مستوى معيشة السكان(ص٥٩).

وفي هذا الصدد يشير زوجانوف إلى أن لينين-في مقالاته ورسائله الأخيرة- **دعا إلى اعادة النظر في الاشتراكية والتخلي عن النزعة الراديكالية الثورية المزيفة وإلى الاهتمام «بالتحضر» من أجل تقدم روسيا وازدهارها**(ص٥٩).

يشير زوجانوف في كتابه إلى «انتهاء العصر الذي دشنته ثورة أكتوبر العظمى في روسيا. وكان انهيار الاتحاد السوفيتي وتصفية النظام الفريد للدولة السوفيتية القائمة على سلطة مجالس السوفيت بداية للتحولات التي شهدتها روسيا ويشهدها العالم الآن. وبالاضافة إلي المشاكل القديمة ظهرت مشاكل جديدة، وهي مشاكل حضارية في الاساس ،مثل أزمة الطاقة والخامات ،والتلوث البيئي وتدمير طبقة الأوزون ،والاشعاع والمجالات الكهرومغناطيسية المؤثرة على الانسان، وظهور وانتشار اوبئة جديدة ،والاتجاهات الخطيرة نحو نمو النزاعات المحلية والقومية ،وازدياد الانحلال الخلقي وانتشار الترويج للعنف وعبادة القوة.. الخ (ص٦٢).

ويخلص من ذلك إلى أن قضية اختيار«فلسفة البقاء» لم تعد قاصرة على روسيا والجمهوريات السوفيتية السابقة، بل أصبحت قضية كونية تواجه البشرية جمعاء (ص٦٢).

ولكن زوجانوف يرفض الخيار الرأسمالي «تحويل المجتمع الغربي الاستهلاكي إلى نموذج عالمي للتطور». ان الرأسمالية لم تتخل عن طبيعتها الاستغلالية ولم يحل التناقض بين العمل ورأس المال(ص١٥٩).

ويقول زوجانوف إن الشيوعيين ينظرون إلى هذه القضية نظرة أوسع فهم يعتبرون أن الصيغة الرأسمالية للتقدم قد بلغت الحد الأقصى لامكانياتها ،وذلك ليس راجعاً فقط إلى ان اخضاع التطور الاجتماعي كله لمهمة التوسع الرأسمالي الذاتي أصبح متناقضا مع مهمة استمرار الحياة على وجه الأرض، وانما لأن مجمل العلاقات الاجتماعية والقيم والاولويات المصاحب لذلك يتعارض مع شخصية الانسان ويعرقل تحقيق العدالة الاجتماعية (ص١٦٠).

ومن ناحية أخرى يرى زوجانوف أن «تاريخ الاشتراكية الفعلية على الأرض قد بلغ نقطة فاصلة . **فقد انتهى عملياً عصر الثورات البروليتارية الأولى** . التي مثلت رد فعل مباشرا على عفونة الامبريالية الأولية ،وعلى الكارثة المادية والمعنوية للحروب العالمية التي وضعت البشرية على حد الفناء أو البقاء. فقد أدت هذه الثورات مهمتها التاريخية على وجهين:

فقد أفضت من جهة إلى كسر طوق الامبريالية العالمية وتشكيل الدول الاشتراكية الأولى، ومن جهة أخرى قادت إلى الاصلاح العالمي في الدول الرأسمالية المتطورة وتثبيت مجموعة كاملة من حقوق العاملين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،وعجلت بانتقال الرأسمالية إلى مرحلة «المجتمع الاستهلاكي » (١٦٢).

ونجد عبارة ذات دلالة في هذا السياق لدى **زوجانوف** عندما يقول: «**ان الثورة الاشتراكية في روسيا كانت «خطوة اضطرارية»** قام بها الشعب بالرغم من عدم نضج الكثير من «مقدمات الاشتراكية» ، لأنها كانت الفرصة الوحيدة للبقاء القومي والدولي(أي بقاء الدولة) في ظل الانهيار الاقتصادي والتفكك الاقليمي والعجز الاجتماعي للتحالف البرجوازي- الاقطاعي الحاكم. ويشير زوجانوف إلى الاثار التي تركتها هذه «**الاضطرارية**» ،على وجه التجربة الاشتراكية السوفيتية التي قامت على التضحيات البالغة. ،كما أن **الخطر الخارجي** (الفاشية) «أدى إلى البناء بعجلة تسريع جبارة تشبه طريقة التراكم الرأسمالي الأول المميز للتصنيع الرأسمالي. وقد تم التصنيع الاشتراكي في روسيا على حساب الفلاحين وباستخدام أعمال السخرة على نطاق واسع والعمل المجاني في ظل الضبط والربط العسكري والدعوة إلى التقشف الثوري »(١٣٦). ويعتبر زوجانوف ان انتصار الشعب السوفيتي على الفاشية ونجاح التعمير في مرحلة ما بعد الحرب أظهر الضرورة التاريخية المبررة لهذا الطريق غير العادي. ولكن اضطرارية هذه الخطوة أدت إلى التخطيط المركزي المتزمت وتحكم الدولة في كل شئ ،وهو ما حذر منه مؤسسو الماركسية- اللينينية. وأصبح ذلك ،في مصاف المسلمات المطلقة مما أدى إلى تقييد طاقات الجماهير ومبادراتها وحرية تنظيمها الذاتي (١٦٣) وأفضى ذلك مستقبلا إلى تبسيط فظ للفكرة الاشتراكية ، ثم إلى فقدان الاشتراكية للمبادرة التاريخية (١٦٥) .ومع ذلك **فالآفاق الاشتراكية والشيوعية لا يمكن أن تضيع وتتبدد ،فهي تنبع من التناقضات الفعلية للتطور الكوني التي أصبح حلها اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية وأيقولوجية ملحة(١٦٥).**

ان زوجانوف لا يطرح فكرة أو مهمة « بناء الاشتراكية في روسيا » وانما يطرح فكرة أخرى وهي «**التنمية المستقرة**» وهو موقن من ان الرأسمالية لا تتفق وطبيعة الشخصية الروسية الأصيلة ولا مع العقلية الروسية. فالحضارة الغربية البرجوازية لا تتفق مع الحضارة الروسية القائمة على التقاليد الجماعية والتمسك بالكنيسة والدولة المركزية. ان النفسية الروسية لا تقبل بـ« جنة الشبع» اذا كانت بدون مثل عليا ومقدسات، فذلك يعني الموت الروحي . وهنا جذر المسألة (ص٢٢١).

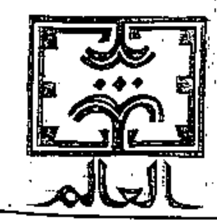
ويؤكد زوجانوف على دور الكنيسة الارثوذكسية الروسية عبر التاريخ فيقول « أنه قد آن لنا أن نعترف بأن الكنيسة الارثوذكسية الروسية بالذات هي التي تمثل الركيزة التاريخية والمعبر عن الفكرة بالصورة التي صقلت بها عبر عشرة قرون من تاريخنا كدولة (ص٢١٨) . ويمضي إلى أبعد من ذلك في التحول عن الموقف السابق من الدين في العهد السوفيتي **زوجانوف** فيقول: «**ان معارضة العلم بالدين، والمصحوبة بالعنف ، لم تعد** بالجبر على أحد، **وقد آن حتى لأشد الملحدين عنفا أن يدركوا بأن هناك اشكالا مختلفة لمعرفة العالم ، ولكل من هذه الأشكال خصائصه وصفاته الفريدة»(٢١٨)**. وفي موضع آخر يشير **زوجانوف** إلى «أننا ننظر باحترام عميق إلى عقيدة آبائنا ، ويخلو برنامج الحزب الشيوعي الروسي من أي اشارات معادية للدين بل وينص بوضوح على أن المعتقدات الدينية هي من الشئون الخاصة لكل انسان بما في ذلك للشخص الشيوعي (٢٠٩) . «**أننا نتخلى تماما عن سياسة الالحاد الرسمي**(ص٢٨٢) وفي حالة وصولنا إلى الحكم سنمارس سياسة المساعدة من قبل الدولة على تعمير دور العبادة الارثوذكسية المهدمة.

ومن جهة أخرى يعترف زوجانوف بأن الكثير من أفكار «**الاشتراكية البروليتارية**» التي صاغها ماركس وانجلز ومن واصلوا طريقهما قد فقدت جاذبيتها بالنسبة لكثير من المعاصرين ،وفشلت محاولات تعديل الاشتراكية الفعلية لأن الحزب الشيوعي السوفيتي تخلف كثيرا في التأصيل النظري للظواهر الجديدة في الثلث الأخير من القرن العشرين. كما أن الكثير من جوانب المبدأ الماركسي يحتاج إلى التعديل والتدقيق حتى ما يخص **نظرة فائض القيمة البروليتارية واستنتاجها بخصوص ديكتاتورية البروليتاريا (ص٢٨٥).**

وفي هذا المجال أدخل الحزب الشيوعي الروسي إلى أدبياته السياسية أفكار **الوطنية الشعبية، ونزعة الدولة الروسية ،الروحانية** ،كما أصبح يقر بتعددية الانماط الاقتصادية وبفكرة الحضارة الأوراسية والتنمية العالمية المستقرة. ولكن الحزب لم يتمكن بعد من صياغة نظرية متكاملة لمستقبل روسيا كدولة تحكمها عقيدة..

ان كتاب **زوجانوف** يثير من الأسئلة أكثر مما يقدم من إجابات. وربما كان ذلك مفهوما في ظل التجربة القاسية التي تتعرض لها الايديولوجية والممارسة الشيوعية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانحياز المجموعة الحاكمة في روسيا إلى الخيار الرأسمالي واستعارة النموذج الاقتصادي الغربي. كما أن الحزب الشيوعي الروسي مهموم أكثر بالقضايا العملية التي يفرضها عليه الواقع اليومي الروسي الحافل بالمفاجآت . كما أنه -رغم قيادته للمعارضة اليسارية -يمثل جزءا من السلطة التشريعية في مجلس الدوما، وهو من هذه الزاوية مطالب لا «باتخاذ الموقف» بل بايجاد حلول وبدائل للمشاكل اليومية والدخول في تحالفات وصراعات مع أجزاء من السلطة أو الاحزاب الأخرى والقوى السياسية المختلفة..

ومع ذلك يبقى الكتاب محاولة لوضع مشاريع اجابات على القضايا المطروحة ومؤشرا الى الاتجاهات التي يمضي فيها البحث، رغم أنه ينبغي **أن نقول إن الأفكار التي طرحها زوجانوف لا تلقى كلها التأثير في صفوف الحزب الشيوعي وتدور حولها خلافات داخل الحزب ،كما توجه اليها الانتقادات من خارجه.**





لا زال الشتاء القاسي يبسط لونه الأبيض على المانيا كواحد من أصعب فصول البرد التي مر بها هذا البلد الوسط أوروبي في العشرات الأخيرة من السنين. درجات حرارة وصلت إلى **٢٦ درجة مئوية تحت الصفر**. عشرات من الذين لا يحميهم سقف فوق رؤوسهم ماتوا بردا.. يوم ٢ يناير كان موضوع مانشيتات الصفحة الأولى في العديد من الصحف الصباحية هو **العثور على ١٦ لاجئاً شاباً من بنجلاديش والعراق وسط الصقيع (الحرارة -١٥ درجة مئوية) بعضهم حفاة وبملابس صيفية**-قال الأطباء أن بعضهم قد تجمدت اطرافه مما يستدعي عمليات استئصال.

المانيا والعام الجديد

الموت في مياه نهر متجمد

جاءوا من بولندا وعبروا نهراً متجمداً خاضوه باجسامهم، ويمكن أن يقولوا انهم كانوا رغم كل شئ محظوظين فكم من بؤساء ومعذبي العالم الثالث ابتلعتهم مياه **نهر «أودر»** الجليدية قبل أن تقبض عليهم قوات الحدود الألمانية. أحد اللاجئين تحدث أمام التلفزيون وقال أنه دفع ٦٠٠٠ دولار لعصابات التهريب لتسربه إلى المانيا . نهر أودر ونهر نايسه اللذان يشكلان الحدود بين بولندا والمانيا أصبحا أيضا بمثابة خط حدود للعالم الأول تجاه العالم الثالث.

ورغم الانخفاض الشديد في عدد طالبي اللجوء إلى المانيا بالنسبة لاعوام ١٩٩٢ و ١٩٩٣ إلا أن حكومتها عازمة على التشدد أكثر في تطبيق قوانين اللجوء ، هيئات حقوق الانسان والكنائس الالمانية تعتبر أن الحكومة بهذه السياسة تخالف روح الدستور الالماني وتتخلى عن مسئوليات جوهرية في مجال حقوق الانسان.

هل سيكون عاما سعيداً؟

اصبحت مشاهدة المآسي المذكورة في النشرات المسائية للتلفزيون أمرا عاديا بوصفها جزءا من الحياة اليومية أيضا في واحدة من أغنى بلاد العالم ولكن الصقيع الذي بثت صوره عشرات الأقمار الصناعية لارجاء العالم يفوقه في الاذى **الصقيع الاجتماعي الذي جلبه نهج اقتصادي دفع الدولة للتخلي عن مسئولياتها الاجتماعية خطوة خطوة**.عدد المتعطلين عن العمل-وأكثريتهم الساحقة من الحاصلين على تأهيل مهني أو من المتخصصين-فاق الأربعة ملايين وسيصل حسب التوقعات إلى ٥ر٤ مليون هذا العام(الرقم الحقيقي يصل إلى ٧ ملايين) وكل زيادة جديدة في البطالة تنتج بطالة أكثر ، لأن زيادة عدد من هم بلا عمل يعني تضاؤل القوة الشرائية في المجتمع ،وبالتالي هبوط الطلب على السلع مما يؤدي إلى تخفيض الانتاج. وهذا يؤدي إلى أن تسرح المؤسسات الانتاجية المزيد من العمال والموظفين. حلقة شيطانية تبدو بلا نهاية.

ولم تفلح محاولات المعارضة في دفع الحكومة إلى الجلوس على كرسي الاعتراف لتوضيح موقفها من مستقبل العمل.وقد رفض المستشار في منتصف يناير الادلاء ببيان رسمي في البرلمان حول هذه القضية. واكتفى بما كان قد اعلنه خلال العام الماضي وفحواه انه عازم على تخفيض عدد العاطلين عن العمل إلى النصف حتى عام ٢٠٠٠. **ولكن هذا يتطلب انشاء أكثر من مليوني ونصف فرصة عمل خلال سنوات ثلاث**. المعاهد الاقتصادية المتخصصة والنقابات واحزاب المعارضة بل وحتى اتحاد الصناعات واتحاد اصحاب الأعمال عبروا مباشرة عن تشككهم في واقعية الهدف المعلن ومع بداية العام الجديد واعلان الارقام المتوقعة للنمو الاقتصادي اكدوا ان ارقام المستشار لن تتحقق. المشكلة في نظر النقابات والعديد من الهيئات العلمية ان النهج الاقتصادي المطبق يؤدي بالتحديد إلى العكس.

وكان رفض النقابات للمشاركة

نبيل يعقوب

فى جلسة نقاش مع **المستشار لبحث الموضوع المسمى تحالف العمل مفاجئا اذ ظل قادتها يدعون لهذا التحالف حتى نهاية العام الماضى**. الآن طالب قادة نقابيون ان تخطو الحكومة خطوة فعلية فى اتجاه التقليل من البطالة لتثبت جديتها كشرط للمحادثات.

موسم التحريض «ضد الخطر الاجنبى»

حسب المقاييس الالمانية يعتبر موعد انتخابات البرلمان الاتحادى قد اقترب. وكما هى العادة ينضل الالمان البدء مبكرا وانجاز المهمة أمس قبل اليوم. **وانتخابات خريف ١٩٩٨** بدأ التحضير لها بالفعل. ولكنها بداية ليست مبشرة ولا مطمئنة . بدأ العمل المركز لتنفيذ اجراءات إعادة البوسنيين إلى ديارهم وكانت النغمة فى العام الماضى ان **اتفاقية ديتون** وحدها لا تكفى لاخذ قرار اعادة اكثر من ثلث مليون لاجئ حرب بوسنى من المانيا اذ لابد الاطمئنان إن كانوا سيجدون سقفا يستظلون به ولابد من انتظار الربيع القادم. وزير الداخلية الاتحادى يعتبر أن المانيا قد صبرت بما فيه الكفاية واعلن عن تمسكه بنص القرارات الحكومية رافضا طلبات الولايات للتمهل.

ويظل الاجانب فى مركز اهتمام الاعلام بالمصائب لان نفس الوزير اشترط حصول قرر أن يحصل الاطفال والشباب الاجانب من المقيمين فى المانيا على فيزا للعودة إلى المانيا بعد زيارة أوطان والديهم هذه المشكلة تمس بالدرجة الأولى نحو ٦٠٠ **ألف طفل تركى** تمتعوا حتى الآن باعفائهم من الفيزا الالمانية .والعجيب أن يأتى الاعلان المذكور للوزير بعد حملة اعلامية فى العام الماضى عن تسهيل الحصول على المراطنة الالمانية للاطفال والشباب.وبعد الإعلان عن عزم الحكومة الاتحادية تيسير شروط الاقامة فى المانيا. يتوقع المراقبون ان تتشدد المانيا فى شروط منح فيزتها للاجانب من العالم الثالث بقدر تحقيق خطوات ابعد فى الوحدة الأوروبية ، وثمة سياسة حكومية مقررة ومعلنة تنص على الحد من قبول اقامة وافدين من بلدان من خارج المجموعة الأوروبية.

ولكن الاخطر من كل هذا تكثيف اكاذيب الدعاية القومية فى الفترة الأخيرة : من جديد زاد الحديث عن ارتفاع نسبة «جرائم الاجانب» وبدل أن تنشئ الحكومة اماكن عمل لمواطنيها بدأ الحزب الاجتماعى المسيحى البافارى وهو أهم حليف لحزب المستشار كول بدأ بتسخين الوضع ضد الاجانب بادعاء انهم ياخذون اماكن عمل العمال الالمان. وتحرض تصريحات متحدثين باسم الحزب على قصر شغل اماكن العمل على الالمان ، ولكنه لا يستطيع ذلك بسبب قوانين الاتحاد الأوروبى فلأى مواطن فى دولة من دول الاتحاد الأوروبى الحق فى الاقامة والعمل فى أى دولة من دول الاتحاد .غرض الحزب البافارى فى النهاية كما صرح به هو قصر **العمل على الالمان ومواطنى الاتحاد الأوروبى**.ولكن الوضع القانونى السائد هو بالضبط الا يشغل اجنبى مكان عمل الا بعد تحقق مكاتب العمل من انه لا يوجد المانى أو مواطن أوروبى يريد هذا العمل. الواضح أن الحزب الاجتماعى المسيحى بعد أوراقه لبدء المعركة الانتخابية مبكرا ويبدو انه عازم على منافسة احزاب اليمين القومية المتطرفة والعنصرية باستخدام اسلحتها هى ذاتها. **ورقة كراهية الاجانب هى ورقة رابحة دائما فى الانتخابات الالمانية خاصة فى أوساط العاطلين عن العمل والذين يسهل على الدعاية القومية تضليلهم**. المشكلة هى أن الحملات الانتخابية الالمانية تشهد دائما سقوط ضحايا من الاطفال والنساء والرجال المسالمين من الاجانب مثلما شاهد العالم فى البيوت المحترقة فى **مولن وسولينجين** وغيرها.

إلى هنا وكفى!

فى عاصمة ولاية **تورينجيا** .مدينة **ايرفورت** الالمانية الشرقية القديمة وفى **برلين** فى نفس الوقت اجتمعت شخصيات من أحزاب سياسية ونقابات ورجال دين وعلماء وفنانون ليوجهوا نداء للرأى العام الالمانى بعنوان **«إلى هنا وكفى»** يطالبون فيه بتعاون القوى المعارضة على اختلاف احزابها للوصول إلى تغيير التحالف الحاكم فى بون فى الانتخابات البرلمانية القادمة عام ١٩٩٨. ويصف البيان سياسة تحالف المحافظين والليبراليين الحاكم بأنها **ظلمة لا ترحم ومدمرة للنظام الاجتماعى بلا أفق**. ويقول البيان أن الحرب الباردة ضد الدولة الاجتماعية ستنجم عنها جمهورية أخرى.

وعن تطور الأوضاع الاجتماعية يقول البيان أن **الوحدة الالمانية أدت لأوسع عملية اعادة توزيع للدخل منذ قيام جمهورية المانيا الاتحادية بالاخذ من القاعدة والمنح للقمة (اعادة التوزيع من تحت لفوق)** .وكثير جدا من مواطنى المانيا الاتحادية الجدد يشاهدون الآن كيف تصادر حقوقهم التى اكتسبوها .وأملهم فى الحرية والمساواة .والحياة فى ظل علاقات انسانية.

ويدعو البيان الناس للخروج من دور المتفرج ويسمى الحالة **«ديمقراطية المتفرجين»** ويطالب بالمشاركة فى حركة معارضة خارج البرلمانات تتجاوز المعارضة داخلها. ويقول البيان أن المانيا فى حاجة إلى خبرات ١٩٦٨ و١٩٨٩ لتحقيق التغيير فى انتخابات عام ١٩٨٨ . **والمقصود خبرة حركة ١٩٦٨ الديمقراطية فى الغرب التى فجرتها الحركة الطلابية (فى فرنسا والمانيا)** واضعفت مواقع القوى القديمة وبخاصة ذات الماضى النازى المعروف فى أجهزة السلطة وفرضت تجديدات هامة فى الحياة السياسية والثقافية فى المانيا الغربية. واشارة البيان إلى عام ١٩٨٩ أى إلى حركة المطالب الديمقراطية فى شرق المانيا تؤكد قناعة واضعى البيان بضرورة تغييرات جذرية.

ويعلن البيان ان هدفه الأول هو **القضاء على البطالة الجماهيرية** والتى ليس سببها قلة الصادرات، ولا تكلفة الانتاج ولا ما يقال عن الخدمات الاجتماعية الغالية. بل **سببها الارتفاع الهائل لمستوى الانتاجية، وتراجع معدلات التنمية، وعدم تخفيض ساعات العمل بما يتطلبه التطور الموصوف.**

ويتعرض البيان لمديونية الهياكل العامة (من الدولة الاتحادية حتى المحليات) تجاه البنوك مسجلا ان كل مليار مارك دين للبنوك يجعل الدولة والولايات والمحليات)أكثر تبعية للدائنين. ويكشف ان الرأسمال يتركز اذ يبلغ **مجموع الثروات الشخصية فى المانيا تسعة آلاف ونصف مليار مارك** .نصف هذا الرقم الخرافى يملكه ١٠ **بالمائة فقط من الأسر**.ويذكر البيان بنص الدستور الالمانى على ان الملكية تمثل التزاما وينبغى ان يخدم استخدامها الخير العام أيضا. **ويطالب البيان بتوزيع العمل بشكل عادل بتقصير وقت العمل مع ترتيب تسوية مناسبة للاجر. ويطالب بنمط جديد من العمالة الكاملة وبتوجيه العمل بشكل أقوى لخدمة المنفعة الاجتماعية ومراعاة السلامة الدائمة للبيئة**.ويطالب باصلاح الدولة الاجتماعية لتضمن مكافحة الفقر وتحقق التضامن الاجتماعى.

ويرفض البيان الخضوع لما تمليه قوى السوق والذى يوصف بانه حتمية أو مصير لا يمكن تجنبه، ويطالب بحكومة قادرة على أن تمارس الفعل، ويطالب الحكومة بان تدافع عن تحقيق شروط اجتماعية ايكولوجية وديمقراطية أمام الاتحاد الأوروبى ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى.

وينطلق واضعو البيان من أن تحقيق اصلاح ضريبى يشمل فرض ضرائب على التحويلات النقدية والتركات الكبيرة والثروة والمضاربات العقارية وعلى الاضرار بالبيئة يمكن أن يجعل الحياة أكثر انسانية فى المانيا.

الجديد فى البيان هو توجيهه إلى أحزاب المعارضة الثلاثة المشاركة فى البوندستاغ (**الحزب الاجتماعى الديمقراطى ،وحزب الخضر، حزب الاشتراكية الديمقراطية**) من أجل أن تتعاون من أجل تغيير الحكومة القائمة. ويجيئ البيان فى لحظة تشر فيها اوساط الحكم فى بسود فيها المانيا هستيريا ضد حزب الاشتراكية الديمقراطية.

هناك شبح يحوم

مع اقتراب عام ١٩٩٨ افتتح وزير داخلية برلين (من الحزب المسيحى الديمقراطى) الحملة على**حزب الاشتراكية الديمقراطية** متهما اياه بايوائه لعناصر متطرفة مسميا **المنبر الشيوعى ومنظمة الشباب** ومتوعدا بوضع الحزب تحت مراقبة هيئة حماية الدستور (مخابرات داخلية) .وسرعان ما اتسعت الحملة لتعلن تهديدات بوضع الحزب فى كل الجمهورية تحت المراقبة (وهذا مطبق فى بافاريا وحدها حتى الآن) .وبالمناسبة وجه وزير داخلية برلين الحديث للحزب فى التليفزيون قائلا انه سينتظر نتائج مؤتمر الحزب(الذى ينتهى انعقاده يوم ١٩-١) ليحدد الخطوة التالية فى التصرف معه.

وانضم للحملة عدد من الصحف التى وجدت الوقت مناسبا لاعادة اتهام **جريجور جيزى** رئيس المجموعة البرلمانية للحزب انه كان متصلا بمخابرات المانيا الديمقراطية . وكانت محكمة فى درسدن قد أدانت نهاية عام ١٩٩٦الرئيس الفخرى للحزب **هانز مودرو** بأنه كذب على برلمان سكسونيا عندما اخذوا شهادته فى قضية متصلة باحداث ١٩٨٩ ومسئوليته عن تصرفات أجهزة الأمن.

وتتالت خلال أيام قليلة الهجمات الحادة ضد الحزب وكأن الثورة البلشفية فى الطريق. وزاد حزب **المستشار كول** من حملاته على

مجموعة من رجال السياسة والدين والعلماء والفنانين يوجهون بيانا إلى الرأى العام الألمانى

الاجتماعيين الديمقراطيين متهما اياهم بانهم يعدون فى السر للتحالف مع حزب الاشتراكية الديمقراطية من أجل الوصول للحكم. والحسبة سهلة فعلا .**فمن غير المتوقع حسب ارقام الاستطلاعات الحالية أن يصل الاشتراكيون الديمقراطيون والخضر (ان تحالفا) إلى الحكم بدون أصوات حزب الاشتراكية الديمقراطية فى البرلمان**.ولكن نصف قرن من الدعاية المعادية للشيوعية فى الغرب كفيلة بأن تخيف الناخب الغربى من فكرة إن حزبه سواء كان الاجتماعى الديمقراطى أو الخضر قد يضطر للاعتماد على أصوات نواب حزب الاشتراكية الديمقراطية الشيوعى سابقا والالمانى الشرقى فوق ذلك.

ومشكلة **الاجتماعى الديمقراطى** انه ليحصل على أصوات فى الانتخابات لا مناص له من أن يعارض سياسة حكومة كول. ولكنه يطبق هذه السياسات بالتحديد فى كل المقاطعات التى يحكمها وقادته لم يعلنوا حتى الآن بديلا واضحا لها. هل يغامر الاجتماعى الديمقراطى بالمضى فى المعارضة الى درجة أن يقبل بدعم من أصوات نواب حزب يسارى وفوق هذا ذو تاريخ شيوعى ليقيم حكومة ائتلافية مع الخضر أم يريح نفسه من الصداع ويتحالف مع الحزب المسيحى الديمقراطى فى الجولة القادمة ؟ التياران موجودان فى **الحزب الاجتماعى الديمقراطى** .والصراع بينهما معلن.

ولكن فى الحملة الراهنة لدرء الخطر الشبحى أم بعد يوجد ثمة مستوى حزبى قيادى هام فى الحزب الاجتماعى الديمقراطى لم يعلن رفضه البات للتعامل مع حزب الاشتراكية الديمقراطية وسرت الحمى إلى حزب الخضر بنفس القدر بين دهشة أعضاء الخضر فى الشرق لان عداءهم المبالغ فيه لحزب الاشتراكية الديمقراطية خلال الانتخابات الماضية (١٩٩٤) كلفهم معظم وجودهم البرلمانى فى ولايات الشرق.

حزب الاشتراكية الديمقراطية يمثل فى شرق المانيا بنحو ٢٠ بالمائة من الأصوات وليس له فى الغرب سند انتخابى (فقط نحو ١ بالمائة) الأمر الذى يعد مشكلته الرئيسية فى ضمان الوصول إلى البرلمان الاتحادى مرة أخرى. وهو يعتمد على وجود قوى فى أربع دوائر نجاحه فى ثلاثة منها يكفل له دخول البوندستاغ بكامل نسبة اصواته حسب الدستور الالمانى (ان لم يعدلوه خصيصا لمنع حزب اليسار من فرصته).

معضلة الوضع السياسى الراهن فى المانيا ان حزبا صغيرا وغريبا عن البيئة السياسية لالمانيا الغربية قد تتيح له التوازنات الدقيقة أن يكون مؤثرا بشكل يزعج مجمل تركيبة السلطة والمصالح الغربية .وهذا هو الحال بالفعل فى ولاية **«ساكسن- انهالت»** حيث يساند **حزب الاشتراكية الديمقراطية** الائتلاف الاجتماعى الديمقراطى والخضر ضد معارضة المسيحى الديمقراطى.

فى ظل هذه الأجواء عقد **حزب الاشتراكية الديمقراطية** مؤتمره الأخير فى مدينة **شفيرين** بشمال شرق المانيا، وكان أمام المؤتمر مهمات من بينها اقرار برنامج انتخابى للحزب يخوض به معركة انتخابات البوندستاغ لعام ١٩٩٨. وقد اتخذ المؤتمر قراراً هاما بان يكون مستعدا للمشاركة فى الحكم أو إسناد ائتلافات من **الاجتماعى الديمقراطى والخضر لانهاء حكم المسيحى الديمقراطى** .وهذا القرار ذو أثر هام فى السياسة الالمانية وله اساس واقعى بالنسبة لولايات الشرق نظرا لنسبة خمس الاصوات أو ما يزيد عنها التى يحصل عليها الحزب فى الشرق.

وكان النقاش الداخلى فى حزب اليسار يدور حول امكان العثور على سياسة واقعية وفعالة دون فقدان الهوية. اهتمام الاعلام بالمؤتمر كان ملحوظا للغاية وتنبؤاته عن صراعات تمزق الحزب لم تتحقق بل ابدت أوساط الاعلام دهشتها من الأغلبية الكبيرة التى مرت بها القرارات.

وسنعود فى عدد قادم لعرض بعض القضايا الفكرية والعملية التى تشغل اليسار الالمانى فى ضوء مؤتمر أكبر احزابه.

عماليات

محمد جمال إمام

الجمعية العامة للأمم المتحدة تبحث

قضايا استغلال عمل الأطفال والعاملات المهاجرات

وحكومة استراليا ترفض الحجر على الاشتغال الطوعي بالجنس !!

[illegible]



عن استغلال عمل الأطفال، يشيرتقرير الأمين العام للأمم المتحدة المقدم إلى الجمعية العامة عن هذا الموضوع إلى أن الجمعية كانت قد اعتمدت في دورتها الخمسين(عام ١٩٩٥) قرارا بشأن حقوق الطفل طلبت فيه من الحكومات،في جملة أمور، أن تتخذ التدابير التشريعية والادارية والاجتماعية والتربوية التي تكفل حماية الطفل من الاستغلال الاقتصادي، ولا سيما حمايته من أداء أي عمل يرجح أن يكون خطيرا أو يمثل اعاقة لتعليمه أو بشكل ضررا بصحته أو بنموه البدني أو العقلي أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي.

ويشير التقرير إلى أن منظمة العمل الدولي ترى أنه يصعب قياس نطاق عمل الأطفال بالأرقام نظرا لأن الاحصاءات اللازمة تكاد لا تكون متاحة في أي مكان، وإن كانت الدراسات الاستقصائية تشير إلى أن هناك عشرات، بل ومئات، الملايين من الأطفال الذين يعملون في شتى أنحاء العالم في الوقت الراهن، وأنه حسبما ذهب إليه بعض الخبراء، زادت نسبة الأطفال العاملين في أنحاء متفرقة من العالم خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة نظرا لوجود عوامل تشجع على عرض عمل الأطفال.

ويعد عمل الأطفال مشكلة، ليس فقط من حيث نسبة الأطفال المتضررين ، وانما ،وهو الأهم، من حيث المخاطر والأذى اللذين يتعرض لهما هؤلاء الأطفال أثناء العمل، **فأولا**: يدفع بكثير من الأطفال إلى العمل

فى فترة مبكرة جدا من العمر، وكثيرا ما يكونون فى الخامسة أو السادسة من العمر. وثانيا، كثيرا ما يكون العمل فى صورة نشاط دائم يستغرق ساعات طويلة كل يوم ومن ثم يصعب التوفيق بينه وبين الانتظام فى الدراسة. ويعنى ذلك أن ما يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ فى المائة من الأطفال العاملين، رهنا بالبلد المعنى، ينقطعون عن الدراسة تماما. وثالثا، يعمل كثير من الأطفال فى ظل ظروف تحط من قدرهم وتحد من نموهم البدنى والعاطفى بدرجة خطيرة.

ويشير تقرير الأمين العام للأمم المتحدة إلى أن المادة ٣٢ من اتفاقية حقوق الطفل تلزم الدول المصدقة عليها بالاعتراف بحق الطفل وبأن تكفل تنفيذ هذا الحق من خلال اتخاذ التدابير التشريعية والادارية والاجتماعية والتربوية لحماية الطفل من الاستغلال الاقتصادى ومن أداء أى عمل يرجح أن يمثل خطورة عليه أو يلحق به أضراراً صحية أو عقلية أو معنوية. كما أن الاتفاقية المتعلقة بالحد الادنى للعمر لعام ١٩٧٣ الصادرة عن منظمة العمل الدولية(الاتفاقية رقم ١٣٨) والرامية إلى منع استغلال عمل الأطفال تحدد الحد الأدنى لسن الالتحاق بالعمل بما لا يقل عن سن اتمام مرحلة الدراسة الالزامية ،وبأى حال، بما لا يقل عن ١٥ سنة (١٤ سنة بالنسبة للبلدان النامية) وبما لا يقل عن ١٨ سنة بالنسبة للأعمال التى يرجح أن تضر بالصحة أو السلامة أو الأخلاق. كما يجدر الاشارة إلى أن الفقرة ٣ من المادة ١٠ من العهد الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر عن الأمم المتحدة تدعو إلى حماية الأطفال من الاستغلال الاقتصادى والجنسى.

وفضلا عن ذلك فان المؤتمر العالمى لحقوق الانسان الذى عقدته الأمم المتحدة فى فيينا فى عام ١٩٩٣ قد حث جميع الدول على «القيام»بدعم من التعاون الدولى، بمعالجة المشكلة الحادة المتمثلة فى حالة الأطفال الذين يعيشون فى ظروف بالغة الصعوبة. وينبغى أن يكافح بنشاط استغلال الأطفال وإساءة معاملتهم ، بما فى ذلك عن طريق معالجة أسبابها الجذرية. ولزم اتخاذ تدابير فعالة ضد.. عمل الأطفال الضار بهم».

وقد أعربت منظمة العمل عن أسفها لأن صكها الرئيسى فى مجال عمالة الأطفال، ألا وهو اتفاقية الحد الأدنى للعمر السابق الاشارة إليها، لم يصدق عليها حتى الآن سوى ٤٩ بلدا فقط، منها ٢١ من البلدان النامية، ليس من بينها أى بلد فى آسيا، رغم أن اعتماد تشريع يحدد العمر الادنى الذى يجب ألا يسمح للأطفال الذين تقل أعمارهم دونه بالانخراط فى النشاط الاقتصادى، يشكل أحد العناصر الأساسية لأى استراتيجية وطنية متماسكة لمناهضة تشغيل الأطفال.

ومن بين أجهزة الأمم المتحدة المعنية بهذه القضية، «**الفريق العامل المعنى بأشكال الرق المعاصرة**» التابع للجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات المنبثقة عن لجنة حقوق الانسان. وقد قام الفريق بوضع برنامج بشأن القضاء على استغلال عمل الأطفال. وقد أشار الفريق إلى أنه على الرغم من قيام جميع الدول تقريبا بسن تشريعات تهدف إلى مكافحة استغلال عمل الأطفال، فان المشكلة تكمن في متابعة تنفيذ هذه التشريعات.

وعلى الرغم من إشارات تقرير الأمين العام للأمم المتحدة المتكررة إلى خطورة المشكلة، فان التوصيات التى يقدمها الى الجمعية العامة ولجانها لكى تبنى عليها قراراتها، توصيات هزيلة وبيروقراطية للغاية، ومن مثال ذلك ما ذكره من أن مناقشات لجنة حقوق الطفل قد انتهت إلى عدد من التوصيات من بينها «الاعتراف بالتعليم بوصفه تدبيراً وقائيا أساسيا لمواجهة حالات استغلال الأطفال اقتصاديا من خلال جعل التعليم الابتدائى الزاميا ومجانيا لجميع الأطفال واستخدام الاتفاقية كأداة حافزة لتشجيع مشاركة الأطفال فى المدرسة وفى الحياة الاجتماعية ؛ وحماية الأطفال من الاستغلال الاقتصادى من خلال الحظر الصارم لعدد من الأنشطة الضارة بوجه خاص. «والتعليم الابتدائى فى مصر، على سبيل المثال، الزامى ومجانى منذ سنوات عديدة ولكن ذلك لم يمنع من اشتغال الألوف من الأطفال بصناعة السجاد وبالعمل فى الورش الحرفية والخدمة فى المنازل وصناعة الترفيه، ثم يقدم التقرير توصية أخرى تقول«وباستطاعة الحكومات أن تقوم، بالتعاون مع مختلف الجهات الفاعلة، بانشاء مشاريع نموذجية موجهة إلى سحب الأطفال الذين يقومون بعمل ضار بوجه خاص، وذلك أولا بأن تقدم لهم الخدمات الأساسية التى يحتاجون إليها مثل المأوى والغذاء والرعاية الصحية، ثم باتاحة حلول ملائمة لهم، وذلك لمساعدتهم فى الحصول على فرصة الالتحاق بالمدارس أو بخدمات التلمذة الصناعية والتدريب المهنى، أو القيام بنشاط آخر بأجر فى ورشة لتأهيل المعوقين». ولم تتعرض التوصيات فى أى مكان منها للأسباب التى تدفع الأسر إلى الدفع بأطفالها فى أعمار صغيرة جدا إلى سوق العمل للاستعانة بأجورهم فى مواجهة متطلبات الحياة فى ظل ظروف اقتصادية بالغة السوء فى البلدان النامية وفى ظل آليات اقتصاد السوق الشهيرة. وذلك فى الوقت الذى تشن فيه الدول الصناعية حملة، من خلال منظمة التجارة العالمية، ضد الدول النامية الآخذة فى التقدم صناعيا من خلال الدعوة إلى قمع تشغيل الاطفال في الأنشطة الانتاجية فى تلك الدول. والحملة ظاهرها الاهتمام بحقوق الطفل وباطنها العمل على حرمان الدول المستغلة لعمل الأطفال من عنصر رخص تكلفة الأيدى العاملة مما يرفع من أسعار منتجاتها في نهاية الامر ويحرمانها من ميزة تنافسية في مواجهة إنتاج البلدان الصناعية المثقل بتكاليف العمالة المرتفع لديها. ومهما يكن الامر، فقد كان من الغريب ان يقف العديد من المسئولين في تلك الدول النامية لتفنيد تلك المطالب ورفض الربط بين حماية حقوق الاطفال وبين حرية تلك الدول في تصدير منتجاتها إلى الدول الصناعية، مدافعين بذلك عن مصالح مجموعات من القوى الرأسمالية التى لا يهمها سوى زيادة ارباحها ولو على حساب طفولة الملايين من أطفال العالم النامى. ولست أدرى هل قفزت إلى مخيلة ذلك المسئول المدافع عن تلك المصالح صورته فى طفولته،ولربما كانت طفولة قاسية كدح فيها من أجل مواصلة التعليم والترقى فى السلم الاجتماعى، أو صورة أطفاله هو لو كانت المقادير قد حكمت عليهم بعيش البؤس الذى يدفع أطفالا «**عظامهم طرية**» كما يقول التعبير الشعبى عندنا إلى العمل فى الصناعات النسجية أو فى أعمال المقاولات الشاقة فى بلد كالهند وغيره أو فى الورش الحرفية بكل مخاطرها البدنية والأخلاقية ، أو بالخدمة فى المنازل؟ ومن المحتمل أن يكون ذلك المسئول

قد ذرف بعض الدموع الساخنة فى الليلة السابقة وهو يشاهد على شاشة التلفزيون اعادة لعرض أحد الأفلام السينمائية المأخوذة عن بعض روايات «تشارلز ديكنز» عن معاناة الأطفال الانجليز ابان بدايات الثروة الصناعية التى قام جزء من نتاجها على امتصاص عرقهم ودمائهم . ولكن «هذه نقرة وتلك نقرة أخرى».

العاملات المهاجرات

وفيما يتعلق بالعنف الموجه ضد العاملات المهاجرات (والمقصود بهن : العاملات المشتغلات خارج أوطانهن لفترة مؤقتة)، يشير تقرير الأمين العام للأمم المتحدة بدءاة إلى أنه لا توجد حاليا مؤشرات متفق عليها دوليا عن العنف ضد المرأة، ومن ثم ضد العاملة المهاجرة. غير أن التقرير يشير إلى أن مناقشات لجنة منع الجريمة والعدالة الجنائية التابعة للأمم المتحدة قد أكدت على أن العنف ضد المرأة يحدث فى جميع نواحى الحياة الخاصة والعامة. وأن هذا العنف قد اتخذ ابعادا تبعث على الجزع، كما شددت على أنه لا يمكن معالجة هذه المشكلة إلا باحراز تقدم فى مجال المساواة بين الجنسين وبتحقيق تحسينات أخرى فى مركز المرأة،وعلى أنه من المهم للغاية فى الحالات التى تتعرض فيها المرأة للعنف أن يتم كسر حلقة العنف وان يكفل ألا يصبح العنف ضد المرأة سلوكا مكتسبا، وأن يكون باستطاعة الضحايا الهرب من بيئة العنف. وطالبت اللجنة بانشاء مراكز لتقديم المساعدة والمشورة، وبمساعدة الضحايا عن طريق تيسير وصولهن إلى العدالة وشفائهن من آثار التعرض للايذاء ،والتعاون مع وسائل الاعلام لتلافى النظرة إلى مسألة الجنسين نظرة نمطية وفقا لقوالب جاهزة كما أشارت إلى أن هناك حاجة إلى اتخاذ تدابير لمساعدة أكثر فئات النساء تعرضا للتضرر، بما فى ذلك العاملات المهاجرات.

ويذكر التقرير أن الردود التى تلقتها الأمانة العامة للأمم المتحدة من ٢٠ دولة من الدول الأعضاء فى المنظمة ردا على مذكرة من الأمين العام يطلب فيها الحصول على معلومات عن العاملات المهاجرات (من الملفت للنظر أن مصر لم تكن من بين هذه الدول، ربما لأنها لا تعتبر آلاف المدرسات والمهنيات وشغالات المنازل اللاتى يذهبن سنويا للعمل فى الدول العربية جزءا من القوى العاملة المسئولة عن حمايتهن) توحى بأن هناك قبولا واسعا لضرورة وضع مسألة العنف ضد العاملات المهاجرات على جدول الأعمال العالمى، خاصة وأن هذه الدول تعترف بأن معظم العمال المهاجرين من النساء وأن عددا كبيرا منهم يعمل فى القطاعات القليلة المتاحة من أسواق القوى العاملة. مثل الخدمة المنزلية والترفيه، فضلا عن أن الخدمة فى المنازل، وهى أكثر أشكال عمل العاملات المهاجرات انتشارا، تعرض المرأة لأخطار العنف المنزلى، على أن بلدانا عديدة اعترفت بأن الحالات الموثقة عن العنف ضد العاملات المهاجرات يفضلن عدم الابلاغ عن تلك الحالات.

وكان اجتماع للخبراء عقدته الأمم المتحدة لبحث هذه المشكلة قد أشار إلى أن العنف ضد العاملات المهاجرات اللاتى يصبحن ضحايا للمضايقة واساءة المعاملة البدنية والنفسية والجنسية على أيدى أرباب عملهن أو الوسطاء أو الشرطة، وهى حالة تزداد تفاقما بسبب الاستغلال الاقتصادى، وخاصة فى السنوات الأخيرة الماضية تدعو إلى تضافر الجهود الدولية لمواجهتها. ولاحظ هؤلاء الخبراء أن الزيادة الحادة السريعة فى تدفقات العمل فى العقد الماضى صحبها ازدياد فى تأنيث العمل، وقد تركزت الحصة المتزايدة من النساء المهاجرات من أجل العمل فى قطاعين من قطاعات سوق العمل الدولى لا يتمتعان بحماية، هما المساعدة المنزلية والعمل فى مجال الترفيه. كما ازدادت أعداد النساء اللاتى يهاجرن من خلال قنوات غير مشروعة وبدون حيازة مستندات رسمية.

وعرف هذا الاجتماع العنف ضد المرأة بوصفه «أى فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه،أذى أو معاناة للمرأة سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما فى ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفى من الحرية، سواء حدث ذلك فى الحياة العامة أو الخاصة. كما اتفق الخبراء على أن الاستغلال الاقتصادى قد يكون شكلا من أشكال العنف. كما أن العنف الممارس ضد العاملات المهجرات جزء من مشكلة العنف المرتكب ضد المرأة عموما.

كما اتفق الخبراء على أن طابع اساءة المعاملة الاجتماعية والنفسية والبدنية والجنسية فى مختلف مراحل عملية الهجرة، من التوظيف إلى الاستعداد إلى العمل فى الخارج والعودة. وقد تتراوح اساءة المعاملة البدنية والجنسية من الاهانة اللفظية إلى اساءة المعاملة الشديدة والضرب والاغتصاب والاجهاض القسرى. كما يزيد من حدة المشكلة عدم توافر سبل تحقيق الانتصاف من الظالم. يضاف إلى ذلك أن أعمال الخدمة المنزلية على وجه الخصوص لا تشملها فى العادة قوانين العمل أو أحكام الضمان الاجتماعى .وكثيرا ما يجرى تهميش مسألة العنف ضد العاملات المهاجرات فى مواجهة العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الأوسع نطاقا التى تقوم بين البلدان المرسلة والمستقبلة.

وشدد الخبراء على ضرورة قيام الدول المرسلة للعمالة بتوفير برامج توجيه من أجل اعداد العاملات اللاتى يحتمل هجرتهن لمواجهة فترة بقائهن المقبلة فى الدول المستقبلة. ويشمل الاعداد المتوخى تقديم معلومات عن القوانين وحقوق العمال المهاجرين والثقافة وأحوال العمل والمعيشة فى البلدان المستقبلة.

الاتجار بالنساء والفتيات

أشار تقرير الأمين العام للأمم المتحدة فى هذا الصدد: إلى منهاج العمل الذى اعتمده



المؤتمر العالمى المعنى بالمرأة الذى عقد فى بكين فى سبتمبر من عام ١٩٩٥، والذى شدد على أن استغلال المرأة فى الشبكات الدولية للبغاء والاتجار أصبح محور اهتمام رئيسى للجريمة الدولية المنظمة. كما ذكر التقرير أن مفهوم الاتجار واستغلال بغاء الغير قد توسع منذ اصدار اتفاقية قمع الاتجار بالاشخاص

واستغلال بغاء الغير لعام ١٩٤٩ فأصبح يشمل الاتجار الذي يستهدف أشكالا أخرى من أشكال استغلال المرأة بما في ذلك الزواج القسري والسخرة.

وذكر التقرير أن الاهتمام الدولي بقضية الاتجار بالنساء قد اشتد بسبب عدد من العوامل، منها تزايد سهولة السفر وتعاظم ظاهرة الهجرة المؤقتة من أجل العمل، وتعاظم الفوارق بين الأغنياء والفقراء داخل البلدان مما أدى إلى أن كثيرا من النساء أصبحن معرضات للاتجار نظرا لظروفهن الاقتصادية وتطلعهن إلى زيادة دخلهن ودخل أسرهن. ثم هناك نمو الجريمة العابرة للحدود والتي تزاول مجموعة من أشكال الاتجار، من الاتجار في المخدرات إلى الاتجار لغرض البغاء وغيره من أشكال الاستغلال.

وأفادت منظمة العمل الدولية إلى أنه قد وردت إليها معلومات من آسيا في السنوات الأخيرة بأن تهريب الأطفال لأغراض الاتجار يجري من جمهورية لاو الديمقراطية الشعبية والصين وكمبوديا وميانمار إلى تايلند وأن هؤلاء الأطفال يجبرون على العمل في دور البغاء أو مصانع السخرة. وقالت المنظمة بأن هناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن النمو الهائل الذي شهدته آسيا في السنوات الأخيرة يمكن أن يكون قد أسهم في مضاعفة المشكلة، وأن من المرجح أن تؤدي التنمية في الأمد القصير إلى زيادة الهجرة. بشكليها القانوني وغير القانوني، لا إلى الحد منها. كما ذكرت المنظمة أن حكومة نيبال قد أفادتها بأن عدد النساء والفتيات النيباليات العاملات في دور البغاء في الهند وصل في عام ١٩٩٢ إلى ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ امرأة وأن معظمهن قد اختطفن بالقوة أو غرر بهن للذهاب إلى الهند ثم جرى بيعهن إلى دور البغاء.

على أن أطرف ما جاء في التقرير هو السبب الذي أوردته حكومة استراليا لعدم التصديق على اتفاقية قمع الاتجار بالاشخاص واستغلال بغاء الغير لعام ١٩٤٩، فقد قالت: «على الرغم من أن هذه الاتفاقية لا تقضي بتجريم أفعال البغاء، فإن عدة أحكام من أحكامها لها مفعول غير مباشر بجعل ممارسة البغاء أمرا غير قانوني. وترى الحكومة أن هذه الأحكام تؤدي أيضا إلى طمس الفارق بين البغاء القسري، واعتبار الاشتغال الطوعي بالجنس والبغاء القسري مسألة واحدة، والمطالبة بالتالي بتجريم البغاء نفسه معناه اعتبار البغاء قضية أخلاقية واعتبار المشتغلين بالجنس أناسا عاجزين عن اتخاذ قرارات مستنيرة بشأن حياتهم. وهذه نظرة طابعها فرض الوصاية ولها عواقب خطيرة من منظور حقوق الانسان.. تجريم البغاء الطوعي يوجد أيضا بيئة مواتية لاستغلال النساء من حيث الأجر والشروط التي يفرضها أرباب العمل نظرا لحظر التنظيم النقابي في هذا القطاع.

«أما حكومة بليز فقد قالت «بأنه لا توجد تشريعات مباشرة تحظر على وجه التحديد الاتجار بالبغاء أو استغلال البغايا. وهناك استثناء من ذلك هو اجراء اعتقال المشتغلات بالجنس اللائي يكن مهاجرات غير شرعيات في بليز، وهذا اجراء مبعثه عدم قانونية اقامتهن وممارستهن للعمل، وليس طبيعة النشاط الذي يزاولنه».

واذا كانت التوصيات التي قدمتها الأمانة العامة للأمم المتحدة إلى الجمعية العامة بشأن تلك القضايا الثلاث سطحية وبيروقراطية، فربما كان مبعث ذلك أنها قضايا فنية تخرج عن اختصاصها وأن من المحتمل أن المنظمات صاحبة الاختصاص في هذه المجالات قد حجبت التوصيات السليمة طمعا في أن تصدرها بنفسها بحيث تحمل أسمها ويعود الفضل فيها إليها.

على أننا نرجو أن يولي التنظيم النقابي المصري اهتمامه لهذه القضايا ، خاصة وأن قيادته ضمت نقابية لها تاريخ نضالي قديم، ربما تعمل على تجديده، عهد إليه بمسئولية سكرتارية المرأة والطفل، ولعلها تولي جل اهتمامها إلى القضايا الحقيقية للمرأة العاملة والطفل المستغل في العمل، وألا تصرف هذه الجهود إلى الاهتمام بقضايا تشغل بعض الشخصيات النسائية البارزة في بلادنا.

ويهمنا في هذا المقام أن نسترعي نظر القائمين على التنظيم النقابي إلى أن هناك قضايا عمالية تحتاج إلى أن تكون موضع النظر والتقنين والتنظيم من حيث المبدأ. حتى ولو كان المشتغلون بها غير منخرطين في عضوية التنظيم كأطفال العاملين أو العاملات المهاجرات، أو كانت قواعد استخدامهم مستثناة من مظلة قوانين العمل كالخدمة في المنازل، سواء كان القائمون بها من المواطنين أو من رعايا بلدان أخرى(خاصة وأن «الشغالة» هذه الأيام أصبحت تتطلب وجود «شغالة» فلبينية أو سيرلانكية). فالمسألة بالأساس هي الدفاع عن قيمة العمل وكرامة العاملين وأسرهم وحمايتهم من التعرض للاستغلال والامتهان ، وهو الأمر الذي يعلي في نهاية المطاف من قدر التنظيم النقابي ويجذب جموع العمال إلى صفوفه.



الريس كامل

في أول أيام العام الحالي فقدت الحركة النقابية العمالية المصرية علما من أعلامها هو المناضل النقابي **محمد كامل العقيلي**، أو «**الريس كامل**» كما كان يعرفه زملاؤه وأصدقاؤه وصحبه، بعد رحلة نضال نقابي طويلة بدأت في أوائل الأربعينيات وحتى سنوات قليلة مضت، عمل خلالها على تنظيم سائقي سيارات الأجرة في القاهرة ثم عمال النقل البري بأكملهم حيث ظل رئيسا لنقابتهم سنوات طويلة، كما تولى منصب نائب رئيس اتحاد نقابات عمال مصر لعدة دورات.

وأهم جانب من الخسارة التي لحقت بالحركة النقابية المصرية بوفاة الريس كامل هي أنه ذهب إلى لقاء ربه وقد طوى صدره على أسرار اضرابات العمال في مارس ١٩٥٤ . وقد كان القائد النقابي الراحل **فتحي كامل** يقول عنه «**كامل العقيلي هو مؤلف ومخرج وبطل اضرابات مارس ١٩٥٤**»، ولكن كامل العقيلي رفض أن يفتح فمه بكلمة عن أسرار تلك الاضرابات حتى في أوج فترة الهجوم على **جمال عبد الناصر**. كما رفض أن يفصح عن أسرار علاقته الشخصية الوثيقة بأنور السادات، والتي توثقت في الفترة التي هرب فيها السادات من ملاحقة السلطة له وعمل تباعا على احدى سيارات النقل.

ذهب كامل العقيلي بهذه الاسرار رافضا أن يفصح عنها ففقدت الحركة النقابية العمالية بذلك اسرارا هامة تلقي الضوء على فترة من تاريخها. والخشية كل الخشية أن تضيع أسرار نقابية أخرى يتكاسل معاصروها في الكشف عنها. مثل تلك الدورة النقابية الحافلة بالاحداث. دورة ١٩٧١- ١٩٧٣. ومن هنا فاننا نوجه الدعوة على صفحات «اليسار» إلى **أحمد الرفاعي وعبد العظيم المغربي وفتحي محمود وابراهيم خليفة وخيري هاشم** أن يرووا أسرار تلك الفترة العصيبة، كما ندعو قيادات نقابية أخرى أن تقدم ما عندها من أسرار نقابية تثرى بها تاريخ الحركة العمالية المصرية،وفي مقدمتهم **سعد محمد أحمد** الذي ظل على رأس الحركة النقابية فترة طويلة شهدت فيها أحداثا هامة.



تنطلق نظرة الكثير من مؤرخي الاسلام والمهتمين بالدراسات الاسلامية إلى بداية الاسلام في شبه الجزيرة العربية من فرضية محددة تقوم على مبدئين .. **أولاً** إن عرب شبه الجزيرة وخاصة عرب الحجاز تلك الفترة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام مباشرة كانوا غير معنيين بالبحث عن صيغة دينية تختلف تماما عن الوثنية وتتناسب مع مستوى تطورهم الاقتصادي والاجتماعي في تلك الفترة بفعل عوامل عديدة.. **ثانياً**: النظر إلى الاسلام نفسه كدين ظهر فجأة في شبه الجزيرة العربية ليس له صلة بماضيهم .

الحنفاء

والدعوة للتوحيد قبل الاسلام

فادية شرارة

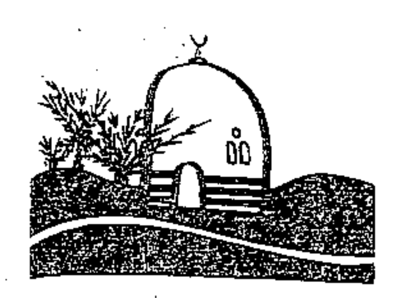
وتلك نظرة غير صحيحة إذ أن الدين لا يظهر في أي مجتمع بشكل فجائي بل إن ظهوره يكون استجابة لانعكاس أوضاع اجتماعية محددة في أفكار وتصورات ذلك المجتمع. كما أن تعاليم الاسلام نفسها تعارض تلك النظرة، إذ أنه حافظ على الكثير من العقائد والشرائع التي كانت موجودة بالفعل كالحج والاشهر الحرم وقدسية الكعبة ونبذ ما كان يتعارض مع مستوى تطورهم الاقتصادي والاجتماعي. وكما يقول **حسين مروة** في كتابه «**النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية**»...

«إن الفئات المعادية للتقدم يهمها جدا ترسيخ كون الدين يظهر منفصلا عن جذوره الاجتماعية وفي انقطاع مطلق عن قضية الصراع الطبقي بالاخص .وفي هذا السياق الايديولوجي نفسه اجتهد كثير من مؤرخي الاسلام قديما وحديثا في أن يجعلوا -أولا- من الاسلام بدءا لتاريخ جديد كليا في حياة العرب منقطعا انقطاعا تاما عن تاريخ حياتهم قبل الإسلام. أي أن كل شئ جاء به الإسلام من تعاليم وعقائد ومفاهيم وشرائع لا صلة له بشئ من ماضي العرب السابق للإسلام. ثم اجتهدوا في أن يجعلوا- ثانيا- تاريخ الفكر العربي مبتدئا بتاريخ ظهور الإسلام بحيث يبدو وكأن الاسلام قد خلق العرب من نقطة الصفر»!.

إن القاء الضوء على التطور الاقتصادي الاجتماعي لمكة في أواخر القرن السادس الميلادي وانعكاس ذلك في ظواهر محددة، ما يؤيد أن مكة في تلك الفترة كانت على بداية تحول تاريخي على صعيد الوعي الديني وكانت **ظاهرة الحنفاء** أهم تجلياته وقد ارتبطت **ظاهرة الحنفاء** بظاهرة أخرى هامة ألا وهي ظاهرة **الشعراء الصعاليك** ، فاذا كانت ظاهرة الحنفاء دلالة على بداية مرحلة جديدة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، فان الصعاليك كان ظهورهم دلالة على تفسخ اطار العلاقات القبلية .فشعر **الصعاليك يوضح على مستوى الوعي تفجير الأطر القبلية القديمة نتيجة للتمايز الطبقي الذى حدث في مكة في القرن السادس الميلادى كمحصلة لتراكم الثروات في أيدي معينة محدودة**، حينما تحولت مكة من مجرد محطة لقبض العشور وترانزيت للتجارة في العالم القديم نتيجة لسيطرتها على طريق التجارة الوحيدة الآمن آنذاك ، إلى التجارة لحسابها مما ادى إلى شدة التمايز الطبقي في مجتمع مكة اذ **انقسم المجتمع إلى طبقة الأثرياء وطبقة العبيد** الذين كانوا يقومون بمهام خدمة التجارة من حراسة وغيرها. وقد أدى ذلك إلى اختلاف أسس العلاقات القائمة فلم تعد الرابطة القبلية هي الأساس .فكانت ظاهرة الصعاليك هي الدلالة على تفسخ العلاقات على الأسس القبلية من ناحية وعلى شدة التمايز الطبقي من ناحية أخرى.

لقد أصبح الشكل الاجتماعي (القبيلة) غير متناسب مع تلك الحالة من نمو الملكية واتساع التجارة، التي أصبحت في حاجة شديدة لطبقة العبيد للقيام بأعمال الحراسة. ومن هنا فان ذلك التطور الاقتصادي وما صاحبه من تغيير اجتماعي كان يحمل في ثناياه بذور شكل أوسع للعلاقات الاجتماعية يستطيع أن يحتوي تلك التناقضات الطبقية ويحمل في طياته شكلاً من أشكال الوحدة السياسية للقيام بالاشراف على





التجارة. فكانت دار الندوة والملاء المكى بزعامة قريش بحكم كونها المسيطرة على العملية الاقتصادية والدينية فى شبه الجزيرة العربية تعبيرا عن النزوع نحو الوحدة.

ولما كان تعدد الآلهة تعبيرا عن التعدد الطبقى والتمايز بين القبائل بما يمثله الوثن من موروث خاص بالقبيلة، فان إلغاء الفوارق على الأساس القبلى وانهيار نظام القبيلة أدى إلى هدم الاطار الاجتماعى الذى تستند إليه عبادة الأوثان فكانت النتيجة الحتمية لذلك هو التخلى عن تعدد الآلهة. **ومن هنا يجب النظر إلى محاولات الكثيرمن القبائل توحيد أصنامها وكذلك الاتفاق على شعائر محددة مثل الأشهر الحرم وتنظيم الحج وفق شعائر محددة وقدسية الكعبة كنزوع للوحدة** ولما كانت أى محاولة لتوحيد مكه تحت إمرة ملك تنشل كمحاولة **عثمان بن الحويرث** ولاية مكة تحت امرة قيصر «فلما جاءهم بذلك انفوا من ان يدينوا لملك وصاح **الأسود** بن اسد بن عبد العزيز إلا أن مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده».

وكان طبيعيا أن تتواتر الأنباء عن قرب ظهور نبى وأن تلج شبه الجزيرة العربية بأخبار الكهان وأخبار اليهود ورهبان النصارى الذين يبشرون بقرب ظهور ذلك النبى كدليل على أن مكة وصلت إلى ذروة التحول على المستوى المعرفى. **فكان ظهور طائفة الحنفاء وثورتهم على عباده الاوثان والايمان باله واحد.** إلا أن هناك عاملاً آخر لا يصح إهماله عند النظر فى أسباب ظهور الحنفاء ألا وهو وجود الديانتين اليهودية والمسيحية فى شبه الجزيرة العربية، وهو ما ساعد على تغيير الوعى الدينى من الحسية الوثنية إلى التجريد فيذكر **أحمد أمين فى فجر الاسلام** إن وجود اليهودية فى شبه الجزيرة العربية أدخل على اللغة العربية مفردات لم يكن الجاهلين يعرفونها مثل **ابليس والشيطان وجهنم**، اذ أن التفاعل بين التصورات الوثنية واليهودية والمسيحية بشأن وجود العالم ومصير الإنسان أدي إلى ظهور تيار ثالث له نظرة متميزة ألا وهو فريق الحنفاء.

«فقد كان طبيعيا خلال التعايش زمنا طويلا بين التصورات الوثنية والأفكار اليهودية والمسيحية بشأن وجود العالم أن يحدث التفاعل بين هذه وتلك وأن يشيع الجدل فى مسائل الخلق والألوهة وطبيعة الآلهة حتى مسائل البعث والقيامة والنبوة ثم أن ينتج التفاعل الطويل الأمد وأن تنتج اختماراته فى ذاكرة الوعى ظهور فريق من الناس فى مجتمع الجاهلية بموقف متميز حيال كل تلك المسائل الكونية أى موقف ليس بوثنى ولا يهودى ولا مسيحى بل متفرد باتجاه الرؤية التأملية كعلامة على ولادة أمر جديد من رحم الأمر القديم نفسه»(٢).

ويذكر **الحنفاء** فى كتب السيرة كأفراد يلتقون على عدة مبادئ عقائدية وعدة مبادئ سلوكية **فهم يرفضون عبادة الأوثان وتعدد الآلهة ويؤمنون باله واحد وبالبعث وبالعقاب والثواب ويتطهرون من الجنابه ويرفضون شرب الخمر وأكل الميتة وما يذبح على الانصاب.** ويذكر ابن هشام في مبتدئ ظهور الحنيفية «اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم- ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث وزيدان بن عمرو بن نفيل-فقال بعضهم تعلموا والله ما قومكم على شئ لقد اخطأوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولايضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما انتم على شئ فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم»(٣).

ومما يدل على أن الحنفاء كانوا تيارا دينيا يخشى منه ما ورد فى **سيرة ابن هشام** من أن الخطاب وقد كان عما لزيد بن عمرو بن نفيل كان يمنعه من دخول مكة خشية أن يفسد عليهم دينهم «وكان الخطاب قد أذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها الا سرا منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم أو يتابعه أحد منهم على فراقة»(٤).

ومن الجدير بالذكر أن النبى (ص) لم يذكر الحنفاء بسوء بل إنه اثنى عليهم بعد مبعثه بالدعوة. ويذكر المسعودى أن الرسول ذكر عن **خالد بن سنان أحد الحنفاء** «ذلك نبى اضاعه قومه» ويذكر عن خالد أنه دخل نار أهله وكانوا أهل مجوسية فلم تحرقه وأطفأها وأن ابنته حينما سمعت الرسول يتلو «قل هو الله الصمد» قالت كان أبى يقول هذا.

كما أن القرآن يذكر أن الدين الاسلامى انما هو امتداد للحنيفية دين ابراهيم ويذكر عن الرسول أنه «على ملة ابراهيم حنيفا».

كما أن الرسول قبل بعثه قابل بعضا منهم مثل **زيد بن عمرو بن نفيل** الذى نهى الرسول عن أكل ما ذبح لأحد أصنام قريش. كما أن الرسول رأى **قس بن ساعده الأيادى** وهو فى سوق عكاظ يدعو الناس للتوحيد وكان يحفظ بعضا من ابياته.

ومن المهم الإشارة إلى التراث الشعرى الذى تركه الحنفاء لانه يعكس مدى تطور أفكارهم التوحيدية.

ومن أهم الشخصيات التى ذكرت فى كتب السير ضمن طائفة



الحنفاء :-

عبد المطلب بن هاشم:

وهو شيبة الحمد بن هاشم نتوقف عنده لسببين .. إن الناس اختلفوا في أمره فمن القائل بانه. كان مشركا ومن القائل إنه كان موحدا.. ومكانته من الرسول وكفالته له في سنين عمره الأولى وتأثيره عليه.

وعبد المطلب تربى في يثرب سني عمره الأولى حيث إن أمه كانت ذات شرف في أهلها فاشترطت على أبيه أن تلد في أهلها فولدته في يثرب وتربى هناك ويثرب في ذلك الوقت يسكنها اليهود، ولقد ذكرنا من قبل تأثير وجود اليهودية على ظاهرة الحنفاء .ويذكر لقاءه **بسيف بن ذي يزن** وبشارته له بانه سيكون هناك نبي من عقبه .ويذكر عن عبد المطلب انه كان مستجاب الدعاء وكان يستسقى به في أيام الجفاف وكان يأتيه الهاتف وهو الذي حفر بئر زمزم **بأمر من الله وكان لا** يشرب الخمر وكان يذهب للتعبد في غار حراء وقال عنه النبي «سيبعث في أبهة الملوك».

.. زيد بن عمرو بن نفيل:

امتنع عن الدخول في اليهودية أو النصرانية واعتزل دين قومه والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الانصاب ويذكر عنه أنه انهى عن قتل الموءودة «وكان يقول للرجل اذا اراد أن يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها الى آكفلها فاذا ترعرت فان شئت تخذها وان شئت فادفعها»(٥).

وهو القائل «**اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه**» وعن اسماء **بنت ابى بكر** قالت «لقد رأيت **زيد بن عمرو بن نفيل** مسندا ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش.والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيرى(٦) ثم يقول اللهم أني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم ثم يسجد على راحته».

ومن شعره حينما كان يستقبل الكعبة..

عذت بما عاذ به ابراهيم
مستقبل الكعبة وهو قائم
وقال أيضا..
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت
على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت
له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سيقت إلى بلدة
اطاعت فصبت عليها سجالا(٧).

.. **سويد بن الصمت**: وهو سويد بن الصامت أخو **بني عمرو بن عوف** وكان يسميه قومه الكامل لجلده وشعره ونسبه وشرفه. ويذكر ابن هشام مقابلته للرسول على النحو التالي «فتصدى له رسول الله حين سمع به فدعاه إلى الله وإلى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذي معي فقال له رسول الله .ما الذي معك؟فقال: مجلة لقمان فعرضها عليه فقال له: ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن انزله الله تعالى على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الاسلام فلم يبعد منه وقال أن هذا لقول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج فاذا رجال من قومه ليقولون انا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث»(٨).

ومما يدل على أن الحنفاء كانوا يقومون بالدعوة للتوحيد في المجتمع المكي قول ابن هشام بأن رسول الله تصدى **لسويد بن الصامت** حينما سمع به ، اذ يمكن القول بان دعوة الاسلام للتوحيد لم تكن حدثا فجائيا في المجتمع الجاهلي.

..**قس بن ساعد الايادي:** كان مقرا بالبعث ولقد رآه الرسول في سوق عكاظ يدعو الناس للتوحيد. ومن المعروف أن سوق عكاظ لم تكن سوقاً تجارية فقط بل كانت منتدى فكريا للعرب وذلك دليل آخر على أن الحنفاء كانوا ينشرون دعوتهم للتوحيد ولقد استرجع الرسول **ابا بكر** بعضا من شعر قس ، وكان من حكماء العرب «وقدم على النبي(ص) وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا: هلك فقال : رحمه الله كأنني انظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول: أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا. من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت أما بعد فان في السماء لخبرا وان في الأرض لعبرا نجوم تمور وبحار تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم قس بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله لدين هو أرضى من دين أنتم عليه مالي أراهم يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا؟ سبيل وتلف وعمل مختلف».

وقال ابياتا لا أحفظها فقام **أبو بكر رضي الله** عنه فقال : أنا أحفظها يا رسول الله فقال : هاتها فقال:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردأ
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تمضي الأوائل والأواخر
لا يرجع الماضي.. ولا
يبقى من الباقين غابر
أيقنت اني لا محالة
حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله (ص) «رحم الله قسا» أني لأرجو أن يبعثه الله امة وحده»(٩).

.. **أمية بن أبي الصلت:** كان شاعرا عاقلا وكان يتجر إلى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان قد علم أن نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث (النشور) والجنة والنار ويعظم الله عز وجل يوحده من ذلك قوله:

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما
ووصف أهل الجنة فقال:
فلا لغو ولا تأثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم»(١٠).

وكان أمية من حكماء العرب ويذكر أنه السبب في كتابة قريش «باسمك اللهم» ولقد استخدمها رسول الله فترة ثم تركها وقد كان يؤمن بالبعث والحساب والعقاب وهو القائل لأبي سفيان «والله يا ابا سفيان لتبعثن ثم لتحاسبن وليدخلن فريق الجنة وفريق النار»(١١).

ولقد كان أمية يعلم أنه سيبعث نبي في مكة ولقد كان يتمنى أن يكون ذلك النبي، ولقد قيل أنه كاد أن يسلم لولا حسده للنبي (ص) وهو القائل لابي سفيان «أني كنت أجد في كتبي نبيا يبعث من حركتنا هذه فكنت أظن بل كنت لا أشك أني أنا هو فلما دارست أهل العلم اذ هو من **عبد مناف** فنظرت في بني عبد مناف فلم أجد أحداً يصلح لهذا الأمر **غير عتبه بن ربيعه** فلما أخبرني بسنه عرفت أنه ليس به حين جاوز الأربعين ولم يوح إليه قال ابو

سفيان فضرب الدهر ضربه فأوحى إلى رسول الله وخرجت فى ركب من قريش اريد اليمن فى تجارة فمررت بأمية فقلت له كالمستهزئ به يا أمية قد خرج النبى الذى كنت تنعته قال اما أنه حق فاتبعه قلت: ما يمنعك من اتباعه قال: ما يمنعني الا الاستحياء من نساء ثقيف أنى كنت أحدثهن أنى هو ثم يرينني تابعا لغلام من بنى عبد مناف»(١٢).

ويذكر ابن كثير عن لقائه بالرسول ما يلي: «غدا أمية فى جماعة من قريش قال وغدا رسول الله معه نفر من أصحابه حتى جلسوا فى ظل الكعبة قال فبدأ أمية تخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى اذا فرغ الشعر قال اجبنى يا ابن عبد المطلب فقال رسول الله(بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم» حتى اذا فرغ منها وثب أمية يجر رجليه قال فتبعته قريش يقولون ما تقول يا أمية قال أشهد أنه على الحق فقال هل تتبعه قال حتى أنظر فى أمره قال ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله المدينةفلما قتل أهل بدر قدم أمية من الشام حتى نزل بدرا ثم رحل يريد رسول الله فقال قائل يا أبا الصلت ما تريد؟ قال أريد محمدا قال وما تصنع؟ قال أؤمن به والقى اليه مقاليد هذا الأمر قال: اتدرى من فى القليب قال : لا قال : فيه عتبه بن ربيعة وشيبه بن ربيعه وهما ابنا خالك -وأمه ربيعه بنت عبد شمس-قال فجدع اذنى ناقته وقطع ذنبها»(١٣).

وينفرد أمية بن أبى الصلت بين الحنفاء بما ذكر عنه فى البداية والنهاية لابن كثير من قصة شق قلبه «**قال اسحاق بن بشر عن محمد بن اسحاق عن ازهرى عن سعيد بن المسيب** قال : قدمت الفارعه اخت أمية بن أبى الصلت على رسول الله بعد فتح مكة وكانت ذات لب وعقل وجمال وكان رسول الله بها معجبا فقال لها ذات يوم يا فارعة هل تحفظين من شعر أخيك شيئا فقالت نعم وأعجب من ذلك ما قد رأيت قالت: كان أخى فى سفر فلما انصرف بدأنى فدخل على فرقد على سريرى وأنا أحلق اديما فى يدى اذ أقبل طائران ابيضان أو كالطيرين أبيضين فوقع على الكره أحدهما ودخل الآخر فوقع عليه فشق الواقع عليه ما بين قصه إلى عانته ثم أدخل يده فى جوفه فاخرج قلبه فوضعه فى كفه ثم شمه فقال له الطائر الآخر أوعى قال وعى قال أزكى قال أبى ثم رد القلب إلى مكانه فالتأم الجرح أسرع من طرفه عين ثم ذهبا فلما رأيت ذلك دنوت منه فحركته فقلت هل تجد شيئا قال لا إلا توهينا فى جسدى- وقد كنت ارتعبت مما رأيت -فقال مالى أراكى مرتاعة قالت: فأخبرته الخبر فقال خير أريد بى ثم صرف عنى ثم أنشأ يقول:

باتت همومى تسرى طوارقها
اكف عينى والدمع سابقها
مما اتانى من اليقين ولم
أوت براه يقتص ناطقها
أم من تلظى عليه واقده
النار محيط بهم سرادقها
أم أسكن الجنة التى وعد
الابرار مصفوفة نمارقها
لا يستوى المنزلان ثم ولا الأعمال لا تستوى طرائقها
هما فريقان فرقة تدخل الجنة حفت بهم حدائقها
وفرقة منهم قد أدخلت النار
فساءتهم مرافقها
تعاهدت هذه القلوب اذا
همت بخير عاقت عرائقها
وصدها للشقاء عن طلب
الجنة دنيا الله ما حقها
عبد دعا نفسه فعاتبها
يعلم أن البصير رامقها
ما رغب النفس فى الحياة وان تحيى قليلا فالموت لاحقها
يوشك من فر من منيته
يوما على غرة يوافقها
ان لم تمت غبطة تمت هرما
للموت كأس والمرء ذائقها

فقال رسول الله عنه لاخته «يا فارعة إن مثل أخيك كمثل الذى اتاه الله آياته فانسلخ منها الآية»(١٤).

ويذكر ابن كثير أيضا أن النبى استرجع من شعر ابن أبى الصلت «حدثنى ابراهيم بن ميسره أنه سمع **عمرو بن الشريد** يقول قال الشريد: كنت ردفا لرسول الله فقال لى : ألك من شعر أمية بن أبى الصلت شئ ؟ قلت نعم قال فأنشدنى فانشدته بيتا فلم يزل يقول لى كلما انشدته بيتا آية حتى انشدته مائة بيت قال ثم سكت النبى وسكت»(١٥).

وما سبق يتضح: ان **الدعوة للتوحيد كانت قائمة فى حياة العرب قبل الاسلام**، وذلك كاستجابة لواقع موضوعى محدد نتيجة لظروف اجتماعية واقتصادية معينة كانت تنحو بمكة ناحية التوحد. ولقد افرز ذلك على مستوى الوعى: ايديولوجية جديدة تتفق مع الرغبة فى التوحيد . ألا وهى ايديولوجية الحنفاء الذين دعوا إلى إله واحد ونبذ تعدد الآلهة وكان ذلك التيار الدينى يختلف عما كان مألوفا فى شبه الجزيرة العربية. وان شعائر الاسلام تتفق مع كثير من تعاليم الحنفاء بل ان الرسول لم يذكرهم بسوء بل إنه اثنى عليهم وترحم عليهم بل إن القرآن عده على ملة ابراهيم حنيفا. وان الرسول نتيجة لدعوتهم للتوحيد فى أسواق مكة تصدى لهم وناظرهم مثل مقابلته لسويد بن الصامت وأمية بن أبى الصلت.

هوامش

(١) سيرة ابن هشام هامش ص٢٢٧ ج٢
(٢) حسين مروه النزعات المادية ج١ ص٣٠٩.
(٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٢٥.
(٤) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٣١.
(٥) ابن كثير البداية والنهاية ج٢ ص٢٣٧.
(٦) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٢٧.
(٧) المصدر السابق ص٢٣١.
(٨) سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٨٦.
(٩) مروج الذهب للمسعودى ج١ ص٦٩-٧٠.
(١٠) مروج الذهب للمسعودى ج٢ ص٢٢.
(١٢) المصدر السابق ص٢٢٤.
(١٣) المصدر السابق ص٢٢٦.
(١٤) البداية والنهاية ج٢ ص٢٢٥-٢٢٦ ابن كثير.
(١٥) المصدر السابق ص٢٢٨.



مصير الماركسية

لطيف فرج

تثور أسئلة عديدة لدى المثقفين المصريين وعلى مستوى العالم حول مصير الماركسية والماركسيين منذ سقوط النظام السوفييتي والنظم الشيوعية في شرق أوروبا، وتدهور الأحزاب والمنابر الشيوعية، وتوقف الفكر الماركسي عن التألق بدءاً من الثمانينيات. وفي حين أن الحوار يدور في مؤتمرات وندوات عامة تعقد في أوروبا بل وفي أمريكا، وتقوم المجلات الأوروبية المتخصصة بنشر آراء مختلف التيارات الفكرية حول الماركسية، كما أن الدراسات الجادة تجري بشأنها خاصة في الجامعات البريطانية والأمريكية، إلا أننا لا زلنا في مصر نكتفي في أحسن الأحوال بالتساؤل في حياء أو شماتة (وفقاً للاختيارات الشخصية). أو بالدردشة بين الأصدقاء وفي غرف مغلقة. وتدور هذه الأسئلة حول حقيقة الماركسية، وأسباب هذا النجاح غير المسبوق للفكر الماركسي الذي هيمن -أكثر من أي فكر آخر- على القرن العشرين؟ ماهو المصير الذي آلت إليه النظرية الماركسية والماركسيون؟ هل جاء أوان عمل «حساب ختامي» لما قامت به كحركة فكرية شاملة وشمولية؟ هل ثبت فشلها نهائياً. أو أنها لا تزال سارية المفعول ولو جزئياً؟ وهل كانت «باراديماً» [أي نموذج إرشادي وقياسي سائد] انتهى زمنه. أم أنها نظرية علمية لا تزال سارية المفعول وقائمة طالما أن الرأسمالية قائمة؟ ترى هل يتم اليوم تجديد الماركسية وكيف ذلك ومن يقوم به؟ وما هي المدارس الماركسية الموجودة على الساحة العالمية الآن؟

لا جدال بأن بذل مجهود فردي للبحث عن إجابات لهذه الأسئلة جميعها هو مهمة شاقة، تستلزم وقتاً طويلاً، ذلك لأن الميراث السياسي ثقيل ويضغط علينا بشدة لدرجة يصعب معها القيام بالتفرقة بين ما هو تحليل علمي وموضوعي وما هو إيديولوجية سياسية. ومما يزيد من البلبلة والاختلاط أنه توجد عدة ماركسيات لا ماركسية واحدة. كما أن بعض الجماعات والمنظمات التي تعلن بأنها «ماركسية» قد لا يرضى ماركس ذاته عنها. ومع ذلك قد يكون من المناسب البدء بالسؤال الأول:

ماهي الماركسية؟ وما أسباب هذا النجاح غير المسبوق للفكر الماركسي الذي هيمن -أكثر من أي فكر آخر- على القرن العشرين الذي عشناه ونعيشه؟

لقد سال مداد وفير، كما جرت أحاديث لا نهاية لها بشأن الماركسية سواء بالخير أو بالشر، بحق أو بغير حق لدرجة أن الصورة التي تكونت عنها تتباين بشدة. ويمكن الإجابة باختصار بأن الماركسية ابتغت أن تكون نظرية ذات طموح علمي في ذات الوقت الذي أرادت فيه أن تكون مشروعاً سياسياً ثورياً. ويصعب فصل هذين البعدين عن بعضهما. لقد استخدم مؤلف كتاب «رأس المال» نظريته عن فائض القيمة «كحجر زاوية» لتفسير الرأسمالية ولتحليل طبيعة الرأسمالية وتطورها (تراكم رأس المال وتوسعه، تزايد إفقار الطبقة العاملة، أزمات فائض الانتاج). كما عرض الأسباب الأخلاقية للثورة ضد هذا النظام «المستغل». وبهذا تم على المستوى العلمي كشف الستار عن طبيعة النظام الرأسمالي في القرن التاسع عشر، وأدى ذلك إلى إدانة البؤس والاستغلال على المستوى الإيديولوجي.

وكانت أعمال ماركس شاملة، لكنها غير تامة. كانت شاملة لأنها تناولت في مجال **الاقتصاد**: تحليل الرأسمالية التي تستغل العمال، وفي **الفلسفة**: نظرية المعرفة. وموضع العمل الإنساني باعتباره الجوهر، والمنهج المادي والجدلي، وفي **علم الاجتماع**: نظرية الطبقات التي تقول بوجود طبقتين رئيسيتين هما البورجوازية والبروليتاريا. وفي مجال **العلم السياسي**: نظرية الدولة المعتبرة بأنها أداة سلطة لخدمة الطبقة المهيمنة، وفي **التاريخ**: باعتباره تطوراً حتمياً ينتهي بانتصار المجتمع الشيوعي غير الطبقي... والواقع أن ماركس هو أحد الآباء النادرين المؤسسين للعلوم الإنسانية الذي يمكنه الاعتزاز بوجود مكان له في كتب الاقتصاد وعلم الاجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيا. ومع ذلك تظل أعماله متسمة بعدم الاكتمال. والدليل على ذلك هو عدم اكتمال التحليل الخاص بتطور الرأسمالية. فقد تم نشر الجزء الأول فقط من كتاب رأس المال أثناء حياة ماركس، وظلت الكتب التالية التي عرض فيها نظريته الكاملة عن الدولة، أو الطبقات الاجتماعية مجرد مخطوطات غير مكتملة قام إنجلز En-gels بنشرها فيما بعد. وكان عدم الاكتمال هذا من بين أسباب

حدوث تفسيرات وتأويلات عديدة.

وأخيراً فإن النصوص الماركسية غير واضحة تماماً. وتتميز -مثل جميع الأعمال الكبيرة - بغناها وبغموضها في آن واحد. فإننا نجد مثلاً نصوصاً تؤكد حتمية التاريخ، وأخرى أكثر انفتاحاً عن تطور المجتمعات. وقد أوضح المفكر **جون السنر** Jon Elster في كتابه الصادر عام ١٩٨٥ مجموع هذه التناقضات.

غير أن الماركسية ظلت خلال حوالي مائة عام تمثل بالنسبة لملايين البشر في الدول الرأسمالية المتقدمة كما في الدول النامية أملاً في الخلاص. وقد أثرت بعمق أيضاً في تطور العلوم الإنسانية منذ قرن كامل.

ويقول الفيلسوف الايطالي **لوشيو كوليتي** Lucio Colletti المتأثر بالماركسية «أحد التساؤلات الصعبة التي تركها لنا ماركس لكي نجد لها تفسيراً هو النجاح التاريخي وغير المسبوق لأعماله». ويقول الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي **ريمون آرون** Raymond Aron المناهض للماركسية: «نظرية فائض القيمة لها جانب علمي وآخر أخلاقي. وأدى الاقتران بين هذين العنصرين إلى منح الماركسية انتشاراً وقوة إشعاع غير مسبوقة. لقد وجدت الأذهان العقلانية فيها إشباعاً، كما لقيت النفوس المثالية أو الثائرة ارتياحاً». لقد كانت الماركسية غذاءً للعقل وللفعل معاً. كما كانت تؤثر في كل من العقل والقلب.

ومن المحتمل بأن الماركسية لم تكن لتصبح إيديولوجية حقيقية وتنتشر في العالم أجمع من غير دعامة تنظيمية قوية هي: دعامة الأحزاب والحكومات الشيوعية. وكان نجاح ماركسية القرن العشرين مرهوناً بظروف سياسية متتابعة هي: الثورة الروسية، معاداة الفاشية، الأزمات الاقتصادية للرأسمالية، الحركات الوطنية لتصفية الاستعمار... وقد انتشرت فوق أرض خصبة في البلدان المتسمة بثقافة سياسية راديكالية تدعو إلى المساواة مثلما أوضح **فرانسوا فوريه** François Furet في كتابه الضخم «أوهام مضت» الصادر عام ١٩٩٥.

غير أنه بدءاً من الثمانينات أدى سقوط الاتحاد السوفييتي وأزمة الأحزاب الشيوعية إلى إعادة فحص المسلمات المؤسسة للعقيدة الماركسية. ومن ثم أصبحت المواقع التي كانت تعمل من أجل المحافظة على الثقافة الماركسية (المؤسسات، والحلقات الدراسية، والمجلات) تعاني من الصعوبات المالية التي أصابت الأحزاب الشيوعية. وفي هذا السياق حدث تباعد بين الماركسيين حول الموقف الذي يجب اتخاذه من أجل تجديد الماركسية:

فهل يتم تجديد الماركسية اليوم وكيف ذلك ومن يقوم به؟ وما هي المدارس الماركسية الموجودة على الساحة العالمية الآن؟

لقد شرع البعض في القارة الأوروبية في عملية «جرد» للماركسية بإعادة قراءة أعمال ماركس بطريقة عقلانية نقدية، في حين سجل آخرون فشل الماركسية وبطلانها وبدأوا في استكشاف آفاق ثقافية جديدة. وبين الموقف الماركسي الأصولي الذي يقبل غالبية الفرضيات الماركسية-مثل فرضية الصراع الطبقي كمحرك للتاريخ. واستقطاب المجموعات الاجتماعية حول البروليتاريا والبرجوازية، وفرضية إفقار البروليتاريا- وبين الموقف المنفتح الذي يكتفي بتأكيد وجود طبقات اجتماعية ذات مصالح متعارضة توجد تشكيلة كبيرة من المواقف الوسيطة. ومن سخريات القدر أن الجامعات الانجليزية والأمريكية هي التي تقدم للماركسية اليوم إمكانيات التجديد الأكثر أصالة. فقد نمى في هذه الجامعات تيار «**الماركسية التحليلية**» الذي يسعى إلى إخضاع نظرية ماركس لفحص علمي دقيق، مع تخليصها من افتراضاتها الفلسفية أو الإيديولوجية. ويتسم هذا التيار بأنه أكاديمي أكثر مما هو مرتبط بالممارسة السياسية.

وفي فرنسا تقوم مجلة «**أكتويل ماركس**» Actuel Marx (أي ماركس المعاصر) أساساً بعملية جرد الماركسية هذه، وهي المجلة التي أسسها **ج. بيديه** J. Bidet و**ج. تيكسييه** J. Texier، وتضم مثقفين من أمثال **ج. لابيكا** G. Labica و **إ. باليبار** E. Balibar... وغيرهم من الأعضاء السابقين بالحزب الشيوعي الفرنسي أو من أعضائه الحاليين الذين يحتفظون بتفكيرهم المستقل عن انتمائهم الحزبي. وتتركز القراءة النقدية لهؤلاء المثقفين حول ثلاثة موضوعات رئيسية:

١- أولاً الاعتراض الموجَّه ضد الماركسية بشأن طموحاتها الأصلية. إذ هي تطمح إلى تزويدنا بأدوات للتحليل تسمح بفهم طبيعة الوسط الاجتماعي، وتساعد على التعجيل في تغييره. ومع ذلك فهذا الأمر أصبح موضع شك مزدوج: الشك في قدرة الماركسية على وصف آليات المجتمعات الحديثة. وفي قدرتها على تقديم بديل عن الرأسمالية يجذب الجماهير.

٢- قدرة الماركسية على التنبؤ. لقد تنبأت بأن الرأسمالية «تحفر قبرها بذاتها». غير أن الرأسمالية برهنت على قدرتها على التغلب على تناقضاتها الداخلية، وتأمين زيادة الانتاج، بل وتحقيق بعض الرفاهية الاجتماعية.

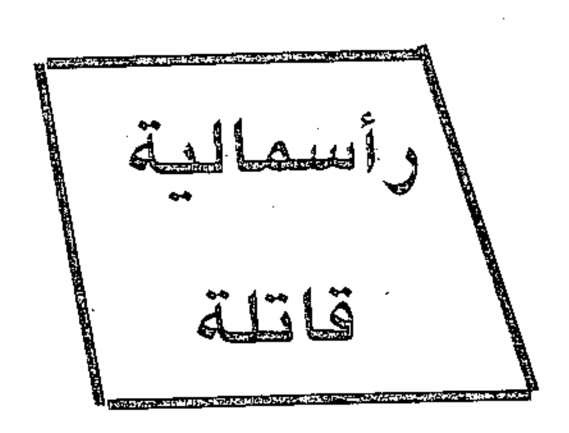
٣- الشكوك المحيطة بالجوهر العلمي للماركسية. لقد أصبحت الفكرة القائلة بأن الماركسية تقيم نظاماً تاماً لتفسير العالم، أو نموذجاً كاملاً لفهم الحركة الاجتماعية شبه مرفوضة تماماً اليوم. لقد قال **شارل بيتلهايم** الذي يعتبر من أهم الاقتصاديين الماركسيين في فرنسا ومن أهم الخبراء العالميين في شئون «المجتمعات النامية» أن التاريخ لا يسير في اتجاه حتمي ومحدد مسبقاً. ويجب النظر إلى فرص تحسين المجتمعات الحالية بأنها احتمالات وليست حتميات.

وتوجد في أوروبا أيضاً بعض تيارات الفكر النابع من الماركسية ومن أصول متباينة أخرى والتي تتشابه مع الماركسية من بعيد. هذا مثلاً هو شأن النظرية الاقتصادية الخاصة بالتنظيم أو التخطيط المسماة «Regulation». لقد ظل المرجع في هذه الحالة هو الرؤية الشاملة لتطور الرأسمالية، مع التخلي عن نظرية فائض القيمة، ونظرية الأزمات، وفرضية إفقار البروليتاريا... ويظل هناك أيضاً بعض «**الماركسيين الجدد**» الذين يتمسكون باستمرار فاعلية هذا الجانب أو ذاك من النظرية الماركسية.

وأخيراً يوجد أولئك الذين يدافعون عن المنجزات الكلية للفكر الماركسي ويجتهدون من أجل تجديد حيويته وانفتاحه. فقد أصدر **دانييل بن سعيد** أستاذ الفلسفة بجامعة باريس كتابين أخيرين يحاول فيهما إبراز أن افتراضات ماركس بشأن طبيعة الرأسمالية وتقلباتها وأزماتها تتفوق على الرؤية المبسطة التي تقدمها النماذج الليبرالية الخاصة بالسوق. وباختصار فانه يُظهر جدوى الماركسية «المنفتحة» التي ستحتفظ بقدرتها النقدية طالما أن النظام الرأسمالي لا زال قائماً، ويؤكد وجود «نواة صلبة» في النظرية الماركسية هي نقد الاقتصاد السياسي ونقد رأس المال. يقول بن سعيد «طالما أن نظرية فائض القيمة، ونظرية الاستغلال، ونظرية المنافسة. الخ لم يتم دحضها بجدية، وطالما أننا لا نملك نظرية أفضل فإنني لا أجد ما يمنع من الاستعانة بهذه المقولات الماركسية.» ويؤكد بن سعيد أن ماركس ليس خالداً لأن الرأسمالية أيضاً ليست خالدة، لكنه يعيش «فيما وراء زمانه»، لأنه رجل الأمس واليوم ومن المحتمل أن يكون رجل بداية القرن القادم على الأقل».

فكر

نيوزويك تسميها:



في مقال سابق (نوفمبر ٩٦) اشارت اليسار إلى كتاب «**فخ العولمة**» للكاتبين الالمانيين **هانز بيتر مارتين وهرالد شومان** . وقد بدأت اليسار بعرض الكتاب في العدد الماضي.وقد تناول الجزء المنشور ظاهرة سيطرة الامبراطوريات الاعلامية على ما يستقبله البشر من معلومات وفن وثقافة والتي تلقن الناس في كل القارات «**حلما مشتركا أمريكيا**». كما تعرض الموضوع المذكور لآفاق التطور الاقتصادي في العالم كما يراها قادة وخبراء النظام العالمي الجديد وكما يحاولون تطبيقها ، وهو تطور ينذر بأن يصبح ٨٠ بالمائة من القادرين على العمل في كل العالم شعبا عاطلا فائضا عن الحاجة «اذ لن يبقى هناك في ظل تطور معين لانتاجية العمل وظائف سوى لعشرين بالمائة فقط وتحدث المقال عن ديكتاتورية السوق التي لم تأت بتقدم حقيقي بل تمثل إصلاحا مضادا». وذكر المقال السابق نوعية اهتمام مخططي «**الحضارة الجديدة**» مثل **زبجنيف برجنسكي** بمصير الشعوب، اذ يفكرون في استراتيجية تخدير و«ارضاع» تبقى على الشعوب هادئة وراضية بمصيرها. واختتم الموضوع بتسجيل ظاهرة تتكرر الآن في الأدب السياسي والاقتصادي المعاصر في أوروبا، وهي أن واقع التطور الراهن، وفي أكثر بلدان الرأسمال تطورا، يذهب بالمحللين الجادين لاستنتاج ما كان **كارل ماركس** قد استنتجه منذ أكثر من قرن وربع.

وفي هذا العدد نواصل العرض مركزين على أهم ما جاء به الكتاب عن ممارسات السياسة النيوليبرالية لزيادة الارباح في اطار اقتصاد عالمي ازداد تشابكه بعد فرض حرية التجارة والرأسمال العالميين، وما تعنيه هذه السياسات للعاملين، وما تثيره من قلق يصل

نبيل يعقوب

إلى الادوار العليا من المؤسسات الحاكمة.

ويتعرض هذا الجزء لنموذج المكسيك التي ظل البنك الدولي وقرينه صندوق النقد الدولي يقدمانها للعالم باعتبارها التلميذ المثالي المطيع لنصائحهما إلى أن حدث الانهيار المدوي للاقتصاد المكسيكي عام ١٩٩٤.

وليسمح لي بملاحظة أنني بهذا العرض أتوخى تقديم بعض جوانب من كتاب بالغ الأهمية بغرض اتاحته لقارئ العربية **باستخدام مصطلحات كاتبيه وبدون مناقشة محتوياته الان**. إلا أنني عازم على تناول الموضوع كله بالتعليق بعد الانتهاء من عرض الكتاب.

«شريحة الذئاب»

يقدم الكتاب صورة عن مغزى ثورة الاتصالات والمعلوماتية بالنسبة لعمل الشركات الكبرى «**والعابرة للقارات**» ويعطي مثالا راهنا عن تصميم سيارات فورد.

وتجري شركة **فورد**- ثاني منتج سيارات في العالم-عمليات التصميم بالتعاون بين مراكزها في أمريكا (**ديربورن في ولاية ميتشيجان**) والمانيا (**كولونيا**). ويتم اتصال المصممين بعضهم ببعض عبر شبكات الكومبيوتر. ويتم العمل- رغم المسافة الجغرافية الهائلة التي تفصلهم- وكأنهم موجودون معا في استوديو عالمي واحد لتصميم السيارات لا يتأثر بحدود المكان والزمان. تكنولوجيا المعلوماتية الحديثة تمكن من تركيز الجهود ومنع تكرار الأعمال وتحقيق التنسيق الأمثل على النطاق العالمي. احتاج تصميم موديل **مونديو** من انتاج **فورد** إلى شهرين و ٢٠ جلسة عمل عالمية مشتركة وموديل **تاوروس تم تصميمه في ١٥ يوما وثلاثة اجتماعات متابعة فقط. ويعني تطبيق هذا التنظيم والتكنولوجيا العالية** تحقيق وفر هائل في كافة مراحل البحث والانتاج والتسويق ويشمل هذا الوفر أيضا الاستغناء عن قدر كبير من العمالة حتى الحاصلة على أعلى مستويات التأهيل.

بفضل هذا التقدم المذهل حققت الشركة ٦ مليار دولار ربح عام ١٩٩٤ . ولم يأت هذا التجديد التكنولوجي عقب أزمة كما هي العادة في دورة الانتاج الرأسمالي، بل جاء بفضل استخدام الامكانيات التي تتيحها حاليا أحدث تكنولوجيا عالمية. وبالطبع سيعم هذا المنهج كافة الفروع الصناعية.

ولكن بماذا تأتي هذه «**الثورة**» بالنسبة للمهندسين والفنيين؟واقع التطور الجاري يبين أن الاطار الاجتماعي الذي يتحقق فيه هذا التقدم التكنولوجي يجعل الخوف من فقدان مكان العمل (الوظيفة) يعم كافة فروع الاقتصاد.

ولم يعد هذا الخوف قاصرا على ورش وقاعات الانتاج. حتى البنوك وشركات التأمين لم تعد وظائفهما مضمونة. ومنذ أن بدأت المنافسة الحادة بين البيوتات المالية العالمية بات من المتوقع أن يلقى موظفوها مصيرا مثل مصير عمال النسيج (انكمش هذا الفرع الاقتصادي في أوروبا وكاد يتلاشى).

في البداية جاء العمل بخزائن النقود الأوتوماتيكية وطابعات حساب العملاء. والآن بدأت البنوك وشركات التأمين والاستثمار الأمريكية واليابانية تقتحم سوق الادخار والائتمان الالماني. وبدأت المنافسة تحتدم منذ أن عرضت أمريكان اكسبريس فتح حسابات جارية بفوائد أعلى من دفاتر التوفير. ومنذ بدأت «**البنوك التليفونية**» تعمل ٢٤ ساعة بالاتصال التليفوني أو بالكومبيوتر الشخصي من المنزل وتؤدي معظم الأعمال البنكية المعروفة، ومنها تحويل المدخرات إلى ايداعات ذات فوائد أعلى خلال دقائق. بدأت الحاجة إلى موظفي البنوك المتخصصين تتناقص وبدأ الاستغناء عنهم بالجملة. ولا فرصة للاحتفاظ بالعمل إلا بقبول أجر يكاد لا يزيد عن نصف الأجر السابق.

ولم تعد بنوك سويسرا هي النموذج الذي تتغنى بكفاءته الدوائر المالية. خبراء المال في واشنطن ونيويورك يسخرون من «**النظام الشائخ وغير الكفء للبنوك الأوروبية**» بما فيها السويسرية وبدأوا ينافسونها في عقر دارها.

وتكشف دراسة لشركة **كوبرز وليبراند** المتخصصة في أبحاث السوق واستشارات الشركات أن من المتوقع أن يستغني ٥٠ بنكاً قيادياً في العالم عن نصف موظفيهم خلال السنوات العشر القادمة. يعني هذا أن نصف مليون انسان في ألمانيا سينضمون لجيش العاطلين عن العمل.

ثلاثة متخصصين هنود = سويسرى واحد

يشهد آخر: وادي السيليكون في كاليفورنيا كما تسمى مراكز صناعات الكومبيوتر في الولاية الأمريكية.

في منتصف الثمانينات حاول مديرو شركات الكمبيوتر الكبرى المنتجة للسوفت وير ومنها **هوبلت باكارد، وموتورولا، وآي بي ام** .. حاولوا تخفيض تكلفة الانتاج وزيادة الارباح باستيراد قوى عاملة متخصصة من الهند باجور منخفضة ونظموا نقلها بطائرات **شارتر** استأجروها . ولكن عملية شراء العقول كما أطلقوا عليها في أمريكا **Brain Shopping** نشلت وقتها بسبب مقاومة المتخصصين الأمريكان ورفض الحكومة الأمريكية. إلا أن الاحتجاجات، وإن نجحت في منع نقل الهنود للعمل في أمريكا ، لم تمنع أن ينتقل العمل اليهم في الهند. الآن يعمل ١٢٠ ألف هندي وهندية عالي التخصص من خريجي جامعات ومدارس **نيودلهي وبومباي** لحساب شركات الكومبيوتر الأمريكية والالمانية وللبنوك السويسرية وغيرها. وقد خصصت الحكومة الهندية مناطق بأسرها جهزتها على نفقتها بالقاعدة الارتكازية المطلوبة بدءا بقاعات العمل الكبيرة المكيفة الهواء إلى تأمين الاتصالات عبر الأقمار الصناعية. وخلال سنوات قليلة قامت «**المدينة الالكترونية**» في بينجالوري الواقعة في مركز الهضبة الهندية.

ولكن خلال ١٠ سنوات منذ بداية «**شحن المستخدمين**» إلى كاليفورنيا تغير الوضع كليا في الولايات المتحدة وأوروبا واليابان. في ألمانيا استغنت أكبر ٣ شركات كومبيوتر ألمانية عن عشرة آلاف وظيفة منذ ١٩٩١. وترسل شركات الطيران السويسرية (**سويس اير**) والبريطانية والالمانية (**لوفتهانزا**) جزءا كبيرا من حساباتها إلى شركات هندية لتشغلها لها. مثل شركة سويس اير هي التي قال «**بثمن سويسري واحد نشغل ثلاثة هنود**» وفوق هذا وفرت الشركة ملايين الفرنكات. ويملك أكبر بنوك ألمانيا (**دويتشه بنك**) لهذا الغرض فرعا في بنجالوري. ولا يحتاج الأمر للقول أن الهنود يحصلون على جزء يسير جدا من المرتب الذي يدفع لذات العمل في بلاد الشمال.

ولكن العجلة تدور بلا توقف.. في بلدان شرق أوروبا مليون متخصص في المعلوماتية يطرقون أبواب سوق العمل منذ عام ١٩٩٠ .. وبالمقارنة بروسيا وأوكرانيا أصبحت الهند غالية. وسرعان ما تعاقدت شركات ألمانية كبرى في شتى الفروع مثل **دايملربينز** مع شركات روسية وأوكرانية ومن روسيا البيضاء لتؤدي أعمال برمجة ومتابعة لعمل شركات في ألمانيا بالكومبيوتر وعبر الاتصال بالاقمار الصناعية.

وليس كل هذا خاتمة المطاف! اذ لا يمثل العمل الرخيص والبحث الدؤوب عنه سوى ظاهرة مؤقتة. الكومبيوتر نفسه سيحسم هذا التنافس المنهك عندما ينتج قريبا «موديولات» سوفت وير ولغات برمجة جديدة ستغني عن غالبية العاملين في هذا الفرع الاقتصادي.

وهناك تنبؤات مفزعة تقول أن ٢٠٠٠ (الفين) مشتغل فقط من بين مائتي ألف سيحتفظون بوظائف في صناعة السوفت وير في ألمانيا أي واحد بالمائة فقط. وعندما يعم استعمال الكومبيوتر المتصل بشبكة التليفون كل الأسر (فيتم الاتصال من المنزل أو مكان العمل مباشرة بالبنوك وبالبيوت التجارية وشركات السياحة والمكتبات والصحف لاعطاء أوامر دفع نقود أو شراء سلع أو حجز بطاقات سفر أو للاطلاع على ما تنشره الصحف .. كل هذا بواسطة الكومبيوتر الشخصي المتصل بشبكة التليفون) سيقع التحول الكبير وتنهار اجزاء كبرى من سوق العمل.

مستقبل ملايين البشر على مذبح السوق العالمي

توصل الباحثان من تحليل لاحصاءات البنك الدولي ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصاديةOECD ومعهد **ماكينزي** العالمي وهيئات أخرى إلى أن السنوات القادمة ستشهد- فوق البطالة الراهنة- فقدان ١٥ مليون عامل وموظف لعملهم في بلدان الاتحاد الأوروبي . والمانيا بها- ونكرر هنا: زيادة على عدد العاطلين عن العمل حاليا- أكثر من أربعة ملايين وظيفة مهددة. ويمكن أن تصل نسبة البطالة إلى ٢١ ٪ (حاليا

٩,٧٪) .وفي النمسا قد تصل النسبة من ٣,٧٪ حاليا إلى ١٨٪.

ويكتب المؤلفان : الخوف من المستقبل والشعور بعدم الأمن ينتشران .والترابط الاجتماعي يتفكك. إلا أن غالبية المسئولين يحجمون عن تحمل المسئولية». الحكومات ومجالس ادارات الشركات الكبرى التي تقف حائرة تواصل في الوقت نفسه محاولة تأكيديراءتها. وهي تقول لناخبيها وللعاملين عندها ان التحولات المحترمة في «البنية» هي السبب في التخلص من أعداد هائلة من أماكن العمل..

يعلن المسئول في الحكومة الأوروبية أنه لا مستقبل للصناعات الأوروبية اذا ظلت الأجور في أوروبا على ارتفاعها لأن المنافسين في الصين وفيتنام ينتظرون ! وتكتب **وول ستريت جورنال** (طبعة أوروبا١٢-٣-٩٣) انه لم تعد هناك وظيفة مضمونة «بسبب نشوء سوق عمل عالمي».

ويناقش المؤلفان الادعاء القائل بأننا ازاء «**عملية تجرى بقوة قوانين الطبيعة**». قال ادوارد رويتر عندما كان يحتل منصب رئيس شركة **دايملر بينز** «ان المنافسة في القرية العالمية مثل العواصف.. لا يستطيع أحد أن يهرب منها» (١٩٩٣). ويرد المؤلفان: «ان توحيد الاقتصاديات عبر كافة الحدود في الواقع ليس بأي حال من الأحوال قانونا طبيعيا.. بل هو نتاج سياسات حكومية يجري تطبيقها عن وعي في بلدان الغرب الصناعية منذ سنوات، وهي سياسة مستمرة حتى اليوم».

من كينز إلى هايك أو«النضال من أجل تحرير رأس المال

يذكر المؤلفان بالطريق الذي أدى إلى الحالة الراهنة للاقتصاد العالمي منذ توقيع اتفاقية جات عام ١٩٤٨ بين الولايات المتحدة وبلدان أوروبا الغربية حتى قيام منظمة التجارة العالمية عام ١٩٩٤ والتي تعمل على الغاء ما تبقى من عوائق في وجه التجارة العالمية مثل احتكارات الدولة أو الشروط التكنيكية التي تفرض الدول أن تكون متوفرة في الواردات.

ويسألان : إلى ماذا أدت حرية التجارة؟.

منذ أربعة عقود ينمو التبادل السلعي والخدمات أسرع من الانتاج. ومنذ ١٩٨٥ ينمو حجم التجارة أسرع من الانتاج بمرتين. وفي عام ١٩٩٥ تم تبادل خمس السلع والخدمات المسجلة إحصائيا عبر حدود البلدان. وكان عند مواطني الدول الصناعية المتقدمة الاحساس بأن زيادة التبادل الاقتصادي مع البلدان الأخرى تعني أيضا زيادة رفاهيتهم. ولكن نهاية السبعينيات مثلت نهاية عصر وبداية عصر جديد للسياسة الاقتصادية الاوروبية الغربية والامريكية . ويمكن ايجاز هذا في كلمة: **نهاية الكينزيانية**.

وكان الاقتصادي الانجليزي **جون مايناردكينز John Maynard Keynes** قد طور مبادئ سياسة اقتصادية عرفت باسمه واراد بها تمكين الدولة الرأسمالية الصناعية من الرد على الكوارث الاقتصادية التي حلت بمعظمها ما بين الحربين العالميتين. كينز أعطى الدولة دور المستثمر المالي المركزي في الاقتصاد الوطني. وتعني الكينزيانية أن تتدخل الدولة باستخدام الميزانيات العامة للتصحيح عندما تؤدي عمليات السوق إلى تضاؤل العمالة وإلى الانكماش. وتعني في حالات تراخي النمو بان تزيد الدول من الاستثمار فتنشئ طلبا إضافيا لتفادي الأزمة. وفي فترات ارتفاع الانتاج إلى حده الأقصى نصح كينز بان تسدد الدول ما نشأ من دين عام من حصيلة الضرائب المتزايدة لتفادي نشوء فائض انتاج ولاتقاء التضخم.

ولكن صدمة أسعار البترول (١٩٧٣، ١٩٧٩) جعلت الحكومات تعجز عن السيطرة على مديونية الدولة وعلى التضخم. ولم يعد بالامكان الحفاظ على معدلات تبادل مستقرة للعملات.

بعد انتصار المحافظين في الانتخابات البريطانية (١٩٧٩) وتولي ريجان الرئاسة في الولايات المتحدة (١٩٨٠) أعلن مبدأ اقتصادي جديد جعلت منه **بريطانيا وأمريكا دوجما** ودليل عمل تهتدي به السياسة. والدوجما الجديدة هي النيوليبرالية التي دعا اليها **ميلتون فريدمان مستشار ريجان الاقتصادي وفريدريش أوجست فون هايك** الاب الروحي لتاتشر.

ولا يجوز عند الاقتصاديين المذكورين أن يكون للدولة دور أكثر من قيامها بحفظ النظام. وجرى ترويج المعادلة القائلة بانه كلما ازدادت حرية الاقتصاد الخاص في الاستثمار والتوظيف كلما ازداد النمو والرفاهية للجميع. وبدأت حكومات الغرب تخوض النضال من أجل تحرير رأس المال».وعلى جبهة عريضة تم الغاء اجراءات ووسائل رقابة الدولة على مجالات الحياة الاقتصادية وقضى على أدوات تدخلها في الاقتصاد. في نفس الوقت مورس الضغط على البلدان الأخرى وجرى تهديدها بالعقوبات الاقتصادية لتتبع ذات الطريق.

وأصبحت الشعارات الثلاثة: وقف تدخل الدولة **Deregulation** والتحرير**Liberalisation** والخصخصة هي الأدوات الاستراتيجية للسياسة الاقتصادية الأمريكية والاوروبية. وأصبح هذا البرنامج النيوليبرالي بمثابة ايديولوجية مقرة من الدولة. ومثل إطلاق الحرية الكاملة لتبادل العملات وحركة الرأسمال العالمية أكثر التدخلات جذرية في الأوضاع الاقتصادية للدول الغربية ولم يلق هذا مقاومة تذكر! وسرعان ما تغيرت صورة الاقتصاد العالمي فجرت تحولات بالغة السرعة في البنية الصناعية لدول الغرب المتطورة واليابان،وتغيرت بنية التجارة الخارجية العالمية، وانزاحت العقبات والعوائق لتقف معظم دول العالم بلا حماية أمام سطوة عمالقة الاقتصاد العالمي الشركات العابرة للقوميات.

تقدر منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية **UNCTAD**عدد الشركات العابرة للقوميات **Transaational** بنحو ٤٠ ألف شركة(تملك كل منها على الأقل فروع في أكثر من ثلاث دول) وتبلغ مبيعات المائة الأكبر من بين هذه الشركات سنويا ١٤٠٠ مليار دولار.وتسيطر الشركات العابرة للقوميات حاليا على ثلثي التجارة العالمية. ويتم تبادل نصف مبيعاتها بين فروعها وشبكاتها التجارية. كمثال نذكر شركة أسيا براون **بوفيري السويسرية الأصل Asea Brown Brove-ri(ABB**. تملك هذه الشركة الف فرع في ٤٠ بلداً وبوسعها خلال أيام قليلة أن تنقل انتاج سلعة معينة أو اجزاء منها من بلد إلى بلد آخر.

الحكومات في مصيدة العولمة

تضاؤل دور الحكومات إزاء الشركات العابرة للقوميات أضعف من قدرات الدول على حماية مصالحها الاقتصادية من خلال دور فعال في عمليات التجارة الخارجية. هذا الوضع يقوض أسس الاقتصادات التي كانت قومية.بدلا من أن تعرض الدول وشركاتها الوطنية سلعها في ساحات التجارة العالمية لتتفاوض وتتنازع بعد ذلك فيما بينها حول

توزيع الربح المحقق داخل حدود البلد يتنافس الآن بروليتاريو العالم على فرص العمل الذي يجوز أن يحصلوا عليه في الانتاج المنظم عالميا.

وتغير أيضا ميزان القوى بين العمل والرأسمال من الأساس. التضامن الأممي الذي كان سلاح العمال أصبح يطبقه الجانب الآخر الآن إذ يقف الآن العمال المنظمون غالبا في الاطار الوطني فقط في مواجهة احتكارات عالمية تهددهم بورقة نقل الانتاج إلى خارج الحدود مما يبطل مفعول أي نضال مطلبي.

ومن ناحية أخرى يؤدي نمو الانتاجية بوتيرة اسرع من نمو الدخل القومي إلى أن يتحقق النمو الاقتصادي ولكن بدون زيادة العمالة **"Jobless Growth"** ويتضح أن التقدم المزعوم ينقلب إلى عكسه . وقد لاحت عواقب هذا الطريق على أقصى تقدير منذ بداية السبعينيات . ولكن الحكومات بدلا من أن تضغط على الفرامل **«داست على البنزين» للآخر.**

-برنامج «أوروبا ٩٢» لاقامة السوق الأوروبي الداخلي (**السوق الموحد**) ألغى كل الحواجز من **لشبونه إلى كوبنهاجن** أمام حركة السلع ورأس المال والخدمات.

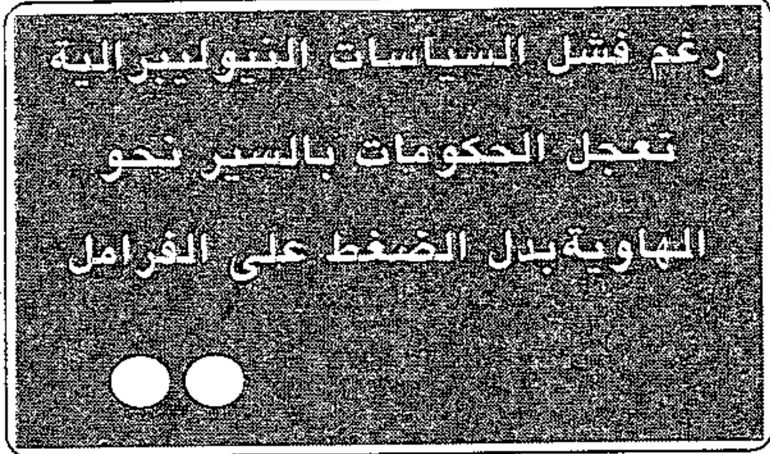
-أعلنت الولايات المتحدة وكندا والمكسيك ردها باقامة منطقة التجارة الحرة (نافتا).

-عقدت منظمة جات عام ١٩٩٣ آخر دوراتها لتخفيض الحواجز الجمركية.

كل هذه الاجراءات كانت مصحوبة بسيل من الوعود المبشرة بالتنمية والاستقرار والرخاء والرفاهية.

تقرير كيتشيني Paolo Cecchini (أوروبا ٩٢: مزايا السوق الداخلي ، ١٩٨٨) وهو تقرير رسمي قدم للجنة الجماعة الأوروبية وكان أساسا لإقرار تحقيق السوق الأوروبية الموحدة وعد بانشاء ٦ ملايين وظيفة جديدة، وتخفيض عجز الميزانيات بنسبة ٢ بالمائة، وتحقيق تنمية اقتصادية بمعدل سنوي ٤٫٥ بالمائة. تقريبا نفس الوعود **اطلقتها منظمة التجارة العالمية WTO** وكذلك مجموعة نافتا. ولكن الذي حدث جاء على العكس تماما من الوعود، إذ ازدادت البطالة. ونما العجز في الميزانيات وضبطت معدلات التنمية.

إلا أن كل هذا لم يكن كافيا لاعادة النظر في السياسة الاقتصادية. ويخطط الأمين العام لمنظمة التجارة العالمية الآن للتخلص النهائي من كل جمارك في العالم حتى سنة ٢٠٢٠ وهو يطالب بانهاء العمل بكافة الاتفاقيات الاقليمية ليصبح العالم كله منطقة تجارة حرة واحدة. وهذا يعني أن أزمة العمل ستتفاقم أكثر وأكثر.



ويستخلص الكتاب «يبدو أن مصيدة العولمة قد انغلقت نهائيا. وتظهر حكومات أغنى وأقوى بلدان العالم سجينة سياسة لم تعد تسمح بتبديل المسار».

التقدم الأمريكي : العودة إلى العمل باليومية!

من أجل رفع الانتاجية وضغط النفقات لم تعد الشركات الكبرى ترى سوى استراتيجية واحدة: الترشيد وتخفيض الأجور. ويواجه العمال الامريكان والاوروبيون بعدة أشكال تهدف لتحقيق هذه الاستراتيجية ومن أهمها الطرق التالية:

Downsizing التصغير
Outsourcing النقل للخارج
Re-engeneering إعادة التنظيم.

كتبت بيزنس ويك في خريف ١٩٩٥ أن أمريكا أصبحت تملك أعلى اقتصادات العالم انتاجية، ويتفاخر الرئيس **كلينتون** اثناء حملته الانتخابية في العام الماضي قائلا «لم يحدث أن كان الاقتصاد الامريكي على هذا الحال الجيد منذ ٣٠ سنة». واشار إلى احصاءات سوق العمل ليبرهن ان عهده شهد خلق ١٠ ملايين فرصة عمل جديدة. ويعلق الكتاب بان امريكا عادت حقيقة لتكون في مقدمة الدول «ولكن مواطنيها يدفعون ثمنا مؤلما لذلك». وأصبح مستوى الأجور الحالي بالنسبة لجزء كبير من العاملين أقل من مستواها منذ ٢٠ سنة ، ويصل فرق الدخول في المؤسسة الواحدة إلى نسبة مذهلة ١: ١٢٠ واحد إلى مائة وعشرين!.

وتعمل الشركات الأمريكية بكل السبل على زيادة أرباحها بتخفيض تكلفة الانتاج فتتعاقد مع شركات في الخارج مثل شركة نايك حيث يحصل العمال الاندونيسيون على أجور غاية في الانخفاض .وفي المكسيك ينتج للشركات الأمريكية الشمالية مليون عامل بدون أي تأمين صحي أو ضمان اجتماعي.

بالطبع يقاوم عمال أمريكا وأوروبا ونقاباتهم استراتيجية العودة إلى الوراء بمستوى معيشتهم وحقوقهم ولكن تبين صعوبة هذه المعركة في ظل العولمة حيث انتصر البولدوزر في أمريكا على العمال.

شركة كاتربيلر واحدة من أكبر منتجي آلات البناء والبلدوزرات في العالم تحدت أطول إضراب عمالي شهدته الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عندما واجهت العمال في أمريكا معتمدة على انتاج فروع الشركة خارج الولايات المتحدة. وأرسلت موظفيها إلى قاعات تجميع المنتجات في مصانعها بامريكا لتزيد في النهاية كم السلع المنتجة في فترة الاضراب وتوجه ضربة قوية لواحدة من النقابات الامريكية . وكان الدرس الذي احتفل به أصحاب الأعمال في أمريكا هو ان الاضراب في فرع في الشركة ذات وجود عالمي يسهل احباطه اعتمادا على فروع الشركة في البلدان الأخرى.

ولاجبار الموظفين والعمال على تقبل هبوط مستوى المعيشة مارس الحكم ورجال الأعمال سياسة ضغط وتهديد فظة فمنذ الرئيس ريجان عهده بطرد النقابيين فنيي تأمين سلامة الطيران الذين قادوا اضرابا دفاعا عن حقوقهم. ويجري على نطاق واسع تطبيق أساليب تضع الموظفين والعمال أمام

الأمر الواقع مثل تقسيم المؤسسة الواحدة لتنفصل منها أقسام انتاجية أو ادارية وتكلف باعمالها مؤسسات صغيرة، وهنا يجرى تشغيل جزء من العمال والموظفين السابقين ولكن بأجور أقل وبدون تأمين صحي..

ومن الاساليب المتبعة تحويل الموظفين إلى العمل الحر ليقوموا بعملهم ذاته على أساس تقاضي مكافئات حسب الحالات والعقود. واحد أكثر الطرق رواجا «استئجار» العمال والموظفين **Just-in- Time- Worker** عندما تكون هناك حاجة إليهم. وليس هذا الشكل من التوظيف فى بلد الله ذى الامكانيات اللامحدودة إلا صيغة مماثلة للعمال باليومية، أحد مخلفات القرن الماضي. ولا عجب أن يكون اكبر رب عمل في أمريكا شركة تقوم بتأجير العمال، شركة **Manpower** **للعمل المؤقت**.

ومن وسائل الابتزاز المستخدمة ضد العمال في المانيا: التهديد بنقل الانتاج لتشيكيا أو غيرها ليتقبل العمال زيادة ٣ ساعات عمل أسبوعيا بدون اجر لضمان بقاء العمل . وتستخدم هنا أيضا الوسيلة المسماة بالتحديث:

وفى إطارها يجد العمال والموظفون انفسهم في فروع جديدة مستقلة للشركة الام ولكن بأجور أقل. مصانع سكودا في تشيكيا والتي تسيطر عليها **فولكس فاجن** لا ترفع الاجور رغم زيادة الانتاجية بنسبة ٣٠٪ . ويرد رئيس مجلس ادارة **فولكس فاجن** ببساطة مهددا بنقل الانتاج إلى المكسيك.

يشكو رئيس نقابة الصناعات المعدنية في المانيا كلاوس تسفكل من أن أصحاب الشركات يضعون العمال فى مواجهة بعضهم البعض وغالبا ما يخسر العمال المعركة ضد ابتزاز اصحاب الاعمال لانهم يجدون أنفسهم فى منافسة بين موقع انتاج وموقع انتاج آخر.

كما قد كتبنا في المقالات السابقة إن النقابات في المانيا تفقد أعضاءها ويشتد الضغط عليها باشكال مكثفة خاصة منذ بداية ١٩٩٦. ولم تتوقف بعد هجمات اتحادات أصحاب الأعمال للتخلص من نظام تعريفة الأجر الموحدة وحق العمال في الأجر اثناء المرض بل حاولت قيادة اتحاد أصحاب الصناعات المعدنية البدء بحملة ضد حق الاضراب المضمون دستوريا.

تحت الضغط المتواصل للأوضاع الاجتماعية المتردية والخوف من فقدان الوظيفة وفكرة كثير من العمال أن النقابات لم يعد لها جدوى بسبب تزيف العضوية في النقابات الأمريكية. فى عام ١٩٩٦ كان ١٠٪ فقط من عمال أمريكا منظمون نقابيا أي نصف نسبتهم في عام ١٩٨٠.

ويسجل الكتاب انه بسبب غياب اية قوة مضادة وغياب رقابة الدولة انتصر في أمريكا مبدأ الرابح ياخذ كل شئ: **"The Winner Takes all"** ويذكر بالفيلم الأمريكي «وول ستريت» الذي يصف استراتيجية «قتل» الوظائف. بين ١٩٩١ و ١٩٩٥ خفضت شركة IBM تكلفة الأجور بنسبة الثلث وتخلصت من ١٢٢ ألف مشتغل ومكافئة للمديرين الخمسة الذين نفذوا خطة التصغير حصل كل منهم على ٥,٨ مليون دولار.

يقيم الاستاذ ثورو ، الاقتصادي الأمريكي والبرفسور بمعهد **ماساشوستس Massachusetts للتكنولوجيا** الوضع الموصوف اعلاه بأن رأسمالي «**أمريكا قد اعلنوا الحرب الطبقية ضد عمالهم وقد كسبوها**».

(ويشهد شاهد من أهلها اذ قال روبرت **رايش** استاذ الاقتصاد المعروف ووزير العمل فى حكومة كلينتون ان ازالة حدود الدول امام التجارة وتحطيم النقابات أدى للقضاء على كل تردد.

ولان الشركات تبيع في كل العالم فان بقاءها لم يعد متوقفا على القوة الشرائية للعمال الامريكان «والذين أصبحوا أكثر فأكثر «طبقة مرعوبة» (فرانكفورتر الجيمانية تسايتونج ٢٩-٤-٩٦).

الحلم الامريكى تحول إلى كابوس

«معجزة العمالة»

الأمريكية تبين للذين تسميهم كلمة شريرة. وتسمى «نيوزويك» الرأسمالية الأمريكية **Killer- Capital-ism** «الرأسمالية القاتلة» وتقصد بذلك الشروط التي توصلت بها أمريكا لرفع قوتها التنافسية. ادوارد **لوتواك Edward Luttwak** الاقتصادى بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، أحد مصانع الفكر المحافظ فى واشنطن. ومعروف عنه أنه كان من مقاتلي الحرب الباردة أصبح أحد أشد منتقدي النهج الاقتصادى النيوليبرالي. ويكتب أن «الرأسمالية التوربينية التى انشأها هذا النهج انما هى «نكتة» شريرة : لان الذى زعمه الماركسيون منذ ١٠٠ سنة والذى كان خاطئا بشكل مطلق يصبح اليوم حقيقة واقعة. الرأسماليون يزدادون ثراء بينما تفتقر الطبقة العاملة» (مقال-**Die Welt-woche, 31,8.95 Bertolami**) والتشكك فى النهج الاقتصادى والاجتماعى للحكم فى امريكا ليس مقصورا على الاقتصاديين المعتبرين «منشقين» اذ تعتبر اغلبية الامريكان هذا النهج خاطئا.

بل أن رئيس اللجنة الاقتصادية فى مجلس الشيوخ الامريكى وهو من الجمهوريين . وقد قدم هو ذاته قوانين عديدة تعزز هذا النهج . اعترف فى ربيع ١٩٩٦ بان «الامريكيين الذين يعملون باجتهاد تلومهم الشكوك وهم محقون لانهم يشعرون ان ثمة خطأ ما».

ورئيس البنك المركزى الأمريكي الان جرينسبان والذى كان يعلن سياسات إعادة توزيع الدخل الاجتماعية السابقة للحكومة حذر خلال جلسة استماع فى البرلمان من ان اللامساواة المتنامية أصبحت «**خطرا كبيرا يهدد مجتمعنا**».

ستيفان روش كبير الاقتصاديين في **مورجان ستانلى** رابع أكبر بنك استثمار فى نيويورك والذى كان داعية لسياسات نقل العمل للخارج وتبسيط تنظيم المؤسسات اعترف فى رسالة كتبها لكافة عملاء بنكه فى ١٦- ٥- ٩٦ طوال سنوات ظللت امتدح فضائل زيادة الانتاجية.. إلا أنني أعترف بان رأيى يختلف جدا الآن فى قدرة هذا الطريق على أن يقودنا إلى أرض الميعاد».. إن إعادة بناء الاقتصاد الأمريكى يجرى بطريقة الفلاحين البدائيين الذين يحرقون الأرض ليحصلوا على محاصيل سريعة ولكنهم بذلك يدمرون التربة التى يعيشون منها ويكتب ان «قوة العمل لا يمكن مواصلة اعتصارها إلى الأبد. ان تقليص العمل والاجور بلا نهاية انما هو فى النهاية خطة لاستئصال صناعتنا».

المقياس الوحيد هو الربح وكل ما عداه لا يهم

وصل التكامل الكونى فى صناعات السيارات وغيرها من المنتجات إلى درجة عالية وتصل نسبة اجزاء السيارة الالمانية التى تصنع فى الخارج فى بعض الماركات إلى النصف. وتويوتا اليابانية تنتج فى أمريكا . وكنا قد أشرنا إلى أن شعار «**صنع في** ألمانيا» أصبح يستبدل الأن ب: «من انتاج مرسيدس».

هذا التكامل الكونى للصناعات وصل إلى درجة عالية خاصة فى مجالى الصناعات الالكترونية والكيمائية. وقد حققت الصناعات الكيميائية الالمانية أكبر أرباح فى تاريخها فى السنوات الأخيرة ورغم هذا اعلنت الشركات العملاقة **BASF, Hoechst, Bayer** عن تخفيض عدد العاملين فى المانيا بعد أن كانت قد الغت ١٥٠ الف وظيفة فى السنوات الماضية. ويتساءل الكتاب عن حقيقة جنسية هذه الشركات اذ يتحقق ٨٠ بالمائة من مبيعات شركات الكيمياء الكبرى خارج المانيا. ولا يعمل فى المانيا سوى ثلث عامليها.

وثلث **دايملر بينز** فى أياد اجنبية . ويمسك بنسبة ٣٪ من حصة الدويتشة بنك- وهو المساهم الرئيسى فى دايملر بينز -مستثمرون اجانب. ويملك اجانب غالبية اسهم شركات باير ومانسمان وهوخست. وهم ليسوا من صغار المساهمين ولا من شركات

وبنوك عميقة الارتباط بالصناعة الالمانية. بل هم في غالبيتهم شركات استثمار وتأمين، وصناديق معاشات من الولايات المتحدة وبريطانيا. وتمارس ادارات هذه الشركات الضغوط لتحصل على عائد يماثل ما تحصل عليه في بلادها. تلك هيئة كالبرز (صندوق المعاشات في كاليفورنيا) استثمارات تقدر بمائة مليار دولار. وهي تمارس ضغطها أيضا على جنرال موتورز الأمريكية وأمريكان اكسبرس لفرض الحصول على ترقعاتها من الأرباح. ويؤثر هذا الضغط على رؤساء الشركات وتلاحظه النقابات. والنتيجة مواجهات مع النقابات وتطبيق سياسات تسريح الايدى العاملة والضغط لتخفيض الأجور.

التكيف حسب مبدأ ربح المساهمين هو مقياس النجاح الوحيد هو نتاج الضغط الواقع على الشركات وقياداتها ومصدره سوق المال العابر للقارات والذى يمثل مركز قوة العولمة. وتجارة الاسهم التى لا تحول دونها الحدود الوطنية للدول تفكك الروابط الوطنية بشكل ابعد تأثيرا من ربط الانتاج الوطنى بشبكات عالمية.

دور الحكومات

القضاء على أماكن العمل وضغط الأجور ليس انجاز مديرى البيوت المالية ومجالس ادارة الشركات الكبرى وحدهم. هناك مجموعة ثالثة وهى حكومات البلدان نفسها. تعتقد غالبية الوزراء والاحزاب الحاكمة فى دول ال OECD أن مجرد خلاء مواقع الدولة فى مجال الاقتصاد سيكفل ضمان الرفاهية وخلق وظائف جديدة. ومن **طوكيو** حتى **واشنطن** مرورا **ببروكسل** يجرى باسم هذا البرنامج القضاء خطوة خطوة على شركات تديرها الدولة وتنحصر ملكيتها فى المؤسسات الترصية للبلد. حرية المنافسة هى كل شئ، أما الوظائف فلا شئ. ولكن بخصخصة البريد والتليفون والكهرباء وشبكات المياه والطيران والسكك الحديدية، وبتحرير التجارة الدولية بهذه الخدمات، وبالغاء توجيه الدولة ورقابتها فى مجالات تمتد من التكنولوجيا حتى الأمن الصناعى يزيد الحكام حدة الأزمة التى انتخبوا من أجل مكافحتها.

المكسيك .. أو لماذا سقط التلميذ النجيب؟

بعد ان كاد الناس يصدقون أن واحة للانتاج والتنمية والاستقرار والأمان تنشأ على ارض المكسيك أصبحت الاضطرابات السياسية والاضرابات العمالية وانتفاضات الفلاحين تهز الجار الجنوبى لاغنى بلاد العالم. وكانت دعايات الولايات المتحدة ونصائح مبعوثى صندوق النقد الدولى لبلدان العالم الثالث وبلدان شرق أوربا تلح على الاشادة لهذا النموذج الذى يقدم أعظم دليل على نجاح النهج النيوليبرالى.

كل هذا انتهى فجأة وأصبح «التلميذ المثالى» نموذجا للخيبة الثقيلة. ولم يعد دعاة الصندوق يحبون أن تأتى سيرته. فجأة أصبح نصف القادرين على العمل فى واحة التنمية عاطلين أو مضطرين لممارسة بعض العمل فى اقتصاد الظل، آلاف المؤسسات أفلست وحلت بعملة المكسيك وباقتصادها كارثة فادحة. ولكن ما الذى حدث؟.

طوال سنوات عشر اتبع رؤساء المكسيك الواحد تلو الآخر، بطاعة مثالية، نصائح البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وحكومة الولايات المتحدة. الجزء الاعظم من المؤسسات الصناعية المملوكة للدولة تم خصخصتها، وأزيح من الطريق كل ما اعتبره المستثمرون الاجانب عقبات. والغيت الجمارك المفروضة على الواردات وفتحت البلاد أبوابها على مصراعيها أمام المؤسسات المالية الدولية. ووقعت المكسيك **اتفاقية** "نافتا" مع الولايات المتحدة وكندا لتندمج كليا فى السوق الشمال أمريكى خلال عشر سنوات. وكوفئ تلميذ النيوليبرالية النجيب بضمه لنادى الأغنياء **OECD** سنة ١٩٩٤.

كانت الصورة مبشرة فى البداية. الشركات العالمية فتحت فروعا لها أوسعت أعمالها فى المكسيك. ونمت الصادرات سنويا بنسبة ٦٪ وبدأت المديونية تنخفض. ولأول مرة ظهرت فى المكسيك بدايات طبقة متوسطة ذات قوة شرائية عالية. ولكن..

الفروع الحديثة الدينامكية فى الصناعات الكيميائية والالكترونية والسيارات كانت معتمدة إلى حد بعيد على الاستيراد، ولم تنشئ سوى فرص قليلة للعمال. وصناعات القطاع العام التى باعوها استولت عليها ٢٥ شركة قابضة أصبحت تسيطر على نصف الدخل القومى.

وكان الانفتاح غير المحدود يعنى أن تغرق البلاد فى طوفان من الواردات. وما لبثت الصناعات المتوسطة ذات العمالة الكثيفة أن انهارت. وأغلقت نصف مصانع الماكينات والنسيج أبوابها. وانخفضت معدلات التنمية لتصبح أقل من معدل نمو السكان.

وأدت ميكنة الزراعة إلى أن تحل الآلات محل ملايين العمال الزراعيين الذين فقدوا عملهم وهاجروا إلى المدن المزدحمة بالسكان.

وابتداء من سنة ١٩٨٨ نمت الواردات بسرعة تفوق باربعة اضعاف معدل نمو الصادرات ووصل العجز فى الميزان التجارى عام ١٩٩٤ لما يعادل عجز كل بلدان أمريكا اللاتينية معا.

ويسجل الكتاب انه لم يعد فى مقدور استراتيجى التنمية فى المكسيك بعد أن يتراجعوا. وللحفاظ على مزاج جيد لدى الناخبين ولجعل الواردات رخيصة رفعت الحكومة من سعر العملة الوطنية برفعها لمعدلات الفوائد إلى حدود قصوى. وكانت النتيجة من ناحية اختناق الاقتصاد الداخلى، ومن ناحية أخرى جذب ٥٠ مليار دولار ودائع قصيرة الأجل من صناديق الاستثمار الأمريكية.

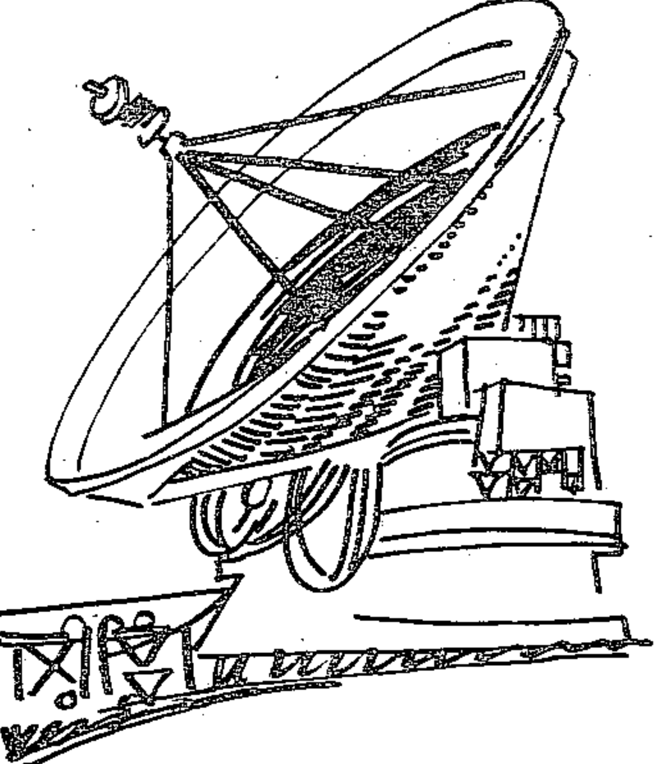
وفى ديسمبر ١٩٩٤ حدث ما لا يمكن تجنبه:

انهار فجأة الازدهار المبنى على الاستدانة.. ولم يعد هناك مفر من تخفيض قيمة العملة (بيزو). وخوفا من غضب المودعين الأمريكيين الشماليين المضاربين قدم وزير مالية واشنطن ورئيس صندوق النقد الدولى للمكسيك أكبر قرض عرفه التاريخ (٥٠ مليار دولار!) وأمكن للقرض أن ينقذ المستثمرين ولكنه القى بالمكسيك فى هاوية الكارثة الاقتصادية.

ولاستعادة ثقة الاسواق العالمية فرض الرئيس المكسيكى **ارنستو زيديلو** على بلاده «**علاج صدمة**» جديد. ففرض فوائد سنوية تصل إلى ٢٠٪ ونهج تقشفيا حكوميا شديدا. ودخلت المكسيك فى أعمق ركود اقتصادى منذ ٦٠ سنة. وخلال شهور قليلة أفلست ١٥ ألف مؤسسة وفقد ثلاثة ملايين انسان عملهم وانكمشت القوة الشرائية للشعب بنسبة الثالث. ويكتب المؤلفان «بعد ١٠ سنوات من الاصلاحات النيوليبرالية أصبح وضع أمة المكسيك ذات المائة مليون مواطن أسوأ مما كان عليه فى أي زمن سابق. وأصبح المستقبل المنظور ليس الصعود إلى مصاف الدول الصناعية المتقدمة بل أن تصبح المكسيك بلداً غير قابلة لان تحكم.. بلد تسودها الحروب الأهلية.

ولكن الانهيار الاقتصادى في المكسيك كانت له نتائج أخرى كما يلاحظ المؤلفان، اذ اصبحت القوى العاملة رخيصة جدا بالنسبة للشركات الاجنبية الامريكية والالمانية واليابانية ولكن هذا لم يعوض الخسائر الكبيرة التى حدثت. وازداد عدد اللاجئين من المكسيك إلى الولايات المتحدة الذين يعبرون نهر ريو جراندى بشكل مغامر وغير قانونى بحثا عن فرصة حياة لدى الجار الشمالى.. وكان هدف اتفاقية نافتا تحديدا منع الهجرة من المكسيك إلى الولايات المتحدة الامريكية. ويستخلص الكتاب من خبرة المكسيك.

«ان الحلم بأن السوق الشامل يصنع معجزة الرفاهية ما هو فى الحقيقة الا وهم ساذج .. وفى كل مرة يحاول فيها بلد قليل التطور أن يتصدى للمنافسة المتفوقة لبلدان الغرب الصناعية بدون أن يوفر الدعم الهادف والحماية الجمركية لصناعاته يكون فشله متوقعا. ان حرية التجارة تعنى فقط فرض حقوق الطرف الأقوى- هذا ليس فقط فى أمريكا الوسطى».



تتحكم فى مسار التكنولوجيا، واستخدامها فى التنبؤ اعتبارات دولية، جعلت احتكار تلك التكنولوجيا فى أيدى الشركات العابرة للقوميات، ومن ثم تبعية الدول المتخلفة لتلك الشركات وللدول التى تنتمى إليها. على أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية تنبع من داخل الدول المتخلفة ذاتها. فقضية التكنولوجيا هى قضية تطور حضارى. فهى موجودة حتى فى المجتمعات البدائية. تبدأ من الأدوات المبسطة، وتنتهى بأعقد صور التكنولوجيا الحديثة.

التبعية التكنولوجية

د. خليل حسن خليل

عوامل دعم التبعية التكنولوجية

ومن العوامل التى دعمت التبعية التكنولوجية، أهمية التجارة الخارجية لدى العرب، حيث تصاحب تاريخهم الطويل. وكذلك مكانة العلم كنشاط تأملى للعقل، فهو مقصور على شريحة ضيقة من النخبة الاجتماعية، ووجود ثقة غريبة فى استيراد الخبرات الأجنبية فى الميادين التقنية.

وهذا ما يطلق عليه «**عقدة الخواجة**». من هذه العوامل أيضا، استعانة الحكم بالفنيين الأجانب فى المجالات المختلفة، خوفا من نمو السلطة السياسية للفنيين الوطنيين. وميل كثير من الطبقات المتميزة للنشاطات غير التكنولوجية، كالقانون، والآداب، والفلسفة وغيرها. يصاحب ذلك الغلبة التى تحظى بها الصناعات الأجنبية، ذات التكنولوجيا العالية، وانفصالها عن الاقتصاد القومى، وعدم تسرب التكنولوجيا إلى أوصاله. وغياب سياسات اقتصادية واجتماعية ترمى إلى ضبط هجرة العلماء والقوى الماهرة، والافتقار إلى الحافز لحماية المؤسسات الهندسية والاستشارية الوطنية. ومن بين الأسباب كذلك سياسات مؤسسات دولية، كالبنك الدولى للتعمير والتنمية، الذى يشترط سيطرة المقاولات الأجنبية على كثير من الأسواق العربية، وأخيرا، وليس آخرا، النظم السياسية المشغولة ببقائها السياسى.

ويتطلب موضوع التكنولوجيا بحوثا للعوامل المجتمعية والتاريخية فى نقل التكنولوجيا، والعوامل الاقتصادية المتعلقة بنقلها وتطويعها وتطويرها للحاجات المحلية، أو حتى خلق تكنولوجيا جديدة ملائمة لمرحلة التنمية التى يجتازها الاقتصاد العربى. وتنوع تلك التكنولوجيا بالنسبة للقطر أو القطاع، أو المشروع.

وتتطلب كذلك دراسات دخول آليات نقل التكنولوجيا، والأجهزة الدولية والقطرية التى لها شأن بها. ثم الدراسات حول الوسط العلمى والفنى اللازم خلقه لنشوء بيئة تكنولوجية متطورة، تستجيب لحاجات التنمية الاقتصادية فى الوطن العربى.

وتتطلب أيضا دراسة لأنماط التكنولوجيا المختلفة: أولية، متوسطة، عالية، كثيفة الاستخدام لرأس المال أو للعمل. ويتطلب كل قطاع بذاته دراسة خاصة، وبالتكنولوجيا، التى تلائم انتاجه، وتطور ذلك الانتاج وكذلك دراسات متخصصة فى مجال معين، كالمياه والطاقة الشمسية والاقمار الصناعية وغيرها.

وتؤثر التكنولوجيا على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. فهي لا تقتصر على الأثر الاقتصادي فحسب. ولكنها تتسلل إلى مجالات أخرى متعددة، تشمل الجانب الثقافي بالمعنى الواسع، أو الجانب الحضاري لمجتمع معين.

والتكنولوجيا نوع من المعرفة يمكن اكتسابها ونقلها، وتطويرها وتطبيقها. وهي تمارس بواسطة مؤسسات متخصصة ، مثل الشركات الهندسية، والاستشارات، والمقاولات، والجامعات والمدارس الفنية والمهنية والشركات الصناعية والزراعية، ومعاهد البحوث إلى غير ذلك وتؤثر في امتلاك التكنولوجيا اعتبارات منها الاسواق والقوى البشرية والسياسات والمؤسسات التي تمثل عوامل حيوية في السلوك التكنولوجي في المجتمعات.

ويضاف إلى تلك العوامل أن هناك ضعفا في القدرات التكنولوجية في الدول العربية. وأن سوق كل دولة على حدة ضيق، لا يحفز على امتلاك التكنولوجيا. والعلاج لذلك ، هو العمل العربي المشترك. فالسوق العربية كبيرة. ويعتبر التعاقد مع الشركات الأجنبية هو المألوف في العالم العربي، لدرجة حققت احتكار شبه تام لهذه الشركات في السوق العربية. وينطبق ذلك على كل المنشآت ،من المنشآت الرياضية مثلا إلى المجمعات الصناعية.

التمييز بين التكنولوجيا ومنتجاتها

علينا أن نميز بين التكنولوجيا ومنتجاتها ، أي بين نقل المعرفة ونقل السلع. إن الوظائف المدرجة تحت التكنولوجيا توجد، وتمارس بصفة عامة، بواسطة مجموعة من المؤسسات غير الجهات المستخدمة لمنتجاتها. ولا يملك الفنيون والقائمون بتشغيل مصنع ما التكنولوجيا اللازمة لانتاج الآلات الخاصة بهم ، غير أنهم يسهمون في تطور المرافق الصناعية، من خلال العمل الوثيق مع مهندس التصميم:

ونميز في نقل التكنولوجيا بين نوعين:

أ-نقل المعرفة من خلال الوثائق والرسومات ،والبراءات والمناقشات ،والندوات، والتدريب الفني والتعليم.. والمتلقي لهذه المعرفة ، يستخدم ما لديه من معلومات وتسهيلات لتحويل المعرفة إلى آلات وعمليات وبضائع.

ب- نقل السلع الرأسمالية من خلال مجموعة متنوعة من أساليب التخطيط والتعاقد المتوافرة تجاريا. وهذه تشمل توفير الخدمات ، كاعداد دراسات الجدوى، واعداد التصاميم الهندسية، وتنفيذ المشروع (أسلوب المفتاح باليد)، وتدريب الموظفين الفنيين على تشغيل المصنع بعد انشائه والاشراف الفني،وتشغيل المشروع ،حتى الوصول إلى انتاج كامل بواسطة القوة البشرية المحلية (أسلوب السلعة باليد). واخيرا تشغيل وادارة وتسويق المنتجات(أسلوب الزبون باليد). ويمكن الحصول على تسهيلات دون تكنولوجيا مرافقة ويطلق على هذا «النقل الخالي من التكنولوجيا».

بعد هذه المعلومات الأولية عن موضوع التكنولوجيا، نعرج على الأسواق العربية للتكنولوجية. أو بعبارة أخرى ، الامكانيات التكنولوجية، وكيف تضيع مليارات الدولارات على العرب في هذا المجال كما يضيع عليهم امتلاك التكنولوجيا نفسه، وهو أغلى من هذه المليارات.

السوق العربية للتكنولوجيا

تستورد الاقطار العربية مقادير هائلة من المعدات والخبرات الهندسية والفنية المختلفة ،وتوجد لدى الشركات الأجنبية الآن عقود تقدربحوالي ٤٠٠ مليار دولار، لاعداد مشروعات في الوطن العربي،وفي مجال الهندسة المدنية توجد عقود في حدود ٢٠٠ مليار دولار. تضطلع المؤسسات الهندسية العربية بأقل من ١٪ من الأعمال الهندسية في المنطقة العربية فقط. وتترك الباقي كله للأجانب.

ومن الأمثلة التي يمكن ضربها هنا، هي من الهندسة الاستشارية البريطانية، فقد حصل البريطانيون على عقود غير عسكرية من الوطن العربي، زادت قيمتها من عام ١٩٥٨ إلى نحو ١٤٫٥ مليار استرليني إلى٤٧٪ في تلك الفترة. وكان نصيب العرب نحو ٨٤٫٣٥٪ من مجموع العقود البريطانية الأجنبية في مجال الموانئ والاحواض والمنشآت البحرية.

وهذه أرقام أخرى تشمل العالم النامي، ولو أن النسبة في العالم العربي أعلى، نظرا للثراء البترولي والانشاءات الضخمة، لقد بلغت مدفوعات الدول النامية مقابل استعمال البراءات ،والرخص، والعلاقات التجارية، والخبرة التقنية بعمليات الانتاج ،وغيرها ، نحو ١٫٨ مليار في عام ١٩٦٨ ارتفعت إلى نحو ١٠ مليارات علما بأن التكاليف المباشرة تمثل جزءا من مجموع التكاليف، فالتكاليف غير المباشرة الناجمة من المغالاةفي أسعار واردات المنتجات الوسيطة والمعدات ،والارباح الناجمة من رسملة الخبرة التقنية ،قد رفعت الأسعار كثيرا. ثم هناك تكاليف حقيقية أخرى، أو منافع ضائعة ،نتيجة لتأخير عمليات النقل، أو عدم كفايتها، أو نقل تكنولوجياغير ملائمة، أو عدم نقل التكنولوجيا الأمر الذي يؤدي إلى أن التبعية التكنولوجية قد تكلف الدول المتخلفة ما بين ٣٠ و ٥٠ مليار دولار سنويا*.

ومن بين ممارسات الاحتكار التكنولوجي الذي يباشر بواسطة المراكز الرأسمالية الصناعية المتقدمة على الدول المتخلفة، أن هذه الأخيرة تعتمد في تصنيعها على استيراد الآلات والمواد الأولية غير المتوافرة لديها. وهذه ليست متاحة بحرية في السوق الدولية، بل هي محتكرة ، ومملوكة بواسطة الشركات العابرة للقوميات، لا تبيعها كسلع عادية ، بل تطالب بدفع مبالغ كبيرة نظير استخدامها، أو أنها تحول هذه السلع في معظم الأحوال إلى رأسمال ،وتقدمها في شكل استثمارات تملكها.

هذا يوضح كيف ان الآلات التي تبدل في المراكز المهيمنة بواسطة تكنولوجيا أكثر تقدما، ترسل هذه الآلات (القديمة تكنولوجيا) إلى الدول التابعة كرأسمال لاقامة شركات تابعة. وفحص هذه العلاقة يبين ما بها من قهر واستغلال.

هوامش

الاونكتاد

1- B 779 TD , Feb .1980.

2- 4. N. RegionalPlan of action for the application Scince and Technoloy in the Middle East. Doc. Not Unieo St/unes of/11.

٣- جورج قرم: التنمية مفقودة ،دراسات في الأزمة التنموية والحضارية، دار الطليعة بيروت ١٩٨١.

4- A. B.ZAHLAN, Technology Trasfir and change in the arab World. Semirar orgenized By ECWA (perganan press oXford 1978.



التقدميون والثقافة الإسلامية

خليل عبد الكريم

ثارت في الكويت فتنة هوجاء لان أحدهم كتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل في مدة الثلاثة عشر عاما التي قضاها في مكة بعد نزول الوحي عليه.

إذ اتهمه الاسلاميون بقلة الأدب والتطاول. وقد يصح ذلك لو أثبتوا سوء نيته عن طريق الكشف عن سرائره في هذا المضمار. بيد أن أقصى ما ينسب اليه انه تجاوز حدّه اذ لم يحكم عبارته. وانبرى زميل له ليداوي الجرح فاذا به كما يقول العامة في مصر(جاء يكحلها عماها) اذ افتى لافض فوه وكثر حاسدوه وتضاعف شانئوه أن المقصود هو فشل الرسول تاريخيا لا دينيا.

فازداد هياج الاسلاميين واستعر سخطهم ,وما درى ذلك اللوذعي الجهبذ انه ما من شئ يحنقهم قدر فكرة التاريخية أو التاريخانية حسب تعبير اخواننا المغاربيين.

والكاتبان المذكوران بكل المقاييس مخطئان. فـ(الحقبة المكية) في حياة الاسلام هي فترة التوهج و الكفاح البطولي ودفع الثمن الغالي والصبر والمعاناة.. وهي في نظرنا مثل فريد لكل أصحاب الدعوات والايديولوجيات في النضال والثبات على المبدأ في مواجهة كل الطواغيت: المال والسلطة والجاه.. والأبان التي خرّج النماذج الشوامخ في مختلف المجالات:

سمية وزنيّرة والنهدية وياسر وبلال وخباب بن الأرت وعامر بن فهيرة (الصلابة والصمود) **عمر بن الخطاب** (السياسة وشئون الحكم) **علي بن أبي طالب** (الشجاعة والبلاغة) **طلحة والزبير** (الاقدام والثبات) **سعد بن مالك أو سعد بن أبي وقاص وعبيدة بن الجراح** (فنون الحرب والقتال) .. الخ الخ.

فكيف توصف بالاخفاق (الفشل)؟!.

بل إن بعض البحاث الذين لهم وزنهم الثقيل في فضاء الفكر الاسلامي الحديث مثل **أ. محمود محمد طه السوداني** ذهب إلى أنها (الحقبة المكية) هي الاسلام الأصيل وان من يبغي إعادة امجاده فعلية أن يتأسى بها لا بـ(تجربة المدينة)..

-لمن أراد المزيد من التفصيلات فعليه بكتابه المعجب:« الرسالة الثانية».

وبعد

فقد سبق أن كتبت حتى أوشك مداد قلمي أن يجف أن على الرفاق التقدميين والمستنيرين والطليعيين و(جمال واخوانه ألف سلام).. الخ الخ الخ.

أن ينظروا إلى الثقافة الاسلامية فهي أولا ثقافة ثرية وعميقة أبلغ ما يكون العمق وأنه في الوقت الحالي غدا لها مكانة واضحة من ضيق الأفق تجاهلها وأن عليهم عندما يتناولون رمز الاسلام الأوحد محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أن يتحدثوا عنه بأسلوب يليق بخطره(قدره)بل قدسيته ولو أنهم قرأوا سيرته العطرة قراءة متأنية لتأكدوا أنه يستحق كل تقديس واجلال وأن الكتابة عنه بنزق وطيش وخفة ليس شطارة ولا فهلوة بل هي خيبة بالويبة (الويبة أحد المكاييل التي كان يستعملها أهل المحروسة مصر- من القاموس الاقتصادي الاسلامي للشيخ أحمد الشرباصي).

وتضر الحركة التقدمية أشد الضرر بل تصيبها في مقتل وتمنح المتربصين بها وهم كثر فرصة ذهبية.





جابر محمود المعايرجي

عندما يعلمك الماركسية لاعب سيرك

في وقت مبكر من هذا القرن الذي يوشك أن ينتهي ، كانت مصر تمتلك سيركا عالمياً وشهيراً أسمه «**سيرك عمار**» وكان هذا السيرك يتجول برجاله وحيواناته وخيمته بين بلدان المنطقة.

سافر السيرك إلى **فلسطين فالشام فتركيا** فروسيا وبينما هم هناك اشتعلت الحرب الأولى فبقي بأفراده محاصرين هناك، ليزرعوا تقاليد السيرك التي طورها الروس ليصبحوا أشهر لاعبي سيرك في العالم.

مع لاعبي سيرك **عمار** كان هناك شاب صغير السن رشيق الحركة، كثير الكلام قادر على الانطلاق المندفع اسمه «**عمر**» وفي جولاته في الجمهوريات الاسلامية أصبح اسمه «**عمروف**».

وعندما اشتعلت ثورة ١٩١٧ كان واحداً من المشاركين فيها بحماس واندفاع.. وسرعان ما أصبح «**لاعب السيرك**» كادراً سياسياً. تزوج من راقصة باليه شهيرة، وبقي في الاتحاد السوفيتي.. ثم وفي نهاية الحرب العالمية الثانية عاد إلى وطنه .. ومدينته الاسكندرية. لم يعد يصلح كلاعب سيرك فافتتح محل مكوجي.. ومن هناك بدأ يلقن زبائنه- عن طريق حكايات ونوادر وأقاصيص تشبه الخرافات -مبادئ الماركسية. حكى كثيرا عن الثورة.. وكيف انتصرت ، وستالين وكيف خاض الحرب ضد الالمان، **لينينجراد** وكيف صمدت أمام الحصار، **ستالينجراد** وكيف كسرت شوكة النازي.. حكى كل شئ باضافات مليئة بالتشويق، ولمسات تضعه شخصيا في كل حدث، وعبر هذه الحكايات المثيرة التي كانت تنطلق مع زبائنه وهو يضغط المكواة على ملابسهم.. يعمل ويتكلم دون انقطاع .. تكونت حوله مجموعة من المعجبين ، أو المنبهرين به ، وبما يحكي من أساطير.. وتحولت المجموعة إلى ما يشبه التنظيم.. والتفت وإن بشكل هامشي مع ارهاصات الموجة الماركسية الصاعدة لكن صخب الاساطير الماركسية التي يرددها المكوجي عمروف سرعان ما جذب انظار بوليس الاسكندرية اليقظ فقبض على عمروف.. ومجموعة من رفاقه.. وكانت كل التهم الموجهة إليهم وهي .. ترديد حكايات واساطير.. وبقى عمروف في سجن الحدرة زمنا. وهناك كانت فرصته واسعة كي يردد حكاياته للسجناء..

..وفي ذلك الحين كان **جابر المعايرجي** يلتهب حماسا هو أيضا. كان واحداً من قادة المظاهرات الوطنية الصاخبة في ٤ مارس ١٩٤٦. جرح جرحاً بليغا اختفى على أثره حتى شفيت جراحه ثم سلم نفسه للبوليس الذي كان يبحث عنه باعتباره المتهم الأول في هذه المظاهرات..



وفي سجن الحدره التقى جابر مع عمروف. استمع باستخفاف في أول الأمر، ثم نجح الشيخ الملتهب حماساً وثورة في أن ينتزع انصاته ثم اعجابه.. طوى اعجابه في نفسه وعندما خرج من السجن أسرع إلى شيوعي يعرفه، وكان قد تصارع معه كثيرا في خضم الحركة الوطنية.. طالب الطب **حمزه البسيوني**. ليبلغه ببساطة.. قررت أن انضم اليكم لأصبح شيوعيا..



صلاح حافظ



مصطفى النحاس

الاسم: جابر محمود الرجّال.

اسم الشهرة: المنابرجي

تاريخ الميلاد: ١٩٢٧/٤/١١

المؤهل: دبلوم عال في الاقتصاد - دبلوم في المحاسبة.

المهنة: موظف بشركة الاسكندرية للتأمين - محترف ثوري.

..الأب موظف صغير بالسكة الحديد، ترقى مع الزمن حتى خرج على المعاش وهو مدير. الأم تركية الأصل متشددة في تقاليد الانغلاق الأسري، على عكس الأب السياسي النزعة، الوفدي الانتماء، والذي ساهم في ثورة ١٩١٩ ثم ساهم في مقاومة الوفد للطاغية **صدقي**.. وفي واحدة من المظاهرات الملتهبة قبض على شقيقيه (**طالبان** في مدرسة تجربة **مرسي**)... وعلى قدر ثورة الأم.. كان حماس الاب وتشجيعه.

.. يأتي عام ١٩٤٢ ليجد الفتى إبن الخامسة عشرة ملتهبا هو أيضا بالحماس. كانت الاسكندرية تتأذى من ثقل الوجود الانجليزي.. الجنود السكارى يملأون الشوارع ويثيرون الغضب الاسكندراني.

وفيما كان روسيل يتمركز في العلمين استعداداً لأن يدق ابواب الاسكندريه كون «**جابر**» مع وأحمد **مصطفى** وعدد آخر من الشبان الصغار جمعية سرية لمحاربة الانجليز أسموها «الفدائيون».. بدأوا بطبع منشورات تحرض ضد الانجليز .. استخدموا «**البالوظة**» لفترة ثم إنضم اليهم ساعى في القنصلية اليونانية وطبع لهم منشوراتهم على رونيو القنصلية، أغرقوا شوارع الاسكندرية بمنشوراتهم .. ثم خطوة أخرى للأمام.. بدأوا في اصطياد الجنود الانجليز وضربهم حتى الموت. ثم خطوة ثالثة حصلوا على قنابل ومسدسات من بعض الاعراب في منطقة العجمي.. وتفجرت قنابلهم في كلية فيكتوريا(كانت معسكرا للقوات الانجليزية) والمعهد البريطاني.. ثم الحادث الأكثر شهرة «**النادي البريطاني**» في محطة الرمل.

... وانتهت الحرب، ليتواصل النضال ضد الاحتلال. واحتاجوا إلى غطاء علني لتحركهم.. وعن طريق **ابراهيم طلعت** المحامي (تعرفوا عليه عندما ساندوه في معركته الانتخابية في دائرة محرم) انضموا إلى مصر الفتاة كمجموعة. لكنهم ظلوا محتفظين بتنظيمهم السري.. وقرروا ان يوجهوا ضربة شديدة لقوات الاحتلال التي كانت معسكرة في المكس ووادي القمر ومصطفى باشا. قاموا بضرب معسكر وادي القمر بالقنابل وكانت خسائر الاحتلال جسيمة.

وبدأ الأمن في البحث المحموم عنهم. واكتشفوا ان لجنة مصر الفتاة ملغومة بعملاء للبوليس فانسحبوا بهدوء من مصر الفتاة .. ثم كانت مظاهرات ٤ مارس .. وكان جابر واحداً من قادتها وأصيب فيها برصاصتين واحدة في رأسه والأخرى في ساقه .. وقبض عليه ليلتقي بعمروف»

***

كان أول مسئول التقى به عن طريق **حمزه البسيوني**. طالب آخر هو **عثمان طلبه**.. ومارس **جابر** نشاطه بحماس في تنظيم كان يتقد حماسا هو «**الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني**» (حدتو). عضوا مباشرة (تقديرا لنضاله الوطني) إلى لجنة قسم محرم بك.

وفي ٥ أبريل كان إضراب ضباط البوليس، وتحركت **حدتو** لتسهم في الاضراب.. واندلعت مسيرات كبيرة تضم جماهيرا **تحمل** ضباط بوليس على اكتافها، وجنود بوليس يحملون شيوعيين على أكتافهم ورددوا خلفه شعار «**الخبز.. الحريه**» «**يسقط الملك**».. الحكومة أمرت بنزول الجيش للشوارع بعض جنود الجيش التحموا مع المتظاهرين، يوم ٦ ابريل كان محمولا على أعناق جنود الجيش هتفوا معه «**الخبز .. الحريه**» وأيضا «**يسقط الملك**». النار أطلقت عليهم بكثافة سقط ١٤ شهيدا .. وقبض عليه.

في أوائل ١٩٥٤ وعقب خروجه من السجن، كلف باعادة الاتصال بقسم الرمل الذي حدث خلل في الاتصال به بسبب حملات القبض المتوالية.. أعطوه عنوانا .. بشارع ادفو. كان منزل الشيوعي القديم والعجوز والسجين في ذلك الحين د. **حسونه**. ابنه «**حسين**» يمكن أن يعيد الاتصال بالقسم. الموعد كان في منتصف الليل تقريبا. ما ان دخل وقبل أن يبدأ الحديث مع الثلاثي «الأم، **زهيره** (الابنه) **حسين** (الابن). والجميع جزء من نشاط التنظيم دق الباب بعنف ودخل البوليس بقيادة الضابط الشهير **سيد فهمي**.



فوجئ به **سيد فهمي** وصمم على القبض عليه من جديد .وفيما يسأله **سيد فهمي** مندهشا ماذا تفعل هنا ؟(كان **سيد فهمي** قد أتى فى حملة تفتيش دورية فوجد صيداً غير متوقع) همست **زهيرة** فى اذنه قول إنك خطيبى..(بعدها قالت له انها قرأت الفكرة فى رواية «القطة» **Le Chat**.. حيث وجدت إحدى بطلات المقاومة الفرنسية نفسها فى موقف مماثل واتخذت ذات الموقف).. بعد الافراج عنه سألها «هل يمكن أن نحول الفكرة. حقيقة؟» .. وتزوجا . وكانت فى ذلك الحين مسئولة المجموعة النسائية الحزبية، وكانت هى والأم، تخوضان معركة تجميع عائلات السجناء الشيوعيين فى عمل جماهيرى واسع.. ومظاهرات وساخبة.

لكننا نقفز هكذا على واحدة من أهم نشاطاته .وهى معارك الكفاح المسلح. ففى عام ١٩٥١ . وإذ تلتهب منطقة القناة بنيران معارك الفدائيين ، عادت ذكريات «**جماعة الفدائيين**» إلى ذهن المناضل الشيوعى. وطلب من التنظيم أن يكون ضمن المجموعة المقاتلة.. وفعلا أقامت حدتو معسكرها فى الاسماعيلية التى كانت أكثر المناطق اشتعالا بالعمل القتالى ضد الانجليز (يقول فى رسالة كتبها بناء على طلبى.. ان الاخوان تمركزوا فى السويس ولم يحاربوا الانجليز، وانما احرقوا كنيسة هناك بما اعطى الانجليز المبرر لمذبحة **كفر عبده** بحجة حماية المسيحيين) هو انغمس فى حبه القديم.. الكفاح المسلح، حتى كان حريق القاهرة. ثم تأتى ثورة يوليو ، وبعدها بشهرين يشنق **خميس والبقرى** بطلى اضراب عمال **كفر الدوار** . ويسود المنطقة غضب عارم، ويقبض على عدد من الشيوعيين.. هو منهم مرة أخرى، ويفرج عنه عام ١٩٥٤ .. ليواصل نشاطه من جديد.

فى هذا الحين كانت «**حدتو**» تعانى . كانت ضربات الأمن مركزة عليها. وكانت أقسى الضربات موجهه فى الاسكندرية التى رفعت صوتها بالاعتراض على دكتاتورية العسكر، والتى نجحت فى بناء عمل جبهوى ناجح بين حدتو والوفديين وعمر القناة. وكانت الضربة بالاسكندرية أشد مرارة لأنها تضمنت اعترافات وانهيارات من بعض الكوادر بما يعنى أن الأمن قد أمسك بخيوط ومعلومات كثيرة.

ومع ذلك نجح رفاق الاسكندرية فى إعادة تشكيل لجنة المنطقة ليسهموا بنشاط عارم ضد «**الدكتاتورية العسكرية**». وكان المسئول : **صلاح حافظ** (**روزاليوسف**) ممثلا للجنة المركزية المؤقتة أما أعضاء لجنة المنطقة فهم «**على محبب- محمد بسيونى- محمد عويضة- زهيرة- جابر**».

تولى هو مسئولية كفر الدوار .. البلد والمصنع والمجموعة الحزبية اضطربت بعد جريمة إعدام **خميس والبقرى** ومع ذلك استطاعت حدتو أن تحقق نجاحا مذهلا.. أحد أعضائها «**محمود عطا الله**» أصبح رئيسا للنقابة.. وضمت المجموعة واحداً من أشهر القادة النقابيين لصناعة النسيج «**أحمد اليابانى**» وضمت أيضا «**عيد صالح**» وانطلق العمل من جديد..

.. وفيما كان الأمن يطارد «**حدتو**» ، وإذ تعثرت المطبوعات المركزية أصدر رفاق الاسكندرية مجلة «**المقاومة**» وطبعوها على رونيو احدى الشركات عن طريق رفيق يعمل هناك . وجن جنون الأمن من جديد. بحثا عن الرونيو.. الذى طبعها ، دون جدوى.

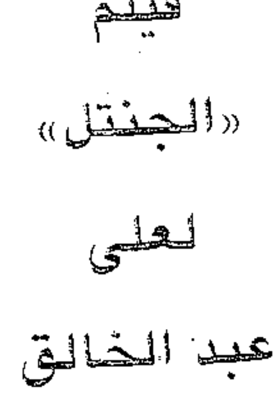
وفى الاسكندرية -وربما كان هذا هو النموذج الوحيد- نشطت الجبهة مع الوفديين نشاطا ملحوظاً. ووزعت باسمها منشورات كثيفة. ورتبت لجنة الجبهة هناك المشاركة الشهيرة **لمصطفى النحاس** فى صلاة الجمعة فى مسجد **ابو العباس**.. رتبت اللجنة الأمر بدقة شديدة. ورتبوا كيف يفلت النحاس من الرقابة اللصيقة به.. وأفلت فعلا.. وكانوا هم هناك على رأس المصلين، أما إمام المسجد فقد التهب حماساً وكانت خطبته عن «الجهاد» وخرجت مظاهرة صاخبة تحت قيادة أعضاء حدتو و الوفديين.. وهاج الأمن من جديد وقبض على كثيرين من النشطين فى الجبهة (شيوعيين ووفديين) وحددت اقامة **النحاس** باشا.. وكان هو من بين المقبوض عليهم فيما عرف بقضية «**الجبهة الوطنية المتحدة**» وإذ يخلى سبيله من القضية ، يصدر أمر باعتقاله ويرحل إلى سجن المنيا.

لكن الأمن لم يعثر ابداً (رغم حملاته المتكررة والهستيريه) على مخزن المطبوعات الحزبى وأرشيف المنطقة.. والآن يميط «**جابر**» اللثام عن السر.. «كان **عبده عمران** (نوبى) عضواً فى حدتو ، وكان يعمل سفرجيا فى قصر المليونير **سلفاجو** (الابن) .. وفى قبو القصر كان مخزن المطبوعات حيث يتم تسليم وتسلم المطبوعات فى ليالى السهرات الصاخبة لمليونيرات الاسكندرية ، ولم يكن بامكان أحد أن يتصور أن مخزن مطبوعات حدتو فى هذا القصر الفخم..(من المفارقات ان هذا القصر أصبح فيما بعد مقراً لمباحث أمن الدولة).

.. وتمضى الأيام بالمناضل.. كعادتها مع مناضلى هذه الأيام سجن ثم ملحمة نضاله ثم سجن .. وهكذا..

فقد أفرج عنه عام ١٩٥٦ ليواصل معركة نضال شجاع.. ثم يعتقل عام ١٩٥٩ ..ثم يفرج عنه ليواصل نضاله. حتى يكون قرار الحل الذى يصفه فى خطابه لى« بالحل المزرى والمهين).. ثم بتأسيس «التجمع» ليكون واحداً من مؤسسيه فى الاسكندرية .. ويواصل معركة نضاله فى صفوفه..






محمود عبد العزيز الصورة المصرية لفتوة الحارة

مرثية للزمن الجميل.. فى فيلم يزيف الواقعية

هوة سحيقة تفصل بين الواقع الحقيقى وصورته على الشاشة فى الأغلب الأعم من أفلام السينما المصرية طوال تاريخها ، لكن المفارقة أن الهوة تزداد عمقاً مع تلك الأفلام المعاصرة التى يرفع أصحابها شعارات رنانة طنانة، بأنهم يحملون لواء السينما الواقعية التى تولى وجهها شطر الحياة. إلا أنك تكتشف دائما أن الواقع الذى يتحدثون عنه ليس إلا قصاصات متناثرة وأفكار متفرقة تم تجميعها على عجل من الأفلام القديمة، فكأنه الواقع المستمد من «الأرشيف» العتيق للسينما المصرية التقليدية.

يتول صانعو فيلم«الجنتل» ، عصام الشماع مؤلفا ، وعلى عبد الخالق مخرجاً، وإلى جانبهم حشد من نجوم السينما المشهورين. انهم يعودون إلى «الحارة» المصرية كما أصبحت عليه اليوم فى نهاية القرن العشرين، ليقدموا مرثية للزمن الذى ضاعت فيه وحده القيم الأخلاقية كما عرفتها هذه الحارة فى الموروث الشعبى. حيث من المفترض أن تكون الشهامة والشرف هى المعايير السائدة. فاذا بهذه المعايير وقد أضحت أثراً بعد عين. لأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة لم تترك شيئا على حاله ، بل قلبت كل الموازين والأعراف واستبدلت سلطة المال وسطوته بالأخلاقيات الجميلة النبيلة القديمة.

وربما كان هذا الادعاء من صانعى الفيلم يحمل فى طياته بعض النوايا الحسنة، فتاريخ التيار الجاد فى السينما المصرية يؤكد هذا الاتجاه، بدءا من حارة «العزيمة» (١٩٣٩) لكمال سليم ، الذى يرصد حياة الطبقة المتوسطة فى فترة شهدت بعض الأمل فى أن يظفر بعض أبناء هذه الطبقة إلى مصاف الصفوة. من خلال نوع من «الانتخاب الطبيعى» ، فى ظل ظروف الرأسمالية الوليدة، حيث يسود قانون «البقاء للأصلح». وإن كان فيلم «درب المهابيل» (١٩٥٥) لتوفيق صالح قد أطلق تحذيراً مبهماً من أن هذا القانون قد يحول البشر إلى وحوش آدمية ، بالمعنى الكامل للكلمة، يتصارعون حول المال الذى يتعطش إليه الجميع حلاً لمشكلاتهم اليومية فى تحقيق الحد الأدنى من شروط الوجود الإنسانى، حتى أن هذا الصراع الذى لا يعطى اهتماماً للعدل الاجتماعى يصبح وسيلة دموية لتحقيق حلم كاذب ووهم مضلل، وها هو فيلم«الكيت كات» (١٩٩١) لداود عبد السيد يقدم شهادته الناعمة الرقيقة على أن العجز الذى يعانى منه البسطاء يمكن تجاوزه، لأن بداخل النفس البشرية طاقة كامنة تبحث عن متنفس وطريق للتحقق، حتى فى ظل أكثر الظروف صعوبة وقهراً ، فكم تكون الحياة أجمل لو أطلقت هذه الطاقة من عقالها!.

على الطرف الآخر، هناك عشرات الأفلام المصرية الأخرى اتخذت من «الحارة» مسرحاً لأحداثها، لكن الشخصيات التى تعيش فيها تظل مبتوتة الصلة عن الواقع الحقيقى، فهى قد تكون أحيانا تنويعات شعبية- لا تخلو من السطحية والفجاجة وربما السوقية أيضا- لنفس الخواديت الميلودرامية الباهتة التى اعتادت السينما المصرية على العودة إليها، لتؤكد فى النهاية على أن «الفقر نعمة، والعز مهدلة»(!)، أو قد تكون أحياناً أخرى تعبيراً عن مثال ذهنى لا يوجد إلافى ذهن صانعه، يلبسه ثوب الفقراء والبسطاء، ليتحدث عن أفكار مجردة، تدور فى العادة حول صراع غرائزى أزلى أبدى، يجعل الحياة الانسانية كلها تدور فى تلك الرغبات الجنسية المحمومة، على نحو ما ترى فى النزعة الطبيعية عند صلاح أبو سيف فى فيلم«لك يوم يا ظالم» (١٩٥١) وعند أسامة فوزى فى «عفاريت الأسفلت» (١٩٩٦).

بين «الفتونة» و «البلطجة»

من بين كل هذه المعالجات المتباينة ، مضى فيلم«الجنتل» فى طريق تناول الحارة المصرية على نحو يميل إلى التقليدية ، دون

أحمد يوسف



مشهد عاصف بين يوسى والهام شاهين

أن يتخلى عن الزعم بأنه يطرح أفكاراً مهمة براقة . فكأنه يريد أن **يغازل الجمهور بعين ، ويغازل المثقفين بأخرى** ، لينتهى به المطاف إلى «**الرقص على السلم**»، أو بالأحرى إلى التلفيق الذى لا يخلو من الاصطناع. وإن كان الأخطر أن مثل تلك المعالجة لابد أن تفضى إلى مفاهيم مشوشة مرتبكة، لا تسىء فقط إلى الفقراء في الوقت الذى ترفع شعار الدفاع عنهم، وإنما تسىء أيضا إلى السينما المصرية كلها، التى يحاول الجادون من أبنائها أن يشقوا طريقاً صعباً إلى الواقع الحقيقى وإلى الفن الرفيع فى آن واحد.

أراد فيلم «الجنتل» أن يقدم تنويعا معاصرا على صورة «الفتوة» فى حارة مصرية معاصرة، ليجسد فيه أخلاقيات الشهامة والنخوة، وإن كانت تلك الفكرة ذاتها تشير إلى قدر غير قليل من الافتعال، فربما كان «الفتوة» شخصية حقيقية فى الأيام الخوالى (يقول نجيب محفوظ) أهم الروائيين الذين تناولوا هذه الشخصية فى رواياته وقصصه السينمائية على السواء أن ذكرياته الغائمة عنها تعود إلى طفولته الأولى فى بدايات هذا القرن. لكن من المؤكد أنه لم يعد لتلك الشخصية وجود فى الحارة المعاصرة، التى يقول لك الفيلم أنها لم تعد تحمل ظلاً واحداً من الحارة القديمة. لكنه -فى نوع من التناقض- ظل مصراً على أن يستدعى بطلاً وهمياً، ليجعل منه الفتوة الذى يحمى الحارة، واختار له اسم «**الجنتل**» . تلك الكلمة الشائعة التى يخاطب بها الحرفيون بعضهم البعض دون أن تخلو من ظلال السخرية والتهكم(وهم ينطقونها فى العادة«الشنتل»!). وإن كان المنزلق الخطر الذى يقع فيه الفيلم هو أنه يحمل فكرة ضرورة وجود «**الطاغية العادل**» ، بدلاً من أن يطرح تساؤلات جوهرية حول طبيعة تلك التحولات الاجتماعية التى طرأت على الحارة المصرية المعاصرة، فلم تركها على حالها القديم، ولم تقض بها أيضا إلى واقع اجتماعى مدنى حديث. فكأن الفيلم يكرس ذلك الوضع المشوه السائد فى المجتمع المصرى، الذى يصفه علماء الاجتماع بأنه خلق كائنا مسخاً، حمل إلى الحارة أسوأ ما فى شوارع المدينة المزدحمة، كما حول المدينة إلى قرية تعيش فى ظل التخلف.

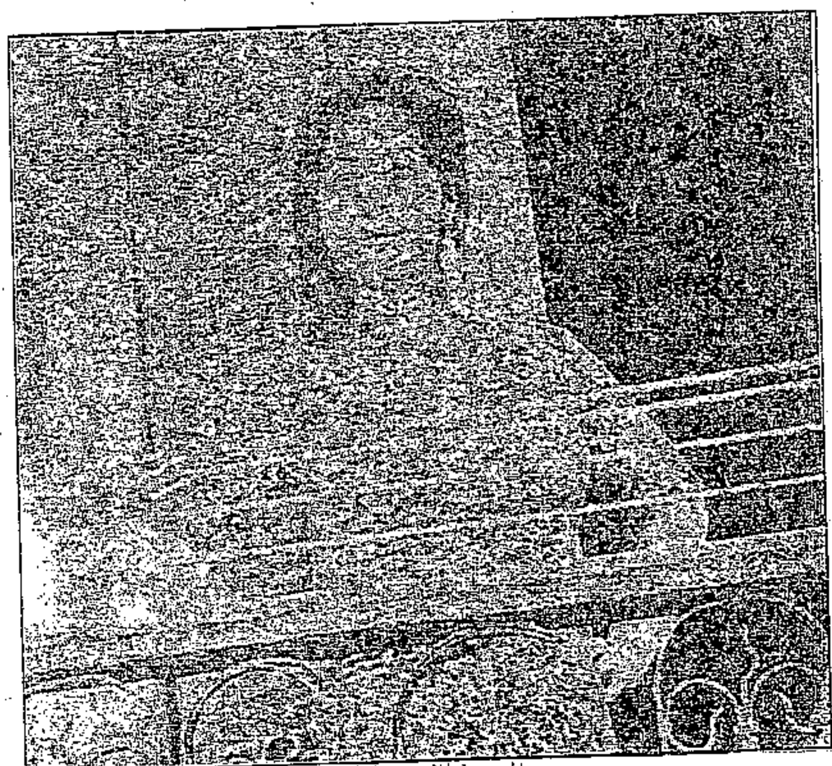
إن أردت الحقيقة ، فبقدر يسير من تأمل الفيلم وتفاصيله القصة والتكرار، سوف تدرك أن صانعى الفيلم اختاروا أن يدور الفيلم حول شخصية تحمل اسم «الجنتل» ، ليقوم بأدائها النجم **محمود عبد العزيز**، يقدم من خلالها بعض لوازمه الشكلية التى اشتهر بها فى معظم أفلامه الأخيرة، والتى لا تخلو من خفة الظل (واستسهال الأداء أيضا)، فهو «العجلاتى»-صاحب محل تأجير الدراجات- رشاد عنتر ، الذى لا يمل الحديث عن ذكرياته عن فروسية أبيه عنتر(ولتلاحظ اصطناع اختيار الاسم). كما أنه يحلم بأن يظل وريثاً لهذه الفروسية القديمة، حتى أنه يتصدى لصاحب المقهى الشرير (**سامى سرحان**) ، الذى يطلق عليه الفيلم اسم«**عربى**» (ولتلاحظ مرة أخرى فجاجة وسخف دلالة اختيار الاسم، حتى أن «الجنتل» سوف يتصدى بسيفه(!) للاحتلال عربى للفتاة الجميلة شهرزاد (**يوسى**) التى يحبها البطل، فهل **تستطيع أن تجد فى تلك المعركة الدموية التى يبدأ بها الفيلم فرقاً بين ما يتصوره الفيلم نوعاً من «الفتونة» والشهامة ، وبين «البلطجة»**بالمعنى الكامل للكلمة؟!.

الفتوة «الكاوبوى»

وهكذا يقع الفيلم منذ اللحظة الأولى فى فخ تصوير «الجنتل» على أنه «كاوبوى» ، يتحدث بلكنة مصطنعة يتصورها صناع الفيلم أنها طريقة أولاد البلد فى نطق الكلمات، ويرتدى سترة جلدية محلاة بأزرار معدنية، ويضع فى قدميه حذاء ذا رقبة عالية يصر على أن يحشر فيها أطراف سرواله، بل إنه يركب جواداً مطهماً ليثبت لحبيبته أنه «فارس أحلامها» . يطوف به الحارة ويجبر أهلها على الدخول إلى منازلهم- أو جحورهم- ليخلو المكان تماماً. فيختلى بحبيبته شهرزاد، يبثها شكواه ونجواه، ويتبادل معها القبلات والأحضان، فى الساحة التى أفرغها «الجنتل» من الناس البسطاء الذين يزعم الفيلم أن بطلنا يدافع عنهم!.

تلك كانت البداية التى انطلق منها صناع الفيلم، وهى أيضا التى انتهوا إليها بعد دقائق قليلة من بدايته ، فكل ما يبقى من دراما الفيلم- إن جاز لنا أن نطلق عليها هذا الاسم- ليس إلا فقرات متتابعة من الحوادث الميلودرامية -ولا نقول الأحداث- تبدو كل منها منقطعة الصلة بالأخرى، بل إن علاقتها بشخصية البطل نفسه «الجنتل» أو الفتوة، ليست إلا علاقة واهية . فاذا كانت رابطة الحب تجمع بين رشاد وشهرزاد، فإن سعاد (**إلهام شاهين**) شقيقة شهرزاد تهيم حباً بالرجل نفسه، ولأن شهرزاد فتاة شديدة النقاء، فإنها ترضى بأن تضحى بحبها من أجل سعاد، التى يقدمها الفيلم فى ثوب فتاة متمردة شرسة، تسعى إلى العمل بالرقص فى الأفراح طمعاً فى الشهرة والمال.

إن كنت تنتظر من «الجنتل» أن يمارس شهامته وسطوته على هذه العلاقات المتشابكة، والشخصيات المتناقضة، فى محاولة من الفتوة أن يعيد للحارة توازنها المفقود، فإنك تكون قد وقعت فى وهم تصديق زعم صناع الفيلم بأنهم يقدمون فيلماً واقعياً لكنهم فى الحقيقة يسعون جاهدين لاستثمار كل عناصر «الفرجة» السينمائية بمعناها الضحل والساذج. فعلى العكس سوف



برسي .. الصورة الايجابية لبنت الحارة

يرفض «الجنتل» -دون أن ندري لذلك سبباً - بالامتثال لأهل الحارة، الذين يصرون على طرد الفتاتين دفاعاً عن الشرف(وينسى الفيلم تماماً مشهد استمتاع أهل الحارة على نحو شهواني غليظ برقص سعاد. كما ينسى قدرة «الجنتل» على فرض سطوته على الحارة!) . لذلك يقوم رشاد باصطحاب الفتاة المتمردة وشقيقتها الطيبة للأفراح، لترقص سعاد ويغني رشاد (وتلك فرصة يقتنصها الفيلم لكي يمنح لمحمود عبد العزيز أغنيتين أو ثلاث!!)، حتى ينتهي بهم المطاف إلى قرية في أقاصي الصعيد، يتحول فيها الفرح إلى مأتم تحت وابل من طلقات الرصاص، وتقع في أيديهم بالصدفة- حقيبة مليئة بالمال، يقضون الجزء الباقي من الفيلم في البحث عن أصحابها المجهولين.

وإذا كانت الحارة بأهلها الفقراء الذين يغلب عليهم الخير تارة، ويتحولون إلى رعاع أجلاف تارة أخرى، والصعيد بأهله أصحاب الوجوه المتجهمة الغليظة حتى في أفراحهم، قد أصبحوا على هذا النحو-كما يظهرون على الشاشة- مجرد خلفية باهتة منفرة، تنبئ برؤية صناع الفيلم شديدة القصور عن تلك الكتلة الهائلة من البشر القابعين تحت السطح من الحياة الاجتماعية المصرية المعاصرة فإن الفيلم ينتقل في جزئه الأخير إلى السخرية من الاغنياء، الذين يبحث بينهم البطل عن صاحب حقيبة المال، فإذا به يجد نفسه في وسط عالم يموج بالمساخر البذيئة، فكل **النساء يردن اشباع رغباتهن الجنسية من فحولة «الجنتل» ،وكل الرجال يسعون إلى مطارحة سعاد الغرام، كما أن الجميع يتحولون إلى مطاردة محمود لحقيبة المال**،التي تنتهي إلى أن تطفو فوق سطح البحر، ليجمعها «الجنتل» ويعود بها إلى الحارة ليتزوج حبيبة القلب شهرزاد، بعد أن ارتضت شقيقتها سعاد بالتخلي عن تمردها، وعادت إلى «حظيرة» الحارة، وبعيداً عن أحلام الثروة والشهرة.

البناء المغلق لدراما هزيلة

يفرط «الجنتل» في بعض مونولوجاته العديدة التي يستغني بها الفيلم بالحوار التقريري المباشر بدلاً عن الصراع الدرامي، وباستخدام تعبيرات لا تخلو من الشعر واصطناع البلاغة: «أنا حائط الحارة تحت جلدي.. لحم الحارة ده لحمي.. أنا راجل الحارة في غياب الرجالة في شغلها (هكذا!!). لكن الدنيا انقلبت معاييرها. أبويا علمني غلط، ده مش زمان الجنتلة». لكن الحقيقة أن هذه الكلمات ذاتها تعكس التناقض الصبي في رؤية صناع الفيلم للواقع المعاصر. فهذا الفتوة ليس إلا «بلطجيا» بالمعنى الكامل للكلمة، حتى لو اختفى- أو أخفاه الفيلم- خلف قناع الدفاع عن القيم الأصيلة التي تدور حول المفاهيم التقليدية للشرف والكرامة، كما أن انقلاب المعايير لايعني الدعوة إلى العودة إلى عالم قديم لم يعد له وجود ،في ظل المتغيرات التي كان من المفترض أن تحمل المجتمع إلى شكل مدني معاصر.

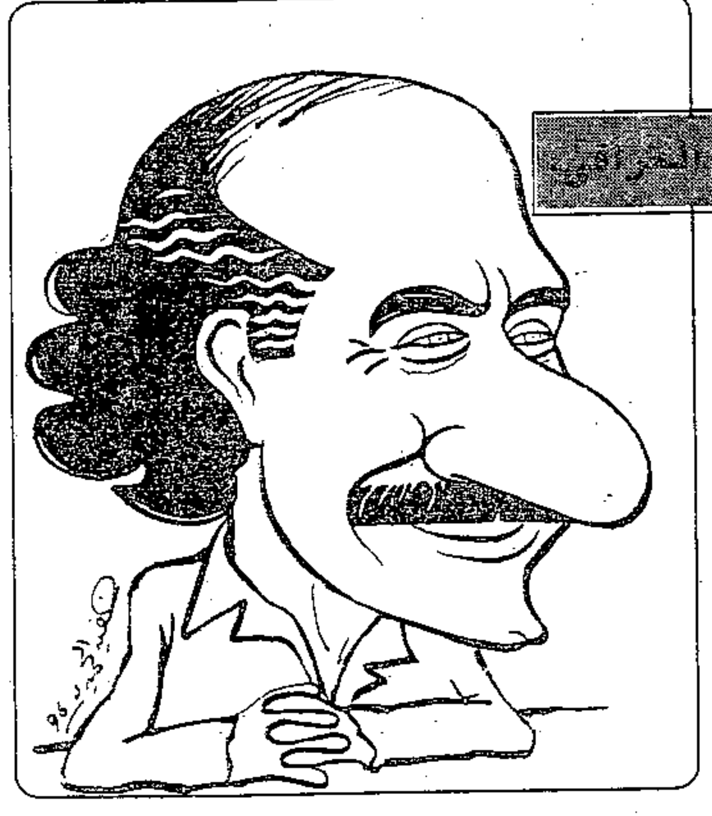
إن هذه الرؤية القاصرة تتجلى في لجوء صناع الفيلم إلى أكثر «كليشيهات»السينما المصرية تقليدية وسطحية، بدءا من الشخصيات الباهتة التي يمكن أن نطلق عليها صفة مجردة، مثل «الشهامة» أو «التضحية» أو «التمرد» أو «النذالة» (وهو التقليد الذي تخلت عنه الدراما بعد اختفاء «مسرحية الأخلاق» التي تعود إلى القرون الوسطى!)، ومرورا بتصوير معركة رشاد الطيب وعربي الشرير على دقات الطبول، حيث ينتقل رشاد سيفه من يد إلى أخرى، بينما يدوي تصفيق أهل الحارة من الشرفات والنوافذ(!)، ومشهد طرد أهل الحارة للشقيقتين بقدر هائل من العدوانية غير المبررة، وحفلات الأغنياء الماجنة الحافلة بالخمر والنساء والخلاعة.

لكن الاهم والاخطر في هذا النوع من الافلام، التي تزعم انها تنتمي الى الواقعية، هو أنها لم تدرك بعد ذلك الفرق الحيوي والجوهري بين البناء المغلق و البناء المفتوح، في الدراما والصورة السينمائية على السواء. فاذا كان البناء المغلق يعبر عن رؤية شديدة الذاتية والمثالية للعالم كما يراه الفنان (لهذا تنتمي الأفلام التعبيرية إلى هذا النوع من البناء) ، فان **الأقرب للواقعية هو البناء المفتوح، حيث ترى في كل الشخصيات التي تظهر على الشاشة امتداداً لواقع أرحب وأشمل خارجها، حيث تصبح- بالمعنى العميق للمعالجة-شخصية حية ونمطاً في آن واحد**- كما أن المكان السينمائي لا يبدو عالماً مغلقاً على ذاته، بل يمكنك أن تستدعي إلى ذاكرتك أو خيالك عشرات ومئات الأماكن الواقعية الأخرى التي يمكن أن يحدث فيها ما تراه على الشاشة من دراما، لأنها الدراما التي يمكن أن نعيشها جميعا، وإن اختلفت تنويعاتها ودلالتها.

لقد اختار فيلم **«الجنتل»** رغم زعمه بالواقعية بناء مغلقاً ، مصنوعاً من أوهام مشوهة عن الواقع، ومؤلفا من قصاصات أفلام مصرية قديمة. لكن الفيلم لا يطرح في الحقيقة مشكلة الواقعية وحدها، لكنه يطرح أيضا قضية **«غياب جوهر»** الدراما عن بعض من نجوم صناع السينما المصرية من كتاب السيناريو والمخرجين. فكيف للدراما أن تتحقق بينما يدور الفيلم كله حول النجم **محمود عبد العزيز** وافيهاته الكوميدية التقليدية وأغنياته الساذجة، في الوقت الذي يتحول فيه الجميع من حوله إلى أشباح باهتة؟ وهل يوجد أي بناء درامي بينما يقفز الفيلم من حدوته إلى أخرى كيفما اتفق، لكي يمنح المتفرج قدراً هائلا من «الفرجة» الساذجة على نقراء السينما المصرية وأغنيائها؟وهل تكفي جمل الحوار البلاغية الانشائية لكي تقنع المتفرج بما يزعم الفيلم أنه قضيته التي يطرحها ويدافع عنها؟ **إن أردت وصفاً دقيقاً لمثل هذه الأفلام، فهو أنها لا تنتمي بحال إلى فن السينما، لكنها ليست إلا نوعاً رديئاً من «صندوق الدنيا» ، وإن كان من المؤكد أنها تخلو من سحره الجميل القديم!.**

حوار مع رسام الكاريكاتير العراقي

خضير الحميرى



أجرى اللقاء :

خلدون غرايبة

لم يلجأ إلى أسلوب الخطابة فى الكاريكاتير ، الذى يصل النخبة ، ويعيفه الناس، اعتمد الإيحاء بدل المباشرة، ولم يعرف الارتجال العفوى الذى يقبله الشعب وتنبذه السلطة..!.

يرسم خطوطاً سوداء بسيطة، وأشكالا ساخرة لتصنع من المأساة لوحات، تخفف قسوة القمع والجوع والنفى..

غالباً ما يتنحى فى منهجه عن التعليق.. فقد قصد فى لوحاته أن يخاطب الثوابت العامة، فكان هذا كفيلا بأن تتخطى رسومه الحواجز والحدود الثقافية والسياسية التى تفصل بين الشعوب، فوصلت الجميع.. «اليسار» التقت بالفنان **خضير الحميرى** وخرجت معه بالحوار التالى:

*** كيف ترى واقع الكاريكاتير العربى عموماً.. والعراقى خصوصاً؟.**

-من خلال متابعاتى البسيطة أرى أن الكاريكاتير العربى أخذ بالتمدد على المستويين الأفقى والعامودى، فأفقياً تكاد لا تخلو صحيفة أو مجلة عربية من رسام كاريكاتير يلتقط الأحداث ويفلسفها وفقاً لوجهة نظره أو وفقاً لوجهة نظر المطبوع الذى يعمل فيه!! وعموديا بدأ رسام الكاريكاتير العربى يرسخ علاقته مع قضايا المجتمع، وإن كانت هنالك بعض التبعية فى المعالجة يمكن أن نلمسها لدى هذا الرسام أو ذلك.

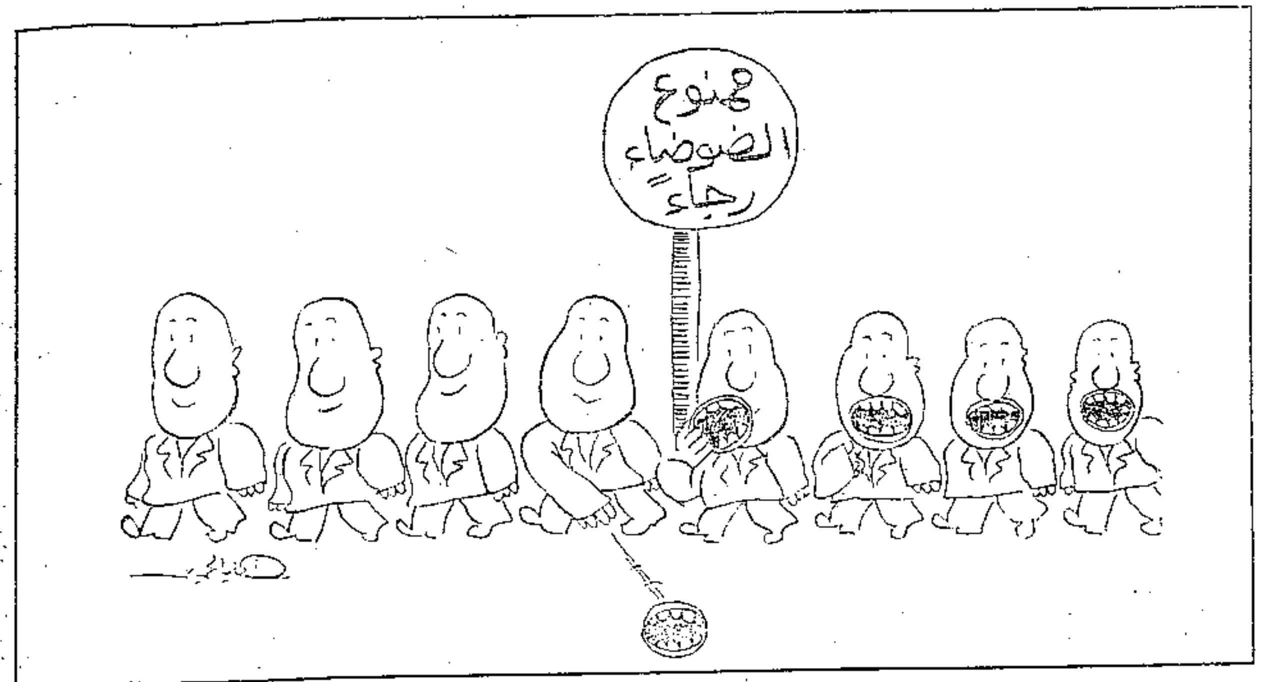
والأمر الملح الذى ينقص الكاريكاتير العربى، هو تنظيم معرض دورى يؤمن التقاء الكاريكاتوريين العرب، على غرار المعارض والتجمعات العالمية.

أما بالنسبة للكاريكاتير العراقى فقد ظل ينضج على نار هادئة ،ولولا المعوقات المعروفة التى تقف أمام الرسام العراقى، لأطلع القارئ العربى على أسماء فذة فى التعبير الكاريكاتيرى أمثال: **مؤيد نعمه، عبد الرحيم ياسر، عبد الكريم سعدون، ضياء الحجار، شهاب الحميرى، على المندلاوى، راند نورى وكفاح محمود وآخرين.**

*** هل تعتقد بوجود وظيفة اجتماعية للكاريكاتير، وما هى؟.**

-الكاريكاتير فن تحريضى بالدرجة الأولى، فمن خلال بضعة خطوط يمكن لرسام الكاريكاتير أن يختصر لقرائه قضية شائكة، فالرسام هنا معنى بكشف المستور بعيداً عن التبجحات الاعلامية والتخريجات الفلسفية، وهناك الكثير من القراء يأخذون مواقفهم مما يرسمه الكاريكاتير لا مما تقوله افتتاحية الصحيفة، وهذا نجاح رائع لفن الكاريكاتير ولرسالته الفنية والاجتماعية معاً.

*** ما مدى ارتباط فن الكاريكاتير بالتطور أو التخلف**



الاجتماعيين، وكيف يستطيع الرسام أن يتجاوز واقعه الاجتماعي؟.

-أرى أن الكاريكاتير وليد الحضارة، فالعمل عليه جزء من الحضارة، كما أن تفهمه على الوجه الصحيح لا يمكن أن يكون بعيداً عن السلوك الحضاري، فالمجتمع المتخلف ينظر إلى النقد أياً كان شكله على أنه نوع من الشتيمة التي تستوجب المساءلة وربما الردع!!.

*** برسم الكاريكاتير بالأبيض والأسود، إلا أن الكاريكاتير الملون أخذ طريقه إلى الصحف والمجلات، هل للون دور آخر يقوم به غير الدور الجمالي؟.**

-الرسام معني بإيصال فكرته من خلال تركيز نظر القارئ في المفردات والإيحاءات التي ينطوي عليها الرسم، ولا أظن أن اللون سيساعد في إيصال الفكرة إلا بحدود ضيقة حين يدخل اللون كأحد الرموز أو الإيحاءات المطلوبة، أما في الحالات الأخرى فقد يضيع على القارئ التمتع بالفكرة، ولذلك ترى أن أغلب رسامي الكاريكاتير يفضلون أن يعالجوا موضوعاتهم بالأسود والأبيض.

*** هل تعتقد بوجود ما يمكن أن يطلق عليه «المدرسة العراقية» في الكاريكاتير، وما هي أهم خصائصها إن وجدت؟.**

- ربما توجد ملامح لمدرسة عراقية في رسم الكاريكاتير انضجتها الظروف الخاصة برسام الكاريكاتير العراقي أو الموضوعات الخاصة التي دأب رسام الكاريكاتير في العراق على معالجتها، فقد انفتح الكاريكاتير تحديداً على رسم الكاريكاتير في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي منذ السبعينيات عبر أهم المعارض العالمية حينها وهو معرض «غابروفو» حيث كانت مشاركة الرسامين العراقيين شبه منتظمة في هذه المعارض، وما نتج عنها من تأثير متبادل والمعروف أن الكاريكاتير في هذه المنطقة من العالم متطور جداً، ويميل عموماً إلى التعبير الصامت، حيث يمكن أن ينطوي الرسم الواحد أحيانا على أكثر من تعبير.

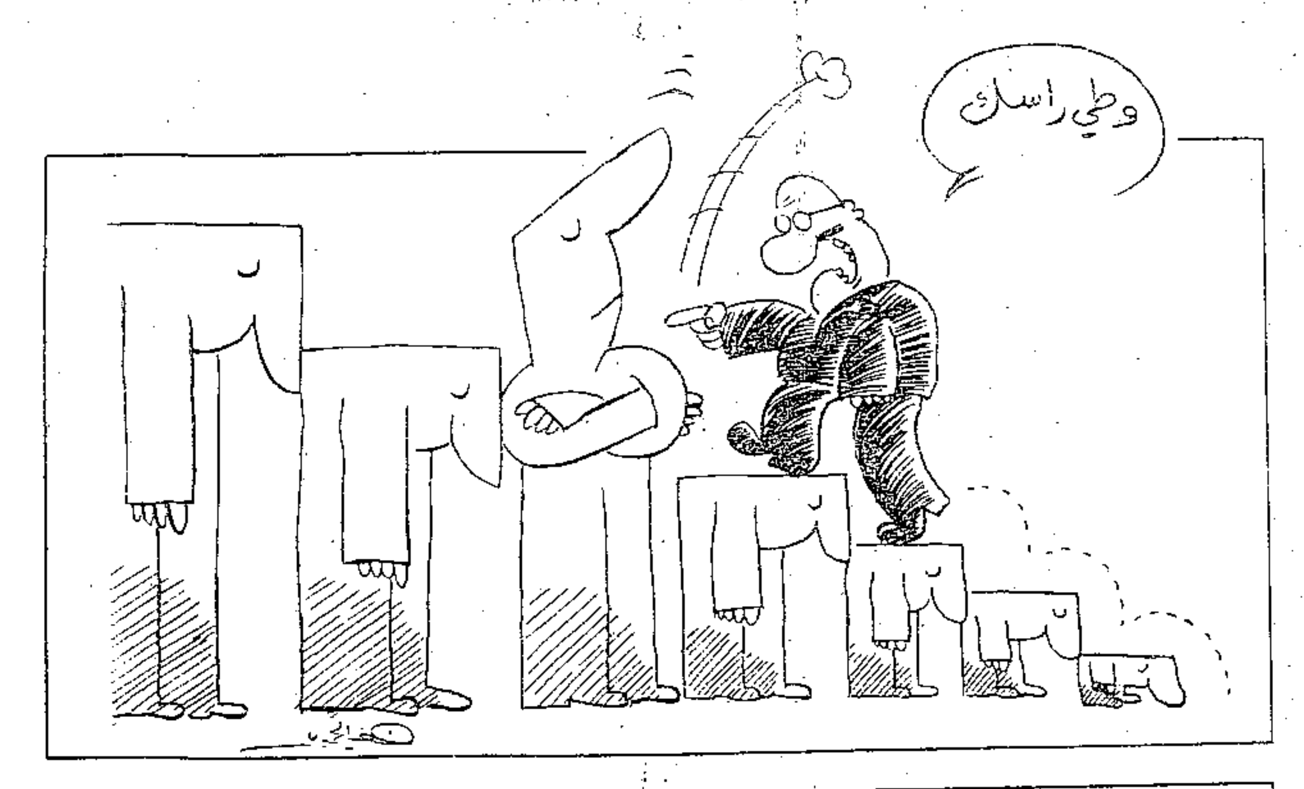
*** كيف بدأت رسم الكاريكاتير، وبمن تأثرت في بداياتك الأولى؟.**

-بدأت رسم الكاريكاتير منذ عام ١٩٧٥ وكان الدافع حينها لمجرد التسلية وتزيين النشرات الجدارية، ولم يكن في نيتي احتراف هذا الفن، إلا أنني ولشدة اعجابي برسامي الكاريكاتير العراقيين آنذاك: عامر رشاد وعادل شناق«جريدة الثورة» ورائد نوري «مجلة الف باء» وجدت نفسي أطرق باب الصحافة على استحياء عام ١٩٧٧ وهكذا بدأت رسومي تظهر في «جريدة الجمهورية» و«جريدة العراق»، ثم ومنذ عام ١٩٧٩ أصبحت الرسام الأساسي« لمجلة الف باء» أشهر مطبوع عراقي يهتم بالكاريكاتير ويفرد له أكثر من صفحتين من كل عدد، وقد سبقني للشهرة فيها عمالقة الكاريكاتير في العراق أمثال: **بسام فرج، ورائد نوري.**

*** كيف تبدأ علاقتك بلوحة الكاريكاتير؟.**

-ورقة بيضاء وقلم رصاص ،وعدة



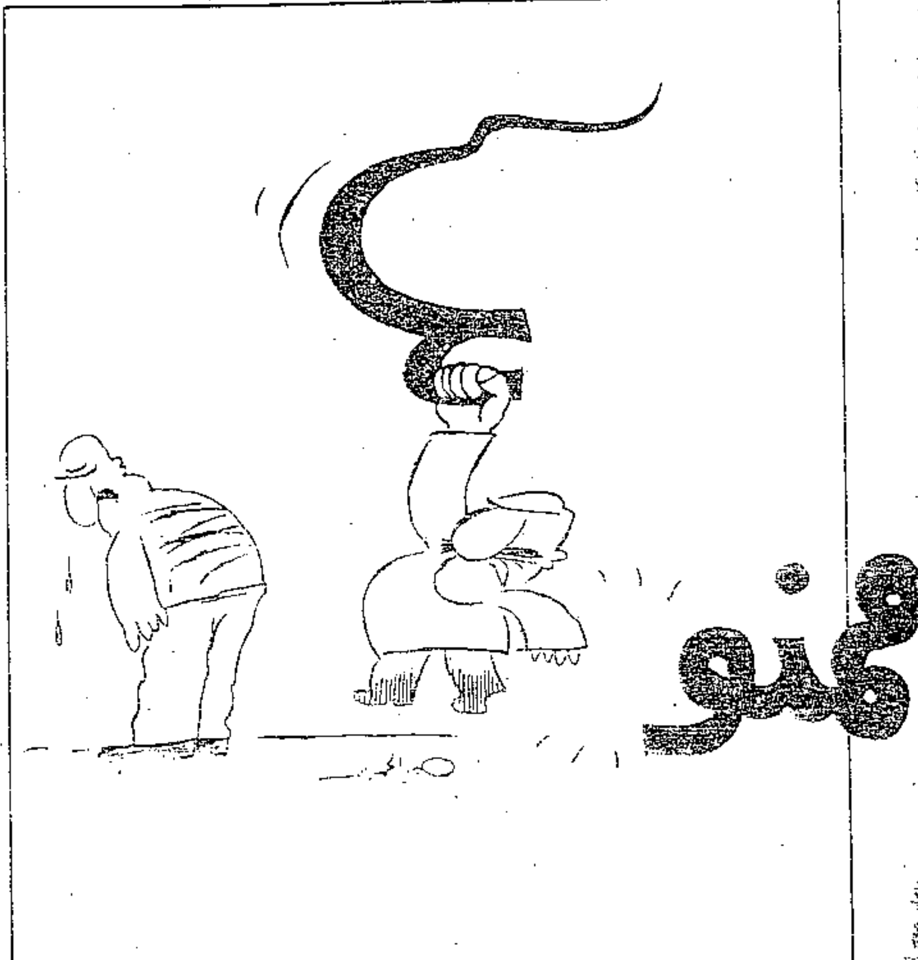


محاولات بسيطة، حتى تفقد الورقة البيضاء عذريتها، وتكتمل أمامي ملامح الرسم الكاريكاتيري المطلوب!!.

*** هناك معالجات في أعمالك لقضايا: الفقر السلطة، القمع ، المنع.. هل هو ترجه للبحث في القضايا التي أصبحت من الثوابت في العالم العربي؟..**

- هذه الموضوعات هي القاسم المشترك ليمنا العربي بهذه الدرجة أو تلك ، وربما لهموم عالمنا الثالث بأجمعه، ولا أتمنى أن تكون هذه القضايا من الأمور «الثابتة» كما تصفونها. فأنا ممن يتشوقون لزوالها من وجه الأرض إلى الأبد، إلا أنها تظل من الموضوعات التي تستهويني كما تستهوي الكثير من رسامي الكاريكاتير في كل مكان. أما الموضوعة الاساسية التي استقي منها رسومي الكاريكاتيرية ذاتها تنطوي على صراع المتناقضات، الغني والفقير ،المتسلط والغلبان ، الجلاد والضحية.. الخ.

***« الجرأة هي ميزة رسام**



الكاريكاتير الناجح» ، ما رأيك؟.

-الجرأة هي الوسادة التي يتكئ عليها الرسم الكاريكاتيري الناجح ، مع أن هذه الوسادة المغرية يمكن أن تنفجر عليه في أية لحظة..

الفنان خضير الحميري

* مواليد ١٩٥٥ العراق-بابل.

* حاصل على ماجستير علوم اقتصادية عام ١٩٨٩.

* بدأ العمل كرسام كاريكاتير عام ١٩٧٧ في جريدة «الجمهورية» ثم جريدة «العراق» ومجلة «الف باء».

* الجوائز

- ميدالية تقديرية من جريدة «يوميوري» اليابان ١٩٨٦.

-الجائزة الثالثة للمعرض الافرو عربي في القاهرة ١٩٨٩.

*شارك في معارض عالمية منها:

-معرض «العين الثالثة» / اليابان لأكثر من دورة.

-معرض «غابروفو» / بلغاريا لاكثر من دورة.

-معرض «الانسان والبحر» /الاتحاد السوفيتي ١٩٩١.

-معرض «الصالون» / فرنسا ١٩٩٥.

-معرض «الانسان والقرن الحادي والعشرين» اليابان لسنوات متعددة.

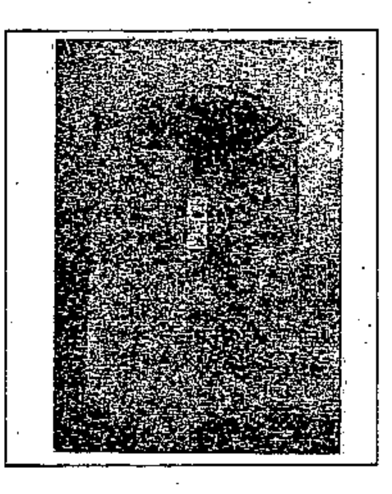
-شارك في جميع المعارض العراقية للكاريكاتير منذ عام ١٩٨٠ حتى ١٩٩٥.

*صدر له

-كتاب كاريكاتيري مع مجموعة من الكاريكاتوريين العراقين عام ١٩٨٠.

-كتاب «كاري.. كاتير» عام ١٩٨٨ (من منشورات مجلة ألف باء).

وائل شوقي.. مفاجأة بينالي القاهرة الدولي السادس



فاطمة اسماعيل

حاز وائل **شوقي** على الجائزة الكبرى وقيمتها أربعون ألف جنيه مصري في **بينالي القاهرة الدولي السادس** والذي افتتح منتصف ديسمبر ١٩٩٦ ويظل حتى منتصف فبراير ١٩٩٧ بمجمع الفنون بالزمالك. ومتحف الفن المصري الحديث وبقاعة الاوبرا والهناجر والقاعة المستديرة وقاعة كلية التربية الفنية وكلية التربية النوعية بالدقي.

وعدد الجوائز ثلاث عشرة جائزة.. وأهمية الجائزة الكبرى في أنها تتجاوز تلك التصنيفات التي تمنح جوائز من أنواع بعينها مثل التصوير ، النحت ،الحفر ،الرسم والعمل المركب. قيمة الجائزة التي تمنح لتلك الافرع خمسة عشر الف جنيه وتسمى جوائز البينالي ثم هناك جوائز التحكيم وقيمة الجائزة سبعة آلاف جنيه تمنح من أعضاء لجنة التحكيم كل حسب تقديره الشخصي.

وعدد أعضاء لجنة التحكيم لهذه الدورة سبعة نقاد دوليين من بينهم عضو مصري واحدا هو الفنان **فرغلي عبد الحفيظ** القومسيير العام لهذه الدورة.. ويرأس لجنة التحكيم الناقد الأرجنتيني **خورخي جلوسبرج**. وهو مدير المتحف القومي للفنون الجميلة والناقد الانجليزي **إدوارد لوسي سميث** (١٩٣٣) وله أكثر من ثلاثين كتاب من أشهرها **الفن في الثمانينات والفن في السبعينات والفن اليوم ١٩٩٥-والفن البصري في القرن العشرين ١٩٩٦.**

وفي مصر يترجم له المجلس الأعلى للثقافة كتاب عن **اتجاهات الفن منذ عام ١٩٤٥- وحتى ١٩٦٩.** أيضا من بين أعضاء لجنة التحكيم الناقد **جونسون تشانج** من هونج كونج (١٩٥١) وهو عضو باتحاد النقاد الدوليين. له مؤلفات عديدة في الفن.. والناقد الاسباني **رفائيل كانوجار** (١٩٣٥) مواليد توليدو، وهو أحد المنشقين لجماعة «**الباسو**» ١٩٥٧-١٩٦٠ ،وعضو في الاكاديمية الدولية للفنون الجميلة بسان فرناندو -مدريد ١٩٩٦.

والناقد التونسي **علي اللواتي** (١٩٤٧) له العديد من المؤلفات الادبية والفنية ثم الناقد الايطالي **فولور يانو مي ساني** - مواليد أوربينو (١٩٤٧) وهو قوميسير **لبينالي فينيسيا** -المفتوح. له أكثر من ٢٠٠٠ مقال نقدي بالمجلات المتخصصة وله مؤلفات فنية هامة. شغل منصب مدير متحف **اميليو جركو ماستروياني** في منطقة لورو بمدينة روما .ورئيسا لجائزة فن النحت والتي تمنح من مؤسسة **ماستروياني** في مدينة روما -ايطاليا.

أما **فرغلي عبد الحفيظ**.. فهو من مواليد ديروط بمصر الوسطى .. شغل منصب عميد كلية التربية الفنية .له كتابات في الفن ومشاركات محلية ودولية في المعارض والبيناليات وحائز على جوائز دولية وكذلك محلية عديدة **عضو مؤسس لجماعة المحور** ١٩٨٤- عضو مؤسس لجمعية الفن ومنظرو الفن عضو **الاتحاد العالمي لنقاد الفن التشكيلي**..القومسيير العام للدورة السادسة **لبينالي القاهرة الدولي** ديسمبر ١٩٩٦.

ويأتي للجائزة الكبرى.. العمل الانشائي "Anestallation"الذي قدمه **وائل شوقي** الفنان السكندري الذي لم يتجاوز عمره خمسة وعشرين عاماً ولم تتجاوز تجربته الفنية سنوات قليلة منذ تخرجه من كلية الفنون الجميلة جامعة الاسكندرية ١٩٩٤، ومشاركته في صالون الشباب إلا أنه في تلك السنوات القليلة استطاع أن يلفت النظر إلى موهبة فنية متميزة حصل على الجائزة الكبرى لصالون الشباب في دورته السادسة ١٩٩٤ ثم مشروعه المميز الذي قدمه في البينالي وحصل به على الجائزة الكبرى.

ماذا قدم وائل شوقي بالبينالي؟؟

قدم وائل شوقي عملاً فنياً انشائياً -In stallation" **مكوناً من أربعة اكواخ من الاسمنت مصممه على شكل بيوت مدينة النوبة في الشكل الخارجي ،وهي مصمته من جوانبها الأربع باستثناء فتحة صغيرة مستطيلة من واجهة الكوخ متوسطة الثلث العلوي للعمل** هي نافذة العمل..

وفوق سطح البيوت نثرت أكوام كثيرة من السلك المجلفن «الفضي» ومتعلق به بعض الاشكال الدائرية السوداء «كرات صغيرة» بصورة عشوائية..-السلك هنا فوق الاسطح معادل بصري للقش الذي يوضع على اسطح البيوت في الريف وكذلك النوبة .. أما الكرات السوداء الصغيرة فهي معادل بصري أيضا لصورة الذباب الذي يتواجد على القش ويمثل شكل التلوث البيئي الطبيعي أما ما يضعه وائل فهو يمثل صورة التلوث الذوقي باستعاضته خامة السلك الفضي المبالغ في استخدامه على اسطح البيوت الاسمنتية الباردة والتي تفصلها عن تاريخها الذي يستحضره الفنان في وجوده.

ثم نأتي إلى الأربعة بيوت والتي تمثل أربع حالات ، أو أربع صور بصرية لشكل هذا التلوث الناتج عن الحضارة..

الحالة الأولى نتعرف عليها حين ننظر من تلك النافذة الضيقة والتي تفرض زاوية رؤية محدده لما بداخل البيت.. نرى في الداخل هذا **التابوت الأبيض اللامع** وعلى رأسه شاهد التابوت والذي لا يعلن عن شخص أو

فرد أو هريه، وانما رمز للشاهد. أما التابوت فهو تابوت خاص برؤية الفنان فنهايته المدببة تخرجه من الشكل المتعارف عليه للتابوت وكذلك تجويفه العميق الذي يجعل من المتلق إحساس بخداع الرؤية مع ما يحمله الرمز من دلالة..**فلا أستطيع أن أمنع نفسي من رؤية هذا التابوت وكأنه كبسولة فضائية يرتد بها شخص ما قابع في داخلها ،وإن كان الشاهد يساعد على تسكين الحالة واحتوائها في خزانة متحفية.**

البيت الثاني-وهو يعرض حاله (التجمد) تجمد الحركة وكذلك تجمد الصوت فهناك عشرات من الحشرات قد تكون ذباب أو نحل.. على أي الأحوال نشرت تلك الحشرات على أحبال من السلك المجلفن مثبتة على وضع «الطيران» وان كانت ثابتة.. امتلأت الحجرة بهذه الحشرات المنشورة ومن أسفل أربعة ميكروفونات مثبتة في أرضية الحجرة.. لا يصدر عن تلك الميكروفونات أي صوت، رغم وفر هذا الكم الهائل من الحشرات ثم هناك الحالة الثالثة **ولأول مرة نجد لوناً من العمل وهو (الأصفر الشمسي)** في المرتبه التي ترضع في أرضية البيت وتعكس احساساً بوجود ملامح لاجساد كانت نائمة منذ لحظات . وقرب سقف البيت نجد **مستقبل "Receiver" يعمل وان كان لا يستقبل شيئا كما أنه لا يرسل ولا يصدر صوتاً..!!**

في الحالة الرابعة والأخيرة ضرع متجمد يتساقط منه بيض (رمادي) من سلة مثبتة بالضرع وعلى أرضية البيت يتساقط العديد من هذا البيض الفاسد..

كيف نرى هذا النوع من الفن..؟

هذا النوع من الفن نستطيع أن نقرأه باعتباره **فناً سياسياً ، أو فناً اجتماعياً**..على أي حال هو فن يحمل رأياً أو وجهة نظر فيما يحدث فالدلالات المباشرة، **الذباب، الميكروفونات، المستقبل، البيض الفاسد** وبالتالي المداليل التي لا يختلف عليها أحد وهي **الصمت الجمود، التلوث، والفساد، وتكميم الافواه، والموت مع الحياة**.. كل تلك العلامات تضعنا في حالة إحالة للعمل الفني، وأيضا تحيله على الواقع وفي نفس الوقت معايشة **(النوستالجيا)** التي حضرنا لها **وائل شوقي** من بداية رؤيتنا للعمل كبيوت (للنوبه).

هذا ما نقرأه أدبياً من العمل.. أما ما نراه بصرياً فهو موضوع آخر.. فتكرار الوحدة الاساسية التي انشئ عليها العمل وهي البيت النوبي تجعلنا أمام تساؤل . هل هناك حكمه ما عند الفنان من **الرقم (٤) في العمل؟**.. بمعنى آخر لماذا لم يكن العمل (٣) أو (٥) مثلا ... اذا كانت الفكرة هي فتح الخيال بالنسبة للامتداد فغالبا ما نجد أن العدد الزوجي هو نهاية أي تكرار بينما الفردي هو استمرار المكرر لأنه دائما ما يكون هو رقم الاختلاف أو هو السؤال ودائما ما يكون الرقم الزوجي هو الاتساق مع الاختلاف أو اجابة السؤال..

اذا لم يترك **وائل شوقي** البيوت في عدد فردي فيترك لنا فرصة الاختلاف والتساؤلات؟

هنا يريد **وائل شوقي** أن يطرح قضية ثم يستكمل كل عناصرها ويضعها في صورة تقريرية منتهية غير قابلة لا للاختلاف ولا المناقشة من اساسه..

النقطة الأخرى لعنصر **«التكرار الشكلي»** أن هذا التكرار يمتد افقياً فلم يسع الفنان لوضعه رأسيا أو بزاوية او بتكوين هندسي سواء كان دائريا أو على شكل مربع أو مستطيل.. لماذا اذاً هذا الامتداد الافقي؟..**هل هو لا نهائية الفكرة** والتي بدأت مع النوبة ثم امتدت إلى كل أنحاء الواقع الكوني..

هل النوبة هي أول خطوة تلوث شعر بها الفنان حين انتقلت النوبة من موقعها المصري جنوب مصر إلى منطقة كوم أمبو بصيغة جديدة افقدتها طبيعتها مما دعى أهلها إلى هجرها. فانطلق منها إلى التلوث الكوني الذي نعانيه سواء في الذوق أو السياسة أو المجتمع إلى آخره..؟.

وفق **وائل شوقي**في تجسيد الحالة البصرية باللونين الأبيض والاسود وما بينهما من درجات لونية من الرماديات للحالة الشعورية التي يفجرها العمل..

هل هناك مسرح في عمل وائل شوقي؟.

بمعنى آخر هل كان **وائل شوقي** يقدم مسرحاً من خلال هذا العمل..؟ نستطيع أن ندعي أن هذا العمل **محمل بعناصر مسرحية تشكيلية**..فهي فكرة من أربعة مشاهد بصرية لا تتوالى ولا تتقاطع وانما تتجاور. وتحفظ ايقاعاً ثابتاً في التصعيد.. لا تشترط موقع بداية أو نهاية فنحن نستطيع تغيير نظام تلك البيوت فنضع الأول محل الرابع أو الثالث محل الثاني دون أن يفسد المشهد البصري. هذا الايقاع الرتيب وهذا التجاور هو الذي يحمل الفكرة ويصعدها ويبث هذا الشحن الذي لا يجهض الفنان بما يسمى في المسرح «**"Faction"**الناتج عن **(التطهير)** .. فالبث الذي يعمد الفنان إلى تكثيفه عند المتلقي هو عكس نظرية التطهير في المسرح وبالتالي فالمتلقي في المسرح يخرج وهو قانع بهذه النهاية المرضية.. أما في الفن التشكيلي فالأمر يختلف وخصوصاً أن ما نراه عند **وائل شوقي** يجعلنا نترك المكان وحالة القلق والتوتر تلازمنا.

ماذا يقول وائل شوقي عن عمله..؟؟

واحدة من الحالات التي تصدرت اهتماماتي خلال الفترة (١٩٩٢-١٩٩٦) هي الذوق العام والتلوث الذوقي الحادث في مجتمعاتنا من خلال العلاقة بين «المدنية والعالم الثالث».

وقد أثارني في هذا المضمار التعامل مع «الحضارة النوبية» كرمز لمجتمع في صورة مصغرة ساعدت العديد من العوامل الجغرافية والاجتماعية والسياسية والتي تمثلت في حادثة «التهجير» عام ١٩٦٥على تغيير كيانه وشخصيته هذا المجتمع الذي انتقل من مكانه الاصلي إلى مكان جديد فرضته الظروف وبالتالي فرضت عليه حالة جديدة من التلوث الذوقي.

الانتاج المتوقف-عدم القدرة على الاتصال-الموت المؤقت»

البناء الأسمنتي المغلف للمشاهد الأربعة والعلاقة الجدلية بين الراسخ الممثل في هذا البناء المعماري وبين حالة السكك المعدنية المرتبة بحركة الذباب والذي يرتبط بدوره بفكرة الطفيلية في المجتمع(The idea of parasitism in Society) -جسم الحمل والضرع المتدلي وعلاقته بالانتاج المتجمد-الميكروفونات وجهاز الاستقبال الصامت وعلاقته بعدم القدرة على الاتصال -الضريح وهو ليس موت كامل وإنما هي حالة من الصمت والتجمد، وحيث تبدو العناصر أحياناً وكأنها داخل حجرة تبريد تحفظها من الموت الكامل- النافذة المحددة لرؤية المتلقي قد تحيل الفورمات في بعض الأحيان إلى أشكال أكثر تسطيحا مما يزيد من حالة الرؤية الصوفية والمتجسدة في نفس الوقت والتي نراها من خلال الفتحات الأربع.

* بلاد النوبة القديمة كانت تقع في الجزء الجنوبي من مصر وتمتد حتى السودان وعند اقامة مشروع السد العالي الذي غيرت مياهه النوبة المصرية كان لابد من انتقال سكان النوبة من جهة إلى أخرى من الوادي شمال السد وقد اختيرت منطقة كوم أمبو لتقوم فيها النوبة الجديدة وما زالت قائمة حتى الان.




صلاح عيسى

«العبور الى تاريخ الوطن»

«صلاح عيسى» ودراسته وحكاياته الطويلة والقصيرة عن الوطن والتاريخ تفتح لنا دروباً وطرقاً لا يعرف تفاصيلها الدقيقة الا عاشق أصيل للوطن. وعشق صلاح عيسى ليس عشق محب ساكن ينظر نظرة ساذجة لمعشوقته بل عاشق ملئ بالحيوية يهتم بكل التفاصيل الدقيقة أو أى خاطرة صغيرة ترسم ولو طيف خيال لمعشوقته مصر ان دروب «صلاح عيسى» ملئ بالألفة والحب لكل الشخوص والمواقف والمحن والانتصارات لهذا فالعبور من بوابته هو عبور لحياة شعبنا البسيط وتفهم وتحليل ابداعاته الذكية عبر قرون طويلة «فصلاح عيسى» مدرسة من مدارس كتابة التاريخ لا تعتمد على التقريرية أو أن التاريخ مجرد حدث يؤديه الزعماء فقط أما الجموع فهم على الهامش مأليهم النسيان فمدرسة **صلاح عيسى** هى مدرسة كتابة التاريخ من باب الشعب مدرسة التحليل الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فلكل حدث ظرفه وتوقيته ولكل حدث أسبابه ومعانيه. **وصلاح عيسى** أستاذ كبيرعلم جيلنا الكثير وبالأخص حب تاريخ الوطن وعشق هذا الوطن وعلمنا أن العشق مكابدة ومعاناة. فتحية لصلاح عيسى وحمداً لله على شفائه وتمنياتنا له بطول العمرحتى يؤدى دوره تجاه وطنه وشعبه ومحبيه.

عبد الحميد القداح
المنصورة

المحررة: الزميل صلاح عيسى يشكر الصديق عبد الحميد القداح على كلمته الرقيقة والدافئة ويتمنى أن يكون دائما عند حسن ظن قرائه ومحبيه.

فرنسا والعرب

تبين للنظام السياسى العالمى أن الدور الفرنسى العربى الذى يهدف إلى تحقيق السلام العادل امر غير مقبول برغم أن فرنسا منذ صعود ديجول إلى الحكم.. وأخيرا شيراك.. لا تنشد انجرارها نحو مسميات الهيمنة على بلدان العالم النامى عامة فمن قضايا الشرق الأوسط والتى تتطلع لدور فرنسى لها: هى معالجة القضية العراقية بجرأة أكثر بعيدا عن الحصار اياه.. وانتهاء ازمة لوكربى تجاه ليبيا والسعى لحل المشكلة الجزائرية والتى لها انعكاسات على الجانب الفرنسى و السعى لعودة الأراضى العربية المحتلة بما فيها القدس..

وفرنسا وان كانت فى فترة ما اشتهرت بمعاداة العرب.. فان الحاضر آن له تحقيق التوافق بين خيارات فرنسا الخارجية والسياسات العربية بعيدا عن افكار الهيمنة واستعراض القوة الامريكية والرئيس شيراك منذ أن تولى السلطة يسعى إلى تقارب السياسات الفرنسية فى اتجاه العرب بعيدا عن شهية الصهيونية العالمية التى تسعى إلى اقامة اسرائيل التوارتيه.. برغم أن الفكر الصهيونى يرتكب من الاثام الكثير من أجل تحقيق هذا الهدف.. والتساؤل هل تقاوم السياسات الفرنسية والعربية فكر الحركة الصهيونية والتى تشكل تهديداً للبعد الأمنى العربى.. بعكس سياسة النظام العالمى الذى يدعم ويناصر الفكر الصهيونى .. لان العالم لم يعد كما هو بعد انهيار المنظومة الشيوعية لذلك فان مهمة الحكام العرب اصبحت أمام معضلة حقيقية وأمام مسئولية تاريخية واخلاق وقيم وهما أكبر من شعارات عملية السلام.

يحيى السيد النجار
دمياط


جاك شيراك

شعار مقترح

أقترح أن تعدل مجلتنا العزيزة «اليسار» شعارها، من «راية المستضعفين فى الأرض» إلى «راية المناضلين من أجل الفكر الثورى المعاصر» كما أرجو أن تتقبلى تقديرى لشخصكم الكريم وللأستاذ الكبير «حسين عبد الرازق» وبلدياتنا العزيز الاستاذ عريان نصيف،وكل من يساهم فى تحرير وإصدار هذه المجلة التى تمنحنا نحن فى الأرض الأمل فى مستقبل شعبنا ووطنا وعالمنا.

عبد الفتاح ياسين
طنطا

المحررة:
أشكر لك تحيتك الرقيقة وأعتقد أنه لا تناقض بين الشعار الذى تطرحه والشعار الذى ترفعه «اليسار»،ومع ذلك فالاقتراح معروض على هيئة مستشارى اليسار لابداء الرأى.

ملاحظات حول (حركة حقوق الانسان)

بالرغم من انتشار وتعدد مراكز ومنظمات حقوق الانسان الا أنها لم تستطع حتى الآن أن تستوعب القدر الكبير من المهتمين بالعمل العام والذين لم يجدوا غاياتهم فى الأحزاب السياسية بسبب القيود العديدة المفروضة على نشاطها ولغير ذلك من الاسباب- كما لم تستطع تلك المراكز أيضا أن تصل إلى المواطن البسيط المفترض أنها قامت أصلا للتعبير والدفاع عنه وهذه الحالة ترجع فى رأيى إلى عدة

أسباب:

أولا: تعددية المراكز وتماثل أنشطتها

بالرغم من كون قضايا حقوق الانسان من القضايا الجامعة التى تسهل الاتفاق حولها.. من كل الاتجاهات السياسية والفكرية إلا أننا وجدنا أن الاتجاه صار إلى تزايد وانقسام المنظمة الواحدة إلى عدة منظمات-وبدلاً من أن تكون تلك المنظمات أوعية لوحدة العمل حول قضايا مشتركة-وجدنا أن الحال وصل إلى أن كل فصيل داخل الاتجاه السياسى الواحد أصبح له مركز حقوق الانسان الخاص به.. وهذه نقطة بداية فاشلة لا تؤدى إلا لمزيد من الضعف والتفرق.

ثانياً: انعكاس الخلاف السياسى بين قوى المعارضة:

لأن قوى المعارضة المصرية ما زالت مصرة على عدم الاتفاق ولو حتى على برنامج ديمقراطى واحد- فقد انعكس ذلك بوضوح على حال مراكز حقوق الانسان الذى كان مفترضا أن تكون أدوات لجبهة الديمقراطية المتحدة- والملاحظ أن أغلبية تلك المراكز ينتمى أعضاؤها إلى أصول اليسار المصرى الناصرى والماركسى بينما الاتجاهات الأخرى كالاسلامية والوفدية بعيدة أو مستبعدة.

وهو الأمر الذى يعكس حالة عدم الاتفاق على برنامج ديمقراطى فى أوساط المعارضة المصرية.

ثالثا: اقتصار التواجد على أوساط المثقفين

لم تستطع أو لم ترغب تلك المراكز فى النزول إلى مشاكل حقوق الانسان الحقيقية فى مصر والمتمثلة فى مشاكل الناس اليومية فى المدن الصغيرة والمحافظات- واقتصر نشاطها على العاصمة وفى أوساط المثقفين المحدودة-مما أفقدها القدرة على التجذر والانتشار فى الواقع-فأى حركة لحقوق الانسان فى مصر فى رأيى لا تصل لمشاكل البسطاء من الكادحين الذين هم أغلبية الشعب وأصحاب المصلحة الحقيقية. فستظل اهتماماتها مقتصرة على هموم المثقفين وقضاياهم الفوقية.

إن موجة الجمعيات غير الحكومية المنتشرة اليوم وفى تزايد إن لم ترتبط بقضايا حقيقية وتعبر عن تحالفات سياسية صحيحة- ستظل كما هى الآن- مراكز لا يتعدى دورها مجال الدعاية ويتحول الدعم الوارد لها وسيلة لحل مشاكل القائمين عليها وبديلا عن أى دور حقيقى فعال.

أحمد طاهر

المنصورة

المحررة: شكرا للصديق **أحمد طاهر على مساهمته التى تطرح للنقاش أوجه المشاكل التى تحيط جانبا من النشاط الأهلى فى مصر، لكن التعميم الوارد فى مساهمته ليس معناه اغفال دور عدد من جمعيات حقوق الانسان التى تنشط فى هذا المجال متخذة من الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لقضية حقوق الانسان هدفا لعملها. ويبقى أن نجدد الرجاء للصديق أحمد بأن يكتب رسائله على وجه واحد من الورقة.**

التغيير المنشود



محمد حسنين هيكل

بعد انتهائى من قراءة دراسة «اليسار» عن الاحزاب المصرية ودورها .. تداعت فى ذهنى مقولة الاستاذ/ هيكل.. أن أى محاولة للعلاج خارج رئيس الجمهورية غير واردة.. «اليسار العدد ٧٣».

فمقولته على الرغم من شدة تشاؤمها فانها تجد حكمة وتبصراً بالأمور هى ديدن الاستاذ/ هيكل الدائم.. فتاريخ مصر يثبت أن التغيير قد جاء دائما من الصفوة..

فأحمس طارد الهكسوس كان ابنا «لطبقة الصفوة الحاكمة لجنوب مصر فى ذلك الوقت.. ومجتمع الصفوة ممثلا فى العلماء والأعيان هو الذى فرض محمد على حاكما لمصر رغما عن الدولة العثمانية.. وطارد الانجليز، ومحرر مصر ومفجر ثورة يوليو ١٩٥٢.. كان الجيش أحد أفرع السلطة وجزءً من مجتمع الصفوة.. وإن نجحت الثورة فى تحقيق آمال الشعب واحداث التغيير الاجتماعى المنشود كنتيجة لاقترابها من الشعب والتصاقها بأحلامه..

يخرج من هذا التعميم حدثان ثورة ١٩ .. فمن بدأ هذه الثورة كان الشعب.. ومن ضيعها كانت القيادة الانتهازية التى كانت لا تمثل غير طبقة الاقطاعيين والبرجوازية.. لذلك فهى لم تحقق سوى بعض المكاسب السياسية الهشة ولم تغير من الواقع الاجتماعى شيئا.. ونقيض هذا الحدث تمثل فى انتفاضة الشعب الكبرى ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ فى صورة رائعة من صور الصفوية الثورية ولكن الفشل كان نتيجتها الحتمية لعدم وجود تنظيم سياسى واع يقودها.

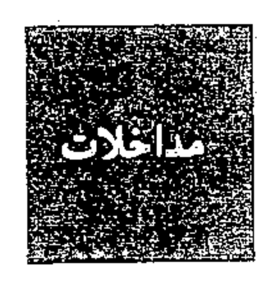
فالثورة . الشعبية لم ترد فى تاريخ مصر إلا قليلا جدا..فالتاريخ يثبت أن هذا الشعب كان دائم النضال من أجل الحياة ذاتها لا من أجل التغيير. فالحكومات المتتابعة قد أحترفت التفتيت للطاقات الثورية وذلك بالهاء الشعب فى الصراعات اليومية التافهة.. فأى طاقة ثورية سوف تبدد إن كان على الفرد الاستيقاظ يوميا للحصول على بعض الأرغفة الملوثة بالتراب والحشرات بعد عراك مرير فى طابور لا آخر له.

ومن هنا يظهر دور الاحزاب المصرية متمثلا فى اعادة الوعى للجماهير الكادحة واحداث تغيير فى المفاهيم كمقدمة للثورة الثقافية التى تمثل البداية لأى تغيير بمعناه الشامل.. لن تقوم الاحزاب بهذا الدور الضخم إلا اذا تخلصت من صراعاتها الداخلية من ناحية والصراعات الدائرة بين الاحزاب وبعضها البعض من ناحية أخرى.. وإن لم يحدث ذلك..فان التغيير لن يأتى أبدا من هذا الشعب الكادح الصابر.

محمد أحمد فرحات
المنوفية



اعلان مبادئ السلام الإسرائيلى



علوم الدكتور سمير حنا ظلمت محمد عبد الوهاب



أحمد الخميسي



محمد عبد الوهاب : تجديد التخت العربي



سيد درويش : المسرح الغنائي

كلما قرأت بنهم واستمتاع مايكتبه الدكتور **سمير حنا صادق** في العلم على صفحات مجلة اليسار يقفز لذاكرتي فضل أستاذنا الكبير **سلامة موسى** على الثقافة المصرية وشروحه المبسطة للداروينية وغيرها . ولكني عندما طالعت مقاله الأخير عن **محمد عبد الوهاب** وثبت إلى ذهني فكرة لاسعة وردت على لسان الأستاذ **كامل زهيري** في حديث عابر في الستينات عندما كان يرأس تحرير مجلة الهلال فأثارها وأغناها " قال: " نحن المثقفين العرب نعاني من مشكلة غريبة . فعقولنا تستشرف آداب وفلسفات القرن العشرين ، لكن ذوقنا البصري توقف عند لوحات المناظر الطبيعية من القرن الثامن عشر ، أما آذاننا فإنها غارقة في موشحات القرن الثالث عشر ". ويمكن أن نضيف لتلك العبارة أن عقولنا بالنسبة للمجالات العلمية مازالت تقف عند حدود ذهول الجبرتي أمام علوم الحملة الفرنسية وقوارير التفاعلات الكيميائية التي أذهلت نافورتها الملونة شيخ المؤرخين .

إن المثقف العربي يعاني من ذلك الانقسام المشرد ومن عشوائية نمو ملامحه العقلية والمعرفية التي يتضخم بعضها على حساب البعض . ولهذا فليس من المستغرب أن تجد مثقفا يكافح من أجل العدالة ويعجز عن فهم **بيكاسو** وآخر ينشر العلم ولايستطيع أن يتذوق الموسيقى أو الفن السينمائي . ولكن الموسيقى بالذات لم تنل أبدا حقها من المتابعات النقدية وظلت حقلا لاتحرثه الأقلام بالرغم من أنها - عمليا - أوسع مؤسسة ثقافية مؤثرة في فئات المجتمع بعد أو قبل الأفلام السينمائية .

لكن الدكتور **سمير حنا صادق** طرح - ربما للمرة الأولى في اليسار - تلك القضية في مقاله " **الوهابيون الجدد**" الذين يعتبرون أن **محمد عبد الوهاب** أعظم موسيقار أنجبته البشرية " ، ومع أن عبد الوهاب ليس أعظم موسيقار في العالم إلا أنه أيضا ليس " تاجرا متفوقا" كما انتهى د **سمير صادق** . وتتضح خطورة عبد الوهاب ودوره عندما نتذكر أن الأغنية بالذات - وهي مجاله الابداعي الأول - تشكل أغلب الابداع الموسيقي العربي الذي لم يفتح للانتشار أبواب التذوق الموسيقي المتعددة الأخرى كموسيقى الباليه ، والموسيقى البحت التي يكتبها الآن عمر خيرت ، والسيمفونية رغم روادها الأوائل والمسرح الغنائي الدرامي . والموسيقى التصويرية التعبيرية ، لقد احتكرت الأغنية - لأسباب كثيرة - الساحة الموسيقية . ومن ثم فاننا عندما نتحدث عن عبد الوهاب فاننا في الحقيقة نتحدث عن قلب وصدر تاريخنا الموسيقي لمدة نصف قرن على الأقل.

وبداية فقد تناول الدكتور المسألة من بعض الزوايا الشخصية التي أعتقد أنه سيوافقني على أنها لاتمت للموضوع أو للنقد بصلة . كاشارته لعلاقة عبد الوهاب بأبنائه وأنانيته للتدليل على ضعفه كموسيقار ! .وإذا كان ذلك هو المعيار فقد فات الدكتور وهو متحمس **للأخوين رحباني** أن الخلافات المالية هي التي أدت لهدم ذلك المثلث الفني العبقري . فهل ينفي ذلك ماأبدعه الرحبانية وفيروز؟ ومعروف أن الادمان على المخدرات كان السبب وراء الموت المبكر **لسيد درويش** فهل نشطب على ابداعه إذن؟ إن الأمثلة لاتحصى ، وتثبت كلها أن محاكمة الفن بمعايير أخلاقية أمر مستحيل . لأن الفن ليس للأخلاق وإن كنا نتمنى ذلك . وعندما احتج **يوسف**

ادريس على نيل **نجيب محفوظ** لجائزة نوبل بدعوى أنه كان الأحق بها كأنت الأنانية هي التي تتحدث بلسان ادريس . فهل ننحي جانبا بكل ماكتبه أبو القصة العربية المتميزة ؟

ولاأدري على أي أساس يقطع الدكتور سمير بأن **عبد الوهاب** لم يكن :" يعلم شيئا عن الأسس النظرية لعلوم الموسيقى "؟ علما بأن الإلمام بتلك الأسس لايصنع فنانا ، لكنه يؤهل ناقدا للحديث عن الموسيقى . كما أن تملك ناصية الأسس النظرية للأدب لاتصنع روائيا . فالفنانون عادة مايتشربون الأسس النظرية لما يبدعونه من استيعابهم وهضمهم المباشر لتجارب فنية سابقة . ولاأظن أن **المتنبي** كان ملما بالأسس النظرية للشعر ، كما أن العرب عامة كتبوا جزءا من أروع الشعر قبل أن يضع **الخليل بن أحمد** علم العروض ! وفي الموسيقى كانت معارف **سيد درويش** باعث النهضة الموسيقية المصرية قليلة للغاية لكن ذلك لايحول دون اعجاب الدكتور به .

ويقول د. سمير إن عبد الوهاب بالخلط الموسيقي الذي ابتكره أدى " لافساد حاسة التذوق الموسيقي لدى جانب كبير من المصريين ففقدوا المقدرة على تذوق موسيقى **أبو بكر خيرت** وغيره " ومعروف أن أبو بكر خيرت والرعيل الأول من أصحاب التيار السيمفوني المصري ظهروا في مرحلة لاحقة على عبد الوهاب . وعندما بدأ عبد الوهاب في العشرينات لم يكن أحد من أولئك قد ظهر ليعطل عبد الوهاب الجمهور عن الاستمتاع به . فاذا كان الدكتور يقصد أن استمرار تأثير عبد الوهاب اللاحق الضخم قد

ليلى مراد
أغنيات لاتذبل



عبد الحليم حافظ
الصوت الأول

عطل - فيما بعد - حاسة التذوق ، فهذا أيضا غير صحيح ، لأن من يقرأ هذا يظن أن المصريين تمتعوا دائما بعامة تذوق الموسيقى السيمفونية ثم أتى عبد الوهاب فسلبهم تلك النعمة ، بينما تشكلت حاسة التذوق الموسيقي المصري - قبل **سيد درويش وعبد الوهاب** - من التمتع بالطرب والموشحات التي تحاول الافلات من التركية.

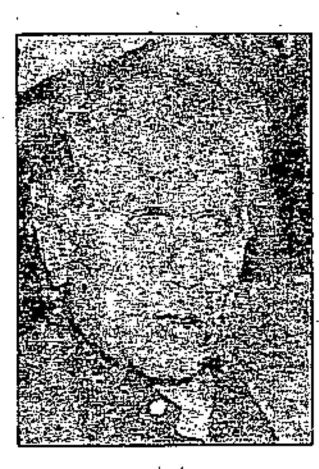
ويبدو من غير المنطقي ومن الظلم أيضا اتهام عبد الوهاب بأنه كان السبب وراء انتشار كلمات الأغاني "السخيفة" ، ففي هذا مبالغة في قدرات **محمد عبد الوهاب** الخارقة ، كما أن هبوط مستوى الكلمات ظاهرة اجتماعية وأدبية وفكرية لادور تقريبا للمؤلف الموسيقي فيها . علما بأن عبد الوهاب غنى كثيرا من القصائد والأغاني منها ماهو من تأليف أمير الشعراء . ولاأرى سخافة في كلمات أغانيه إلا بنفس القدر الذي يمكن العثور عليه في كلمات أغاني **عبد الحليم وكارم محمود** وغيرهما ممن يعتبرهم الدكتور من ضحايا تربع عبد الوهاب على عرش الموسيقى . ومع أن **عبد الوهاب** هو الصوت الثاني بعد **عبد الحليم حافظ** في تاريخ الغناء العربي المعاصر فان الدكتور يسلبه حتى امتياز صوته العذب قائلا :" إنه لضعف صوته امتنع عن التأليف الأوبرالي "! مع أنه لاعلاقة بين صوته - حتى لو كان ضعيفا - والتأليف الأوبرالي ، فقد اعتزل عبد الوهاب الظهور على المسارح وفي الحفلات منذ الخمسينات ، وكان أغلب ماكتبه لمطربين آخرين ، فليست القضية في أنه كان يؤلف مايستطيع صوته غناءه ويهمل مالايبلغه صوتها.

وبالرغم من قائمة الاتهامات الطويلة التي جعلت الدكتور يتساءل عما إن كان عبد الوهاب: " حتى مجرد موسيقار ؟" منتهيا إلى أنه كان " **تاجرا متفوقا** " فان أخطر الاتهامات التي تمس صلب الموضوع في حديثه عن أن الأغنية لاتدخل في قائمة القوالب الفنية ذات الشأن ، وعن أن عبد الوهاب كان يسرق الألحان ، وكان يلصق مايسرقه وسط المقامات الشرقية . وهنا يخلط الدكتور سمير بين أن عبد الوهاب: " لم يؤلف قطعا موسيقية ذات قيمة" ، وبين مجال عبد الوهاب الإبداعي ، والواضح أنه يقصد بالقطع الموسيقية ذات القيمة المعزوفات السيمفونية أو الموسيقى الصرفة ومن ثم يعتبر أن هرم الأغنيات الذي شاده عبد الوهاب عديم القيمة لأن عبد الوهاب كان " على الأغلب ملحنا ومؤديا للأغاني " أي أنه يرى أن الأغاني لاتنتمي للموسيقى ذات القيمة" والأغنية إذن ليست قالبا فنيا ذا شأن ! وكان لابد لعبد الوهاب لكي يؤلف شيئا ذا قيمة أن يؤلف السيمفونية أو غيرها .. **فهل يجوز الطعن في مكانة عبد الوهاب لمجرد أنه تخير هذا القالب الموسيقي الصغير عملا رئيسيا له ؟** وبوسعنا من نفس المنطلق أن نعتبر أن كل من توقف عند قالب القصة القصيرة أساسا - وهو قالب أدبي صغير - لم يكتب شيئا ذا قيمة ، لأنه لم يدخل إلى الحقل الروائي حيث توجد " المقطوعات الأدبية القيمة".

أما عن ماشاع من أن عبد الوهاب على حد قول الدكتور: " كان يسمح لنفسه باستعارة الألحان العالمية ولصقها وسط المقامات الشرقية " وأنه أفسد الذوق الموسيقي . . **فان هذين الاتهامين تحديدا يشيران - وياللغرابة - لموضع قوة وعبقرية عبد الوهاب وفضله على الموسيقى المصرية والعربية ذلك أن محمد عبد الوهاب؟** هو ابن روحي مباشر لـ **سيد درويش** رغم أنه لم يستطع استكمال عملية شق الطريق للمسرح الغنائي الدرامي الذي بدأه خالد الذكر لكن تلك القضية تتعلق



نجيب محفوظ
الرواية والقصة القصيرة



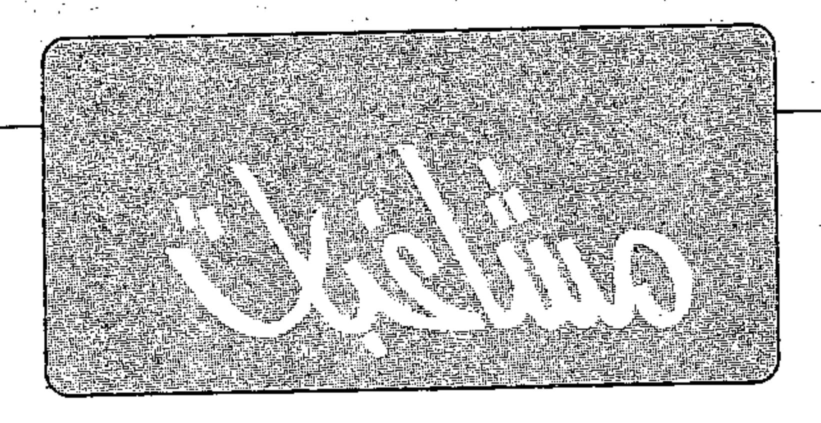
يوسف ادريس
جائزة نوبل

يبرز وقدرات الفنان الذاتية ولاتمس قدرة أو ابداعه ، وعندما بدأ **عبد الوهاب** رحلته في العشرينات كان **سيد درويش** يقوم ليس فقط بتأليف الموسيقى المصرية عبر بوابات المسرح الغنائي ، بل وكان يقوم بتمصيرها " أي نقلها من البشارف والموشحات التركية إلى النغم المصري في عملية فنية رافقت ولادة القومية المصرية ، لكن الزمن لم يتح عبقرية سيد درويش مهلة ليقوم - على نحو خاص - بتحديد معالم قالب الأغنية كقالب آخر متميز وكانت الأغاني لديه جزءا من المسرح الغنائي وفرعا من شجرته . وكان على عبد الوهاب بالذات أن يصوغ ذلك القالب الأصغر والأكثر انتشارا . وقد أنجز عبد الوهاب تلك المهمة على مستوى تخليص الأغنية من التزيد والإطالة والارتجال ، ثم فتح ذلك القالب للتيارات والآلات الموسيقية الوافدة ، وقام **عبد الوهاب بتجديد التخت الغنائي العربي الذي استقر طويلا على أساس الناي والقانون والعود والدف ، وكانت معارك عنيفة تنشب في كل مرة يدخل فيها عبد الوهاب آلة جديدة تضيف طعما جديدا ، وهي معارك كتلك التي دارت مؤخرا بشأن دخول الفيديو والدش وشبكة الانترنيت وغير ذلك** . وهو ماحدث عندما استضاف عبد الوهاب " الماندولين" الذي استخدم في أوبرا موتسارت " **دون جيوفاني**" فاذا به يصدح لدى عبد الوهاب في فيلم **غزل البنات** فهل يمكن النظر لادخال آلات جديدة باعتباره خلطا وافسادا للذوق السائد ؟

أما عن اتهام عبد الوهاب بالسرقة فهو اتهام مضحك ، لأن تاريخ حضارتنا كله - منذ دخول الحملة الفرنسية - هو تاريخ **السرقات العبقرية** ، بدءا من اصلاحات **محمد علي** التي نقلها عن الفرنسيين ومن اصلاحات **بطرس الأول** في روسيا ، انتهاء بالسرقات العبقرية للفكر والقوالب والأشكال الفنية ، والمسرح الذي عرفناه مع الحملة الفرنسية بهذا المعنى مسروق . ويجوز القول بأنه أفسد حاسة تذوق خيال الظل السابق عليه ، والسينما المصرية كذلك . لكن المشكلة كانت دائما في التوظيف العبقري لما نقلناه ليصبح تعبيرا عن الواقع المصري وجزءا من نسيجه . ولاأذكر الآن اسم إحدى المسرحيات الشهيرة **لسعد الدين وهبه** التي نقلها عن قصة أمريكية باسم موقف العربة . لكنه حين استعار الفكرة وظفها للتعبير عن شخصيات مصرية ، وهو مافعله **عبد الرحمن الشرقاوي** عند استعارته لشكل رواية " **فونتمارا**" لموليني الإيطالي ثم توظيفه للشكل للتعبير عن " **الأرض**" وهموم الفلاحين وكل ماكتبه **نجيب محفوظ** حتى الثلاثية هو استلهام للتراث الروائي الغربي التقليدي ، فهل ينفي ذلك أن صفية وعبد الهادي في رواية الأرض شخصيات من لحم ودم مصر ؟ أو أن السيد عبد الجواد - الذي يرتع في استلهام الشكل الروائي الوافد - هو شخصية مصرية مائة بالمائة !.. إن المشكلة في توظيف العنصر الوافد فكريا وفنيا بحيث يقوم بدور مختلف تماما . وهذا مافعله عبد الوهاب في كل مايظنه الآخرون استعارة وسرقة.

وغير صحيح مايقوله الدكتور سمير من أن عبد الوهاب :" لصق الألحان العالمية وسط المقامات الشرقية" ، لأن اللصق يظل لصقا ظاهرا تنفر منه الروح ، أما عبد الوهاب فانه أذاب مااستعاره روحه وعضده من طعوم موسيقية أخرى في إطار الروح المصرية . وكانت الجمل التي لايختلف أحد في أنها مأخوذة من سيمفونيات وأوبرات ايطالية تستخدم لديه فقط كمدخل لإضاءة مايليها . وبهذا المعنى فان **رفاعة رافع الطهطاوي** استعار فكرة تعليم البنات مما شاهده وقرأه في باريس ، ولايمكن أن يكون سبب انتشار عبد الوهاب كما يرى الدكتور هو أنه كان " تاجرا متفوقا" ، فالتجارة لاتستطيع أن تفسر تغلغل ألحان عبد الوهاب في وجدان ومخيلة وذكريات أجيال متعاقبة ، ولاتصلح التجارة تفسيرا لاستعصاء أغنيات **ليلى مراد** مثل " الدنيا غنوة نغمتها حلوة" على الذبول بعد نصف قرن من تأليف عبد الوهاب لها ، ومع أن آخرين لحنوا مثلما لحن عبد الوهاب إلا أنه كان رأس المدرسة الموسيقية الوهابية الأضخم كما وكيفا والتي لم تدع لونا إلا وتركت فيه بصمة ومن معطفه خرج الآخرون جميعا ومنهم كمال الطويل والموجي وكل من أبدع في ذلك المجال.

لقد ظلم الدكتور **سمير حنا صادق عبد الوهاب** ظلما بينا . وليست المسألة في شخص عبد الوهاب . المسألة في أننا حينما نظلمه نظلم التطور الذي ننشده ونتطلع إليه ، فدور عبد الوهاب التأسيسي في الموسيقى لايقل عن دور نجيب محفوظ التأسيسي المماثل في الأدب ، أو توفيق الحكيم في المسرح.





محاولة إخوانية للضحك على الذقون

حدث ما كان متوقعاً، وأعلن معظم مؤسسى حزب الوسط من أعضاء جماعة الاخوان المسلمين، تنازلهم عن الطعن فى قرار لجنة الأحزاب بالاعتراض على تأسيسه، وفوجىء وكيل المؤسسين المهندس أبو العلا ماضى، بأن الباقين منهم معه لا يزيدون عن ثلاثة، فطلب التأجيل لكى يبحث عن مؤسسين جدد يستكمل بهم النصاب.

ولا أحد يعرف حتى الآن، المبررات الحقيقية لاعتراض مكتب الارشاد على المشروع أما المبررات المعلنة فهى تدعو للضحك لتهافتها وتناقضها، ولأنها -عدم المؤاخذة- تبدو محاولة اخوانية للضحك على ذقون الجميع..!.

من هذه المبررات المعلنة، أن التقدم بطلب لتأسيس حزب، يضع الاخوان فى موضع البديل الذى يستعد لوراثة النظام القائم، ويستفزه لضربهم، ومنها أن القيادة السياسية تواجه الآن رعونة قادة اسرائيل، «وفقه الأولويات» يقتضى بمؤازرتها بصرف النظر عما يتعرض له الاخوان من أذى وضربات أمنية، ومنها أن رفض طلب تأسيس الحزب، يسحب الشرعية التى حققها الاخوان منذ خروجهم من السجون والمعتقلات فى منتصف السبعينيات..

ولا أحد يصدق، بما فى ذلك الاخوان المسلمون أنفسهم أن سعيهم لتشكيل حزب سياسى لهم يمكن أن يتخذ مبرراً لاتهامهم بالسعى لوراثة النظام السياسى القائم فضلا عن أن النظم السياسية التى تقوم على تعدد الاحزاب تفترض أن هذه الاحزاب ستتداول الحكم فيما بينها، فان أحداً لم يوجه التهمة للاحزاب القائمة.

وليس فى تشكيل حزب الوسط نكوص عن مؤازرة الاخوان للقيادة السياسية فى مواجهتها لرعونة قادة اسرائيل، يتطلب تطبيق فقه الأولويات والتنازل عن الطعن على قرار لجنة الاحزاب بالاعتراض على تأسيسه، اذ كان باستطاعة المؤسسين، أن يفعلوا ما فعلت الاحزاب القائمة التى لم تجد تناقضا بين معارضتها للحكم وبين مؤازرتها لموقف القيادة السياسية من رعونة قادة اسرائيل.. أو مبرراً لتطبيق فقه الأولويات على هذه الحالة بالذات!.

ويضحك الاخوان على أنفسهم، اذا تصوروا أن رفض اشهار الحزب، سيفقدهم شرعية يحوزونها الآن، فلا شرعية هناك ولا يحزنون، وهم أول من يعرفون، أنهم ينشطون بمقتضى اتفاق عرفى وإذن شفهى يمكن للطرف الآخر فى أى وقت أن يتنكر له، فيصبح المسموح ممنوعا، والمشروع محرما، ويقاد عشرات منهم إلى السجن، لأنهم مارسوا نفس النشاط الذى كانوا يمارسونه علنا منذ سنوات، من دون أن يعترض أحد، فضلاً عما تعطيه المشروعية القانونية لهم، من فرص لاصدار الصحف، ولخوض الانتخابات ولعقد الاجتماعات العامة والحزبية..

ولا معنى لاعتراض مكتب الارشاد على مشروع تأسيس حزب الوسط، وتحالفه -موضوعيا- مع الحكومة لافشاله، إلا أن الاخوان لم يحسموا موقفهم بعد من قضية التعددية الحزبية، وأن بينهم جناحاً متشدداً يرى أنهم ليسوا مجرد حزب من الاحزاب لأنهم الدعاة إلى الله، وإلى تطبيق شريعته فهم بذلك «فيئة» تمثل الأمة كلها، ولأنه لا يجوز لأحد الا يدعو إلى الله، أو أن يعترض على تطبيق شريعته، فلا يجوز أن يكون الاخوان حزبا، اذ هم كل الاحزاب..

وهى فكرة خاطئة تتناقض مع تراث الاخوان الذى استقر على أنهم «جماعة من المسلمين» وليسوا جماعة المسلمين، وتتناقض مع الاسس الديمقراطية التى ترفض أن تحتكر أية جماعة لنفسها حق الحديث باسم مقدسات الأمة ومنها الدين والوطن، إذ هى ملك للجميع ومن حق الجميع أن يستلهموا منها ما يشاءون، من دون أن يشيروا إلى ملكيتهم الخاصة لها فى وثائقهم السياسية أو يستخدموها فى دعايتهم الحزبية.. وهذا -فيما نعتقد- الأساس الذى قام عليه «حزب الوسط» ليحل اشكالية الوجود غير القانونى لجماعة الاخوان، وليمثل أول تجديد له قيمة فى حركتهم السياسية منذ نشأتهم. ويبدو أن الحرس القديم من قادة الاخوان، خشى أن تصاب الحكومة بحالة من الذكاء المفاجئ، تدرك أن سعى الاخوان لاشهار حزب، دليل على قبولهم لأسس اللعبة الديمقراطية، وبرهان على نبذهم للعنف، واعلان بتخليهم عن ادعاء القداسة، فتسمح لهم، باشهاره، لتتكرر المأساة التى حدثت من قبل مع الناصريين، ويستولى مؤسسو الوسط على قيادة الجماعة، ويصبح «أبو العلا ماضى» مرشداً عاما، فاندفع مكتب الارشاد يدافع عن كراسيه!.

وبينما كانت الحكومة، تصر بذكاء نادر، على أن تأسيس حزب الوسط، هو «لعبة تقسيم أدوار داخل الاخوان»، كان الحرس القديم يتقدم ليتحالف معها للقضاء على أول محاولة تجديدية لها قيمة فى تاريخ تيار الاسلام السياسى!.

ويا أيتها الحكومة: يُحموكى فى كنكة!.

صلاح عيسى